

الذم النبوي

عنه في فضائله

تأليف

الشيخ العلامة الفقيه

عبد بن محمد بن الحسين بن زين الدين

العمري الحلي

البيروت

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 007346487

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

JUN 15 2005	JUN 15 2005
-------------	-------------

A. Āmilī

الدرا المنثور

من المأثور وغير المأثور

تأليف

الفقيه المحدث المفسر

علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين

الجبعي العاملي

(الجزء الثاني)

2264

.11175

.331

جزء 2

الطبعة الاولى

مطبعة مهر - قم

١٣٩٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .
وبعد : فهذا الجزء الثاني من كتاب (الدر المنثور) وفق الله لاكماله بمحمد
صلى الله عليه وآله .

[حديث كون الصيام ثلاثين يوماً]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضي الله عنه في كتاب العلل وغيره باسناده الى
الحسن بن عبد الله عن آباءه عن جده الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام
قال : جاء نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله اعلمهم عن
المسائل ، فكان فيما سأله أن قال : لاي شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمتك بالنتهار
ثلاثين يوماً وفرض على الامم السالفة اكثر من ذلك ؟ فقال النبي صلى الله عليه
وآله : ان آدم لما اكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً فقرض الله على

ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله عزوجل عليهم ،
وكذلك كان آدم يصوم ثلاثين يوماً ففرض الله ذلك على امتي ، ثم تبارسول الله صلى
الله عليه وآله هذه الآية « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم
تتقون*أياماً معدودات »^(١) قال اليهودي: صدقت يا محمد ، فما جزاء من صامها؟
فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب
الله له سبع خصال : اولها يذوب الحرام من جسده ، والثانية يقرب من رحمة
الله ، والثالثة يكون قد كفر خطيئة ابيه آدم ، والرابعة يهون الله عليه سكرات
الموت ، والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة ، والسادسة يعطيه الله
براءة من النار ، والسابعة يطعمه الله طيبات الجنة . قال : صدقت يا محمد .

اقول : ربما توهم أن الجواب فى هذا الحديث غير مطابق للسؤال حيث
ان السؤال وقع عن فرض ثلاثين على أمته واكثر على من تقدمها من الامم .

ويدفع هذا التوهم أن الجواب يتضمن تكذيب اليهودى والرد عليه فى
ذلك بأن الصوم لم يكن الاثلاثين فقط على أمته وعلى من تقدمها ، واليهودى أراد
اختباره وامتحانه بأنه هل يوافق على ذلك أم لا ، مع كون اليهودى عالماً بما
اجابه ظاهراً بسبب تصديقه اياه على ذلك . فقد اجابه عليه السلام على وجه صدقه
ورضى به ولم يكذبه صريحاً لكنم أخلاقه ، بل نبهه على أحسن وجه وأتممه
بحيث لم ينفّر خاطره من أول الامر .

وهذا ظاهر لاغبار عليه ، ونظيره قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام
« فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى »^(٢) وقوله تعالى « قل ان كان للرحمن ولد

(١) سورة البقرة : ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) سورة الانعام : ٧٧ .

فانا اول العابدين»^(١)ومثل هذا يقع كثيراً فى مثل هذه المقامات لاجل مما شاة
الخصم وجذبه الى قبول الحق والالزام . وفى حديث الرضا عليه السلام
مع المؤمن: ان قول ابراهيم « هذا ربى » على الانكار لا الاخبار ، فلا يكون من
هذا الباب .

وفى الحديث دلالة على ماذهب اليه الصدوق رحمه الله من كون شهر رمضان
ثلثين يوماً ، والجمع بينه وبين ما تقدم مما دل على امكان النقصان غير خفي .
وقوله عليه السلام « والذى يأكلونه تفضل من الله عزوجل عليهم » يحتمل
وجهين :

احدهما: أن فرضه عليهم الجوع والعطش لايتوهم منه انه تعالى منعهم بذلك
ما هو حق لهم ، بل كل ما يأكلونه ويشربونه وغيره تفضل منه تعالى ، فقد فرض
عليهم أن يمتنعوا منه هذه المدة .

الثانى : ان ما يأكلونه اذا أفطروا بعد كل صوم تفضل منه تعالى عليهم ،
بأن يصوموا النهار ويفطروا الليل ويأكلوا ما يشتهون ، فلو فرض عليهم صوم
يومين او أيام مثلا من غير افطار يتخلل بين ذلك بحيث يمكنهم صوم الثلاثين
ولو بمشقة زائدة او أباح لهم اكلا قليلا او مخصوصاً كان ذلك اليه تعالى ، فما
يأكلونه كل ليلة تفضل منه . والله اعلم .

[حديث انه تعالى لم يجعل شىء الا بشىء]

ومن ذلك ما رواه فى الكتاب المذكور باسناده عن جميل بن دراج عن ابى
عبد الله عليه السلام أنه سأله عن شىء من الحلال والحرام . فقال : انه لم يجعل
شىء الا بشىء .

اقول: الذى يظهر من معنى هذا الحديث أن السؤال وقع عن التحليل والتحريم هل يكونان بمجرد ارادته واختياره تعالى كون هذا الشيء حلالاً وهذا حراماً كما هو مذهب الاشاعرة ام لا ، فأجابه عليه السلام بأن الحلال لا يكون حلالاً والحرام لا يكون حراماً إلا لعلة تقتضى ذلك وغرض يتعلق به بالمعنى المقرر عند أهل العدل .

ففيه دلالة على اثبات الحسن والقبح العقليين وعلى كونه تعالى انما يفعل ما يفعل لغرض وغاية يعود نفعها على المخلوق ونحو ذلك لا لغير ذلك، وقوله تعالى « لا يستل عما يفعل »^(١) لا ينافى ذلك فليفهم . والله اعلم .

[تفسير آية انه ليس من أهلك]

ومن ذلك ما رواه فيه فى قوله تعالى لنوح عليه السلام « انه ليس من أهلك »^(٢) عن ابي عبد الله عليه السلام : ان الله عزوجل قال لنوح عليه السلام انه ليس من أهلك لانه كان مخالفاً له وجعل من اتبعه من اهله . قال : وسألنى كيف تقرأون هذه الاية فى ابن نوح ؟ فقلت : يقرؤها الناس على وجهين انه عمل غير صالح وانه عمل غير صالح . فقال : كذبوا هو ابنه ، ولكن الله عزوجل نفاه عنه حين خالقه فى دينه .

اقول : تكذيبه عليه السلام لهم من حيث القراءتين وانه ليس الاقراءة واحدة وهى كون عمل فعلاً ماضياً فان معناه حينئذ - والله اعلم - انه عمل عملاً غير صالح بمخالفته لآبيه ، لا ان عمل مصدر بمعنى المفعول ليكون ولد غيره فيكون عملاً غير صالح .

(١) سورة الانبياء : ٢٣ .

(٢) سورة هود : ٤٦ .

ومثل هذا يستعمل فى مثل هذا المعنى . والله اعلم .

[حديث تأخير استغفار يعقوب لبنيه]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده الى اسماعيل بن الفضل الهاشمى قال : قلت لجعفر بن محمد عليه السلام : أخبرنى عن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه « يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين * قال سوف استغفر لكم ربى » (١) فأخبر الاستغفار لهم . ويوسف عليه السلام قالوا له « تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين » (٢) قال لان قلب الشاب أرق من قلب الشيخ ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف وجنايتهم على يعقوب انما كانت بجنايتهم على يوسف ، فبادر يوسف الى العفو عن حقه وأخري يعقوب العفو لان عفو انما كان عن حق غيره ، فأخبرهم الى السحر ليلة الجمعة .

أقول : أما كون قلب الشاب ارق فوجهه ظاهر ، ومعنى باقى الحديث أن الجناية ومباشرتها انما كانت على يوسف وبسبب ذلك حصلت الجناية على يعقوب من الحزن وبياض عينيه من البكاء وغيره ، فكان ذلك باعثاً على تأخير الاستغفار الى وقت ترجا فيه الاجابة .

وقول يوسف لهم كان متقدماً على طلبهم من ابيه ، فيحتمل انه لم يكن علم بذلك فأخبر استغفاره لهم ثم طلبه منه تعالى فى وقت يمكن فيه اجابة الدعاء وتعويض صاحب الحق عن حقه . وهذا يقتضى عدم الاسراع الى الاجابة ، بخلاف اجابة صاحب الحق نفسه ، فان له أن يترك حقه من غير وجه يقتضى التأخير .

(١) سورة يوسف : ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة يوسف : ٩١ - ٩٢ .

والحاصل انه لما كان الحق لغيره أخر طلب اسقاطه الى وقت رجا الاجابة .
فان قلت : ماوجه الجمع بين قوله عليه السلام « وجنايتهم على يعقوب
انما كانت بجنايتهم على يوسف » وقوله « لان عفوه انما كان عن حق غيره » ،
والاول يدل على أن جنائيتهم كانت على يعقوب ايضاً لكنها بسبب الجناية على يوسف ،
فيعقوب له حق ايضاً بهذه الجناية وبولايته عليه اذ كان طفلاً ، وقوله « والعمو انما
كان عن حق غيره » ظاهره انه لم يكن ليعقوب حق يعفو عنه .

قلت: قد سمي ماتستلزمه الجناية جنائية لكونه مترتباً عليها، فعبّر أولاً بجنايتهم
على يعقوب، ولما كانت الجناية الحقيقية التي وقعت بالمباشرة هي الجناية على
يوسف كان عفوه عن حق غيره ، فلو قتل شخص ولد آخر فجزع الوالد جزعاً
أهلكه أو حصل له منه آفة لم يكن ذلك مضموناً على قاتل الولد وان أمكن حصول
الاثم بذلك . وربما كان طلبهم من يعقوب الاستغفار بسبب ما فعلوا بيوسف عليه
السلام، والذي يظهر من سياق الحديث هذا، وهو ان يستغفر لهم بسبب ما جنوا
على يوسف ، فلا ينافي طلبهم منه الاستغفار بسبب ما ترتب له من الحزن وغيره
في غير هذا المقام او عدمه . والله تعالى اعلم .

[حديث خروج النور من بين أصابع يوسف]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أقبل يعقوب
عليه السلام الى مصر خرج يوسف عليه السلام ليستقبله ، فلما رآه يوسف هم
بأن يترجل ليعقوب ثم نظر الى ما هو فيه من الملك فلم يفعل ، فلما سلم على
يعقوب نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف ان الله تبارك وتعالى يقول
لك منعك أن تنزل الى عبدي الصالح ما أنت فيه أبسط يدك، فبسطها فخرج من
بين أصابعه نور، فقال: ما هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا انه لا يخرج من صلبك نبي

أبدأ عقوبة لك بما صنعت بيعقوب اذ لم تنزل اليه .

اقول : معنى النور الذي خرج من بين أصابعه ان النور الذي يكون فى صلب الانبياء ويخرج من صلبهم الى نبي آخر ولو بواسطة اخرج من بين أصابع يوسف عليه السلام ، فلم يبق معه نور يخرج من صلبه ليكون منه نبي او انبياء .

هذا ونحوه صدوره عن الانبياء يأول بما لا ينافى مرتبة النبوة كقوله عليه السلام « اذكرنى عند ربك »^(١) وغيره مما صدر من الانبياء واجيب عنه، وتفصيل ذلك فى كتاب تمزيه الانبياء لسيدنا المرتضى رضى الله عنه وغيره من كتب أصحابنا ان صح هذا الحديث ونحوه والله اعلم .

ومعنى ترجل نزل عن دابته فصار راجلا خلاف الراكب .

[حديث بكاء شعيب النبي]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده عن انس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمى فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله اليه : يا شعيب الى متى يكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك وان يكن شوقاً الى الجنة فقد ابحتك. فقال : الهى وسيدى أنت تعلم أنى ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبى فلست أصبر او أراك. فأوحى الله جل جلاله اليه: أما اذا كان هذا هكذا فمن هذا سأخدمك كليتى موسى بن عمران . قال الصدوق طاب ثراه : يعنى بذلك لأزال ابكى او أراك قد قبلتنى حبيباً .

اقول قوله تعالى «ان يكن هذا» الخ، لا ينافى علمه تعالى بما فى ضمير شعيب

(١) سورة يوسف : ٤٢ .

عليه السلام من عدم قصده ذلك ، لاحتمال ان يكون معناه ان بكاءك ان كان لاجل ما ذكر فقد أجرتك او أبحتك . وهذا لا ينافي العلم ، بل يفيد ان هذا ان كان مطلبك فقد أجبتك اليه ، يفيد ان مثل هذا يجيب به تعالى اذا قصده .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو اختبار شعيب عليه السلام وامتحانه بأنه اذا سمع ذلك ربما عدل عن مقصده الا صلى اليه اذا سمعه ، وعلمه تعالى بعدم عدوله لا ينافي ذلك كما هو جار في نظيره من التكليف بالامر والنهي ، فان الثبات على هذا ونحوه مع سماعه ما يمكن معه العدول مع ثبوت الاختيار مما يترتب عليه زيادة الرفعة والثواب وعلو الدرجة .

ونظير ذلك مثلاً ما لو قال السلطان لبعض عبيده ان كنت تخدمني لاعطيك ما لا عظيماً فقد بذلته لك وان كان لخوف من احد فأنا ظهرك ، مع علمه بأن خدمته ليكون مقبولاً عنده وحاضراً لديه اذا اراد لالماقاله ، فاذا اخبره بذلك ولم يطمع فيما ذكره له تأكد عنده ما قصده وأقبل عليه زيادة عن الاول .

ومثل هذا قد يجعله تعالى وسيلة الى زيادة القرب والاقبال منه وتحقق العبودية وثباتها من عبده ، فيرتب له على هذا الجواب هذه المنزلة العظيمة من خدمة موسى عليه السلام في الدنيا فما ظنك بمنزلة الآخرة .

ونظير هذا الحديث قوله تعالى لعيسى عليه السلام «أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين»^١ وقوله عليه السلام « ان كنت قلتة فقد علمته »^٢ فإنه يحتمل ان يكون القصد به الى ان يظهر من عيسى التبري مما افتروه عليه من ذلك مع عدم علمه به . والله اعلم .

وقول الصدوق أو أراك قد قبلتني حبیباً اراد به دفع ما يتوهم من ارادته اراة البصر ، وهذا ان كان تأويلاً منقولاً والأفا الظاهر أن حملة على معنى ماورد في

كلام امير المؤمنين عليه السلام أقرب الى هذا اللفظ ، وهو قوله لمن قال له هل رأيت ربك ؟ ما كنت أعبد رباً لم أره ، لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته اقلوب بحقائق الايمان . فيكون شعيب عليه السلام طلب رؤيته تعالى بهذا المعنى ، ولا ينافيه لزوم كون شعيب خالياً من هذه الرؤية ، لان المراد بها حينئذ الرؤية زيادة عما كان عنده منها^(١) .

وبهذا المعنى احاديث في كتاب التوحيد في معنى رؤية النبي صلى الله عليه وآله ربه بقلبه ، وذكر الصدوق رحمه الله هناك هذا بعد قول ابي عبد الله عليه السلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه فقال يعنى بقلبه ، وذكر حديثاً يدل على هذا المعنى .

بقي احتمال لقوله عليه السلام « أو أراك » وهو ان يكون اراد بذلك الى انقضاء الاجل ورؤيتك في الآخرة بالمعنى المقرر عند اهل الحق . والله اعلم .

[حديث الناس يعقلون ولا يعلمون]

ومن ذلك ما رواه فيه بسنده عن معمر بن يحيى قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : ما بال الناس يعقلون ولا يعلمون ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى حين خلق آدم جعل أجله بين عينيه وامله خلف ظهره ، فلما اصاب الخطيئة جعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره ، فمن ثم يعقلون ولا يعلمون .

أقول : الظاهر أن المراد بجعل الاجل بين عينيه والامل وراء ظهره وبالعكس انه سبحانه جعل نظره دائماً الى اجله وموته ، ومن هذا القبيل قولهم « فلان جعل

(١) بين وجه قبوله تعالى منه الرؤية ومناسبة خدمة موسى عليه السلام ان هذا الامر مترتب على ما طلبه ، فلا يتوهم عدم المناسبة ، ومناسبة ذلك على تفسير الصدوق ظاهرة « منه » .

الموت نصب عينه»، ومن كان كذلك كان دائماً طالباً للعلم مهتماً بتحصيله، فان الانسان اذا كان الاجل في فكره لنظره اليه دائماً كان ذلك باعثاً على تحصيل ما ينفعله قبل حلوله ومع ذلك لا يدري متى يحل فيجهد نفسه في تحصيل ما هو مطلوب منه من العلم ، بخلاف ما اذا كان وراء ظهره فانه حينئذ غائب أو كالعائب عنه، فلاجل ذلك لا يهتم لتحصيل العلم ويتناسى الموت وقربه فيفتقر عزمه عن العمل ويسوف ذلك الى وقت آخر وهكذا، اذ لا محرك له حينئذ على ذلك .

ونحوه الامل، فانه اذا كان وراء ظهره لم يكن بباله حيث لم يره فيقصر أمله ويزيد علمه وعمله، واذا كان الامل بين عينيه كان محط نظره وتناسى الاجل فلا يتعلم ولا يعمل ما هو مطلوب منه .

وهذه كنايةات او استعارات تشبيهاً لهما بما يلقى وراءه ويكون منظوراً دائماً ، وهو من فصيح الكلام وبليغه .

ولما انعكس الامر في آدم عليه السلام قبل حصول النسل منه كان أولاده كذلك .

والمراد منه السؤال عن عدم العلم مع ثبوت العقل ، ولا ينافي هذا ثبوت العلم لبعض الافراد بالتفاوت، لان العلم المنتفى هو العلم الحاصل لكل عاقل بقدر عقله، وهذا انتفاؤه وتفاوته يكونان بمراعاة الامل والاجل، فبقدر زيادة التغافل ونقيصته يقل ويزيد، فالعلم الذي ينبغي لكل أحد لم يحصل باعتبار تقدم الامل وتأخر الاجل، ولا ينافيه حصوله دون ذلك متفاوتاً . وفي تقديم الامل وتأخير الاجل من الحكمة البالغة ما لا يخفى .

هذا ، والنسخة التي نقلت الحديث منها سقيمة ، وفيها « يعلمون » بتقديم اللام على الميم، ويحتمل أن يكون محرفاً والاصل « يعملون » بتقديم الميم على اللام، وكأنه انسب بالمقام ، وحينئذ فالعلم داخل تحت العمل . والله اعلم .

[حديث تسمية الحسن والحسين عليهما السلام]

ومن ذلك ما رواه فيه باسناده عن عكرمة قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن جات به الى النبي صلى الله عليه وآله فسماه حسناً، فلما ولدت الحسين عليه السلام جاءت به اليه فقالت يا رسول الله هذا أحسن من هذا فسماه حسيناً .

اقول : هذا يحتمل وجهين :

احدهما انه عليه السلام سماه حسيناً بزيادة الياء لكون زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، فزاد في اسمه الشريف الياء لذلك .
والثاني: ان التصغير قديكون لذلك، فانه يستعمل في نظيره كثيراً فكذا فيه، فيكون فيه اشارة الى زيادة حسنه. ومن ذلك قول الشاعر :

ما قلت حبيبي من التحقير بل يعذب اسم الحب بالتصغير

وقول الاخر :

يا ما أميلج غزلا ناشدن لنا

ووقوع مثل هذا مشهور . ويحتمل أن يكون المراد ان الحسن عليه السلام أحسن فلذلك صغر اسم حسين ليفيد أنه دونه في الحسن مع عدم ارادة تحقير في التصغير بل للعدوبة والملاحة ونحوهما، ففيه حينئذ ما يدل على كونه دونه مع تحسين في مقابلة ذلك .

وقولها عليها السلام « هذا أحسن من هذا » يدل على ان الاثنين كانا معهما ذلك الوقت . والله اعلم .

[حديث خير الصفوف في الصلاة والجنابة]

ومن ذلك ما رواه فيه باسناده عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : خير

الصفوف فى الصلاة المقدم ، وخير الصفوف فى الجنائز المؤخر . قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال : سترة للنساء .

أقول : الظاهر ان السؤال بلم عن كون خير الصفوف فى الجنائز المؤخر ، فان كون خيرها فى غيرها المقدم معلوم أو كان معلوماً للسائل .
ووجهه ان المصلى قد لا يعرف كون الذى يصلى عليه رجلاً او امرأة، وكلمة كان الرجل بعيداً عن المرأة كانت مستورة عنه بغيره ، فاطرد الحكم لاجل ذلك وان كان الذى يصلى عليه رجلاً . والله اعلم .

[علة صوم ثلاثة ايام فى كل شهر]

ومن ذلك ما فيه فى علل الفضل بن شاذان رحمه الله فى صوم ثلاثة ايام فى الشهر قال : فان قال فلم جعل أول خميس فى العشر الاول وآخر خميس فى العشر الاخر وأربعاء فى العشر الاوسط . قيل : اما الخميس فانه قال الصادق عليه السلام تعرض كل خميس أعمال العباد على الله عز وجل فأحب ان يتعرض عمل العبد على الله وهو صائم . فان قيل : فلم جعل آخر خميس ؟ قيل : لانه اذا عرض عمل العبد ثلاثة ايام والعبد صائم كان اشرف وافضل من أن يتعرض عمل يومين وهو صائم^(١) ، وانما جعل أربعاء فى العشر الاوسط لان الصادق عليه السلام اخبر ان الله عز وجل خلق النار فى ذلك اليوم وفيه اهلك الله القرون الاولى وهو يوم نحس مستمر فأحب الله ان يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه .
اقول : هذه العلة مذكورة فى عيون الاخبار، وقد وقع فى النسخ تحريف فى قوله « عمل العبد ثلاثة ايام » فحرف ثلاثة بثمانية فأشكل معناه لذلك ، وكنت

(١) المراد أن العرض يقع لجميع الاعمال من كل خميس لأعمال الاسبوع فقط، وهو منشأ توهم كونها ثمانية « منه » .

قد كتبت عليه قبل أن أراجع كتاب العلل ان هذا اللفظ محرف من النساخ لقرب لفظ ثمانية من ثلاثة اذا كتبنا بغير الف ، ثم رأيت في العلل ثلاثة .

وقوله فيه « أما الخميس » الخ ليس التعليل فيه للاولية والاخرية والوسط ، بل لكون الثلاثة الايام التي يستحب صومها في أول الشهر وآخره ووسطه خميساً واربعاء وخميساً ، فالخميس الاول ليعرض العمل وهو صائم والاربعاء لما ذكر وصوم خميس آخر في آخر الشهر مع انه حصل صوم خميس في اوله ، لان عمل الشهر اذا عرض وفيه صوم ثلاثة أيام كان اشرف وافضل من أن يعرض وفيه صوم يومين وهما الخميس الاول والاربعاء ، فمعنى فلم جعل آخر خميس فلم يصام مع اليومين يوم آخر . والله اعلم .

[شبهة حول البراءة الاصلية]

ومن ذلك شبهة أوردت في كون البراءة الاصلية لاتصلح للاستدلال بها وحاصلها انه ورد في الحديث ما معناه «ان في كل شيء حكماً حتى في أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة » ، واذا كان لكل شيء حكم فكيف يقال ببراءة الذمة بعد أن ورد ما يقتضى اشتغالها .

أقول : قد أجبت عن ذلك من سألتني بأننا مكلفون بما يصل اليها حكمه على وجه يجوز لنا العمل به ، وقد نهينا عن قبول خبر الفاسق والمخالف لدين الحق ، وقد ورد عنهم عليهم السلام « كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى » و« الناس في سعة مما لم يعلموا » و« لا ينقض اليقين بالشك ابداً » و« ما حجب عن العباد فهو مرفوع عنهم » و« اليقين لا يرفع اليقين مثله » و« انظروا علمكم هذا عن تأخذونه ، فان في كل خلف منا عدوا لا ينفون عنه تحريف الغافلين وانتحال المبطلين » .

وفى حديث على بن حبيب قال : كتب ابو الحسن الاول عليه السلام وهو فى السجن : واما ما ذكرت يا على ممن تأخذ معالم دينك لاتأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فانك ان تعديتهم اخذت دينك عن المخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، أنهم ائتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرفوه وبدلوه، فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكته ولعنة آباءى الكرام البررة ولعنتى ولعنة شيعتى الى يوم القيامة - الحديث . وغير ذلك .

وقد ورد ايضاً : كل شيء لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه، وكل شيء طاهر حتى تعلم أنه قذر . ونحوه مما فيه تأييد لذلك .

وما ورد مما تضمن النهى عن تكذيب ما جاء عنهم عليهم السلام وان اتى به قدرى أو غيره ممن خالف دين الحق ، لادلالة فيه لان النهى فيه عن التكذيب وهو الجزم بكونه كذباً ، وهو لايدل على العمل به ، كيف وقد نهوا عن الاخذ عن غير العدل وعدم التكذيب شيء آخر . ووجهه ظاهر ، فانه محتمل للمصدق فكيف يحكم فيه بالكذب .

وهذا لايدل على العمل به ، والا لعمل بخبر كل مخبر ، ودين الله وأمنائه يجعل عن ذلك . على أن العمل بذلك يلزم منه الرد على الله وعليهم ، وبمثل هذا يحصل التساهل من امر الدين، فانه لا يحتاج الى ماحققه العلماء بل ينظر الى كل ما ورد ويعمل به حيث انه ورد عنهم .

نعم اذا حصلت قرائن تدل على صدقه عمل به من حصلت له لذلك،ولهذا كان المتقدمون رضوان الله عليهم يعمل الواحد منهم بخبر لايعمل به الاخر ولا يعتمد على مجرد روايته له أو العمل به، كما يظهر من عدم عمل الصدوق بكل ما يرويه محمد بن يعقوب بمجرد نقله في كتابه، وكما يرد الشيخ الطوسى أخباراً كثيرة يرويها الكلينى والصدوق ويظهر منهما الاعتمادعليها تارة بالضعف وتارة

بكونها اخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً وان اختلف الاصطلاح فى معنى الضعيف ، و كما يعمل به الصدوق مخالفاً لما يعمل به والده ، و كما يغلط الفضل ابن شاذان فى عدة مسائل فى الميراث .

وبالجملة فمن تتبع كلام المتقدمين رأى مدارهم على ما ترجح عند كل واحد العمل به بقرائن حصلت له من غير اعتماد على مجرد نقل الاخر ، حتى ان السيد المرتضى لم يجوز العمل بالاخبار من حيث هى لكونها اخبار آحاد كما صرح به فى رسالة خبر الواحد وغيرها . فالعجب من دعوى حصول علم لم يحصل لمتقدم ولا متأخر ولم يوافق عليه احد .

اذا تقرر ذلك فهب ان كل شىء ورد فيه حكم فنقول : اما أن يكون ذلك الحكم موافقاً لحكمه قبل ذلك او مخالفاً ، وذلك اما ان يكون التحريم أو الوجوب أو الاباحة أو الكراهة أو الاستحباب أو غير ذلك من أحكام الوضع ونحوها ، ومن المعلوم عند كل عاقل أنا غير مكلفين بذلك الحكم ما لم يصل الينا ، وقد نهينا عن أخذه ممن لا يعتمد على قوله ، فاذا لم ينقل الينا اصلاً وكنا مكلفين به حينئذ لزم تكليف ما لا يطاق وهو باطل ، وان وصل الينا ممن نهينا عن الاخذ عنه لم نكن مكلفين بذلك بمقتضى قولهم عليهم السلام المتقدم ونحوه .

فمن لم يعمل بالخبر الضعيف عنده ويستند الى البراءة الاصلية مراده بها هذا ، وكذا من يستند اليها مع عدم ظهور خبر أصلاً .

فظهر أن مرادهم بالبراءة الاصلية عدم تحقق التكليف بذلك الحكم حتى يصل اليهم على وجه يقتضى التكليف به ، فما لم يصل حكمه مرفوع ، ومن عمل بخبر ضعيف حث بقرائن مثل شهرة العمل به وغير ذلك كان مما نقل به الحكم عن الاصل المذكور ، وهذه القرائن قد تحصل لمكلف دون آخر ، فيعمل به

من حصلت له دون غيره ، وعليه بناء المتقدمين والمتأخرين ، وهو من وجوه الاختلاف الذى وقع منهم .

فظهر أن ليس المراد الاصل الذى هو الاباحة قبل أن يحكم الله تعالى بشيء فى هذه الشريعة .

على انه اذا قيل بأن الاصل فى الاشياء الاباحة بهذا المعنى ولم نعلم ان المحكم الذى وقع فى نفس الامر موافق لهذا أو مخالف له ، وقد امرنا بالتثبت فى العمل به ونهينا عن العمل كانت ذمتنا بريئة من التكليف به الى ان يحصل موجب ، ومجرد احتمال كون المحكم الوارد فى الواقع مخالفاً لهذا لا يقتضى شغل ذمتنا بذلك ، غاية احتمال ان يكون الامر فى الواقع هكذا ، وهو لا يفيد حتى لو فرض أن جميع ذلك قد نقل عن الرسول والائمة عليهم السلام ولم يصل بعضه الى المكلف على وجه يسوغ له العمل به وكان الواجب عليه التفحص عن ذلك ، فقبل ان يصل اليه مع بذل جهده أي عاقل يكلفه بما فى نفس الامر وخصوصاً فى مثل هذا الزمان وذهاب كثير من كتب الحديث بسبب الجور على اهل الحق .

وما تضمنه بعض الاخبار من ان الاحكام وردت عنهم عليهم السلام لثلايضع من فى اصـلاب الرجال وأرحام النساء لا ينافى ذلك ، فانه يمكن ورود ذلك عنهم لاجل ذلك ولكن باهمال المكلفين او عدم قدرتهم وتمكنهم ذهب بعض الاحكام وليس هذا بأعظم من كونهم عليهم السلام منصوبين لاقامة نظام الدين وارشاد الخلق مع عدم انقيادهم جميعاً اليهم وعدم تمكنهم بذلك مما نصبوا له ، فقد نصب تعالى للمكلفين الدليل وأقام لهم الحججة ، وعدم تمام ذلك من تقصير المكلفين لا من المكلف ، ولو اطاعوهم كما هو حقهم لانتشرت جميع الاحكام على وجه

العلم واليقين، وقد قال تعالى « ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (فترك من ترك العبادة باختياره كتضييع من ضيع نفسه باختياره وتقصيره فكما لاينافى ترك العبادة ماخلق لاجله لاينافى تضييع المضيع ماكان لاجل عدمه .

وحيث لم يحصل ذلك بتمامه ولم يبق ما يلتجأ اليه فى كل شىء على وجه اليقين والخصوص التجأ الخائفون من الله سبحانه الى المقذور من استخراج الاحكام مما هو موجود ما أمكن ، مع التحفظ بتقوى الله ومراعاة الاحتياط فى العمل ، وذلك قديختلف بحسب فهم المكلفين وتفاوت أنظار الناظرين ، ولا يكلف الله نفساً الا وسعها .

ومع هذا كله لم يحصل الضياع بحمدالله بالكلية لمن بذل جهده ولم يضل عن الحق من اتبع اهل الحق ، وقد مهد العلماء ما يحصل به النظام ان اتبع الحق بحسب المقذور .

ونرى من نشأ فى هذا الزمان وما قاربه ممن يدعون انا نعمل بالحديث لا يكاد يوافق واحدمنهم الاخر ولم يسلكوا طريقة أحد من المتقدمين والمتأخرين، يظهر ذلك لمن عرف وتتبع مع دعواهم عدم الاختلاف فى هذا الطريق ، ولا يعترف واحد منهم بما أفتى به الاخر الا لامرما ، ولا يتحرج فيما يقوله ان هذا مراد الله ورسوله والائمة عليهم السلام مع ظهور قدر بضاعتهم وفهمهم لمعانى الحديث وعدم اتفاهم ، فكل من سلك طريقاً مع دعواه العمل بالحديث سلك الاخر خلافه .

واذا اشتهرت مسألة افتى كل واحد بما يخالف الاخر، ولو افتوا بجميع المسائل لقل اتفاهم على أمر واحد ، ومن انصف وتتبع ظهر له صحة ذلك ، وقد اغتربهم العوام والجهلة والمائلون الى التساهل فى الدين وفى تحصيل العلوم

التى لا يعرف كلام الله ورسوله الا باتقانها ، فضاعت كتب الحديث الموجودة لعدم ضبطها ممن له اهلية الضبط ، وموهوا على ضعيفى العقول بأنا نقول لكم كلام المعصوم ومراده .

والمجتهدون يتكلمون من عند انفسهم وحيث لم يفرقوا بين الاجتهاد المذموم فى الحديث وغير المذموم تمسكوا بالذم الوارد ووقفوا فى اجتهاد غير معقول ورأى غير صواب ، وألقوا مثل ذلك الى من لم يكن ذانقدا يعرف ان كلام المجتهدين انما صدر عنهم بعد الفحص عن كلام الله وأمنائه وتكلمهم بما ورد عنهم بحسب ما وصل اليه جهدهم ووسعهم وكان راجعاً الى كلامهم عليهم السلام .

وهذا نظير القاء الصوفية الى الجهلة ورعاع الناس واشباه البهائم انهم يلبون اليهم عن الله بغير واسطة وعلماء الشرع يتكلمون بوسائط يمكن عدم صدقها . فقد ضيعت هاتان الفرقتان احكام الله عند الجهلة ومن ينقاد اليهم ، وسعوا على هدم الدين جهدهم ، وأوقعوا الناس فى التساهل فى تحصيل ما يجب تحصيله وضبط ما يجب ضبطه ، وسهولة ذلك مع تصويره بصورة الحق أفضت الى الكسل والتساهل .

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادى

ونسأل الله الهداية لنا وللمؤمنين ، ونعوذ به من الاملاء والغواية ، وهذا قليل من كثير اقتضاه المقام ولتمامه محل آخر افردته فى رسالة برز منها ما برز . والله الموفق لاتمامها ، وقد ذكرت طرفاً من هذا فى شرح الروضة البهية وشرح اصول الكافى .

[حديث معنى كان عزيزاً ولا عز]

ومن ذلك ما فى كتاب التوحيد للصدوق رضى الله عنه من جملة حديث عن

ابى جعفر عليه السلام مع الشامى حيث قال : أخبرك ان الله علاذكره كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً ولاعز لانه كان قبل عزه، وذلك قوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »^(١) وكان خالقاً ولا مخلوق - الحديث .

اقول : معناه - والله اعلم - انه كان موصوفاً بكونه عزيزاً أي غالباً وقاهراً ولاعز بفتح العين أي لاغلبة ولاقهر، اذ لاغلبة الابدغلوب والحال انه لم يكن مغلوب ولا قهر الا بمقهور ولم يكن مقهور ، فقد كان عزيزاً وخالقاً قبل العز والخلق .

وقوله عليه السلام « وذلك قوله » الخ ، يحتمل ان يكون المراد به انه رب العزة وهذا الوصف سابق على ما يصدق معه الغلبة كسائر أوصافه تعالى ككونه سمياً اذ لا مسموع وبصيراً اذ لا مبصر وخالقاً اذ لا مخلوق ونحو ذلك . والله تعالى اعلم .

[مسألة تقلص الظل وامتداده]

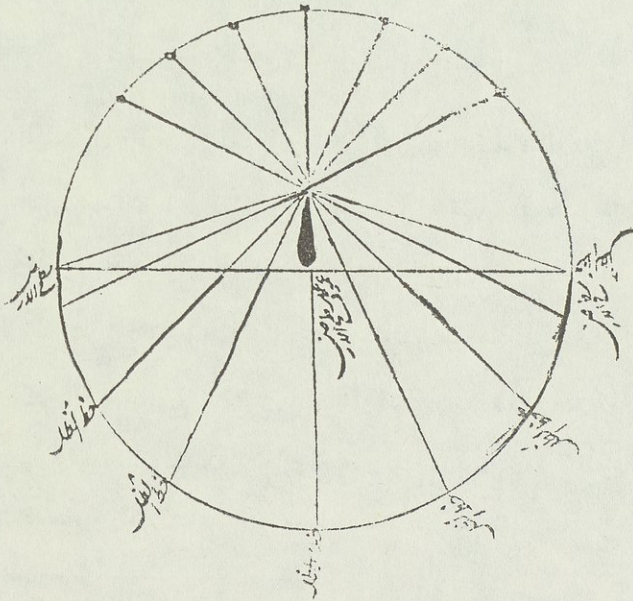
ومن ذلك قول القاضى البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فى سورة الرعد « ولله يسجد من فى السماوات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والاصال »^(٢) وتخصيصه الوقتين لان الامتداد والتقلص فيهما أظهر .

وأراد بالوقتتين الغدو والاصال ، وقد سئلت عن هذا فى مكة المشرفة وكان السائل يتوهم أنه لا ينبغى التفاوت بين الوقتين وغيرهما ومع كون حصول التفاوت ظاهراً وجدانياً ، كتبت له ما يوضح ذلك بوضع دائرة تتوقف معرفتها على هذه المقدمة، وذلك :

(١) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٢) سورة الرعد : ١٥ .

انا لو نصبنا شاخصاً على سطح دائرة الافق وجعلنا مدار الشمس دائرة مقاطعة
لها على زوايا قوائم فاذا برزت الشمس عن دائرة الافق كان ظل ذلك الشاخص
واصلاً الى دائرة الافق من جهة المغرب ، فنفرض الشعاع خطأ مستقيماً لولا
الشاخص لوصل الى الدائرة فيمتد ظله من حيث هو الى الدائرة ، فاذا ارتفعت
الشمس درجة مثلاً من المخطط الشعاعي برأس الشاخص وانحط عن دائرة الافق بمقدار
ما ارتفع والمفروض انه درجة فينحط درجة ، وهكذا كلما ارتفع درجة مثلاً انحط
كذلك ، فاذا وصل الظل الى دائرة الافق حصلت زاوية حادة ضلعاها خطان احدهما
من رأس الشاخص اليها والاخر من اسفله اليها والمخطط الاسفل كلما ارتفعت
الشمس قاطعة المخطط الاعلى وهو خط الظل بمقدار ما ينتهي به الى دائرة مدار
الشمس من أسفل ، فيحصل من أسفل زاوية حادة ثم لانزال تنفرج بارتفاع
الشمس الى ان تصير قائمة عند الزوال ، فاذا زالت الشمس انعكس ذلك تدريجاً



بقدر ما حصل أولاً لتساوي الحركة ، فبمرور خط الظل على سطح دائرة الافق بالطريق المذكور يعلم تفاوت ذلك ويظهر تفاوت الامتداد والتقلص . وهذه الدائرة المذكورة فتأملها يظهر لك وجه ذلك .

[حديث لم يزل الله يعلم]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه فى كتاب التوحيد باسناده الى حماد بن عيسى قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام فقلت : لم يزل الله يعلم ؟ قال : انى يكون يعلم ولا معلوم . قال : قلت فلم يزل الله يسمع ؟ قال : انى يكون ذلك ولا مسموع . قال : قلت فلم يزل يبصر ؟ قال : انى يكون ذلك ولا مبصر قال : ثم قال : لم يزل الله عليمًا سميعًا بصيرًا ذات علامة سمعية بصيرة .

اقول : معنى قول السائل لم يزل الله يعلم لم يزل يتجدد علمه بتجدد المعلوم ووجوده ، لدلالة صيغة الفعل ولو فى مثل هذا المقام على التجدد والدوام ، فيلزم من هذا كون بعض المعلوم قديماً او كون علمه تعالى حادثاً متجدداً اذ لم يتصف بالعلم الا بوجود المعلوم .

فأجابه عليه السلام بأن كونه تعالى عالماً ثابت له اذلا معلوم ، وكونه سميعاً ثابت له اذلا مسموع ، وكونه بصيراً ثابت له اذلا مبصر ، فليس علمه ثابتاً له بالمعلوم ليكون المعلوم قديماً او يكون علمه حادثاً بل علمه عين ذاته وقد كان ولا معلوم .

ومنه يعلم معنى لم يزل يسمع ولم يزل يبصر وجوابهما . وفى قوله عليه السلام « أنى يكون » بصيغة المضارع ما يدل على ذلك .

ومعنى قوله « لم يزل عليمًا سميعًا بصيرًا » انه لم يزل كذلك مع وجود

المعلوم وتعلق علمه به وعدمه ومع وجود المسموع والمبصر وعدمهما. ويوضح معنى هذا قول ابي عبد الله عليه السلام فى الحديث الذى قبله : لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته والعلوم والسمع ذاته والاسمع ذاته والمبصر ذاته والمقدرة ذاته والمقدور ، فلما أحدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدر - الحديث .

فان قلت : اذا كان تعالى لم يزل عالماً بكل شىء يلزم منه تعلق علمه بكل معلوم ، فيلزم منه قدم المعلوم .

قلت : هذه شبهة لا وجه لها ، فان علمه تعالى بحدوث الحادث وتعلق علمه به لا يلزم منه قدم ذلك الحادث وهو ظاهر .

ومعنى قوله عليه السلام « أنى يكون يعلم ولا معلوم » متى يصدق عليه تعالى انه دائماً يعلم بالمعنى الذى تقدم والحال انه تعالى كان عالماً قبل المعلوم ، لأنه عالم بالمعنى الذى ذكره السائل . والله اعلم .

[حديث من مات ولم يشرك بالله دخل الجنة]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه فيه بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات ولا يشرك بالله شيئاً أحسن أو أساء دخل الجنة .

اقول : هذا الحديث لا ينافى دخول بعض المسيئين النار بقدر جزاء اساءتهم اولاً ، فانه لا بد من دخوله الجنة بعد عذابه بما يستحقه لثلاً ينافى ما ورد مما يدل على ذلك كتاباً وسنة ، أو أن الاساءة قد يحصل منها ولو أدنى الشرك ولو عند الموت كما تضمنه بعض الاخبار ، فغير المشرك لا بد من دخوله الجنة . أو تحمل الاساءة

على ما يكون معه عفو أو أن كرم الله تعالى وعفوه اوسع من ذلك. والله اعلم .

[حديث خلق الايمان والجحود]

ومن ذلك ما رواه رضى الله عنه فيه باسناده الى عبد الرحيم القصير قال :
كتبت على يدى عبد الملك بن أعين الى ابي عبد الله عليه السلام الى ان قال عليه
السلام من جملة الجواب : فاعلم رحمتك الله أن المعرفة من صنع الله عزوجل
فى القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله فى القلب مخلوق ، وليس للعباد فيهما
من صنع ، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فبشهوتهم الايمان اختاروا المعرفة
فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك
كافرين جاحدين ضاللا ، وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله ، فبالاختيار
والاكتساب عاقبهم الله واثابهم - الحديث وهو طويل وهذاموضع الاشكال فيه .
اقول : معنى هذا ان الله من صنعه معنى معرفته ومعنى جحوده ، وقد دل
عبده على المعنيين من قبيل « وهديناه النجدين »^(١) فهو مثل قولك : الطريق
الموصل الى الخير والطريق الموصل الى الشر من صنعه تعالى . فقد صنع
فى قلب العبد معنى المعرفة ومعنى الجحود ، وعرفه حسن هذا وعدم حسن الاخر
وما يترتب له على متابعة كل منهما ، واعطاه القدرة والاختيار والاستطاعة لسلوك كل
منهما باختياره ، فهو باختياره يختار ما يريد منهما ، فاذا علم الانسان ودل على الايمان
ما هو وعلى الكفر ما هو وعلم ما يترتب له على المتابعة فاختار أحدهما لم يكن
اختياره الايمان أو الكفر منه تعالى ، بل من العبد بالاختيار والاستطاعة اللتين
ملكه اياهما .

والتوفيق لمن اختار الايمان والخذلان لمن اختار الكفر لايناقيان الاختيار

(١) سورة البلد : ١٠ .

بل من أتباع اللطف من المؤمن حصل له زيادة اللطف والتوفيق والعناية ، ومن عدم اتباع اللطف من الكافر حرم الزيادة من ذلك ، فالكفر الذى لم يكن منه تعالى هو كون الكافر كافراً باختياره الكفر . فظهر الفرق بين خلق معنى الكفر والدلالة عليه وخلق الكفر فى العبد .

وبهذا يندفع ما قد يتوهم من موافقة هذا الحديث لما يقوله أهل العجز . ومعنى قوله عليه السلام « وبشهوتهم الايمان » الخ ان الله تعالى ركب فيهم الشهوة ، وجعل بأيديهم متابعة ما تدعوهم اليه ومخالفته ، فباشتهائم وارانتهم الايمان اختاروا المعرفة وبشهوتهم وارانتهم الكفر اختاروا الجحود مع دلائلهم على ما يترتب على كل منهما عقلا وسمعاً .

وفى باب القضاء منه عن ابي عبد الله عليه السلام : كما ان بادىء النعم من الله عزوجل وقد نحلكموه فكذلك الشر من أنفسكم وان جرى به قدره . وبما تقرر يظهر معنى خلقه تعالى الشر فى بعض الاخبار ، وان ذلك لا يدل على أن الشر الذي يفعله العبد من فعله تعالى . والحاصل ان كل ما ورد من هذا القبيل فالمراد منه ما ذكر . . والله اعلم .

[معنى البداء]

ومن ذلك قول الصدوق رضى الله عنه فى باب البداء من كتاب التوحيد : ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بدا ندامة تعالى الله عن ذلك ، ولكن يجب علينا أن نفر لله عزوجل بأن له البداء معناه ان له ان يبدأ بشيء من خلقه فيجعله قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر الله عباده بأمر فى وقت الا وهو يعلم

من كونه تعالى فرغ من الامر ولم يظهر شيئاً بعد ذلك ولم يحدث شيئاً ، لانه
قدر كل شىء على وفق علمه من غير أن يحدث بعده شيئاً . وحاصل الرد عليهم :
انه تعالى يتجدد له تقديرات و ارادات كل وقت ويظهر بحسب المصالح السدى
يريدها .

وبذلك فسر الرضا عليه السلام فى حديث سليمان المروزي حيث انكر
البداء فقال له : ضاهيت اليهود فى هذا الباب . قال : اعوذ بالله من ذلك وما
قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود « يدالله مغلولة » يعنون ان الله قد فرغ من الامر
فليس يحدث شيئاً ، فقال الله عزوجل « غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا »^(١) .

فظهر أن معنى البداء ان الله سبحانه يحدث الاشياء ويقدم ما يشاء ويؤخر
ما يشاء - الى اخر ما ذكره الصدوق رحمه الله . وهو معنى قوله تعالى « بل يدها
مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فهذا هو البداء والله اعلم ، وما ذكره الصدوق مضمونه
مذكور فى هذا الحديث .

اذا تقرر ذلك فالبداء لما كان بمعنى الظهور والظهور قد يكون بمعنى بروز
الشىء الى الوجود مع العلم به قبل ظهوره كما يظهره تعالى ، وقد يكون بمعنى
يزور الشىء الى الوجود مع خفائه او خفاء وجهه قبل ظهوره عن ظهر لسه ،
وهذا محال نسبه اليه تعالى .

والظهور بالمعنى الاول منه تعالى بمعنى الاظهار ، فصار الشىء بذلك ظاهراً
منه تعالى ، كاحداث ما أراد احداثه وانشاء ما اراد انشاءه ومحو ما اراد محوه
واثبات ما اراد اثباته ونحو ذلك ، وقد يكون الظهور من غيره تعالى كما اذا
ظهر من العبد مثل صلة الرحم أو قطيعته أو صدقة ونحو ذلك ، فيظهر منه تعالى
ما جعل ذلك الشىء متعلق ارادته وحكمته .

(١) سورة المائدة : ٦٤ .

ومن المعلوم ان حكمة الله سبحانه اقتضت ربط بعض الاشياء ببعض وسببية بعض الاشياء لبعض ووقوع ما يريدته تعالى اذا علقه بوجود شيء ، فاذا ظهر من العبد صلة رحمه زاد في عمره الذي كتب له معلقاً على هذا ، وكذا اذا نقص من عمره فيمحسو الله ما يشاء ويثبت من هذا ونحوه كمحو ما ثبت من الشرائع ونسخه واثبات غيره .

وإذا ورد مثل هذا من مخبر صادق ثبت صدوره عنه تعالى فأى عاقل يتصرف بمقتضى عقله الناقص ويقول أي فائدة في هذا وما وجه هذا . على أن مثل هذا جار في خلق الكافر وعلمه تعالى بعدم ايمانه فتتصرف العقول الناقصة بأن تكليفه غير جائز مع علمه تعالى بذلك أو بنسبة جواز تكليف ما لا يطاق اليه تعالى . وبعد ثبوت الاختيار وحكمة التكليف وعدم تأثير العلم في المعلوم واثبات العدل له تعالى وتنزيهه عن القبيح والظلم والعبث ، يظهر فساد ذلك .

واقول : ان من حكمة التكليف لطف الله تعالى بالعبد وايصال التكليف الى المكلف ، فاذا بلغه أن صلة الرحم تزيد في العمر كان ذلك باعثاً على فعلها، واذا بلغه ان الزنا ينقص الرزق كان ذلك باعثاً على تركه ، وقس على هذا . فمقتضى الحكمة أن يكتب لهذا رزق معلوم ولذلك أجل معلوم ، وقد منحه الله ما يقدر به على تحصيل تلك الزيادة أو فعل ما يقتضي نقص ما كتب بحيث اسم يكن محتوماً فأى بعد في هذا . فاذا بلغ المكلف ذلك ففعل أو ترك باختياره ترتب له ما ذكر .

واهل الحق قائلون بتكليف الكافر بالاصول والفروع، وهذا مثله، والجواب عن الشبهة فيهما واحد. فظهر أن علمه تعالى يكون زيداً مثلاً يصل رحمه لا يقتضي كون الاجل المقرر له المعلق على ذلك لافائدة فيه .

ويوضح هذا ما اذا قال شخص لعبيده الذي يعلم منه العصيان ان اطعني

في أن تفعل كذا أعطيتك كذا درهماً وإن عصيتني ضربتك عشرين سوياً وكان غرض السيد بذلك اظهار عذره في ضربه ، فان ضربه من غير أمر ومخالفته بعده العقلاء ظالماً ، فاذا أمره فلم يأتهم لم يلمه عاقل على ضربه . ومثله ما لو علم انه يطيعه فاذا امره واعطاه ما قرره له كان معذوراً غير سفيه في الاعطاء لظهور استحقاق المطيع مثل ذلك ، غاية الفرق بينهما بأنه لو اعطاه من غير امر كان تفضلاً منه وقد لا يذم عليه لكن معرض لتسبته الى السفه ممن لا يطالع على حقيقة امره .

والله سبحانه وتعالى ليس من هذا القبيل ، فانه اذا تفضل بشيء لم يتهم بما يتهم به عبده ، والمفروض ان هذا من نحو باب التكليف وربط شيء بشيء ، ونحو هذا ما لو أمر بعض السلاطين أن يكتب كاتبه ويثبت ان كل من كان من خدمه وعماله يعمل كذا كان له من الاحسان زيادة كذا عما هو مقرر منه لخدمته ، فثبت ذلك في دفاتره ونحوها ووعده بذلك يقوي داعي من أراد تحصيل هذا النفع بذلك العمل مع قدرته عليه ، ومن تكاسل عن ذلك العمل وتركه فقد حرم نفسه ذلك النفع باختياره^(١) . ففي اثبات ذلك وتقريره من الفائدة ما هو ظاهر في غيره تعالى فما ظنك به وبحكمته وصدق وعده وعدم خلفه .

والحاصل ان البداء الذي امرنا باعتقاده هو الظهور بالمعنى الذي تقرر ، وهو موافق لمعناه لغة وعرفاً ، فانه اذا صدق بهذا مع التصريح من أئمتنا عليهم السلام به كان هو المراد .

(١) قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتابه المشتمل على جواب احدي وخمسين مسألة : المعنى في قوله عليه السلام « ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل » يعنى ما ظهر له تعالى فعل من أحد من اهل البيت عليهم السلام ما ظهر له في اسماعيل ، وذلك أنه كان الخوف عليه من القتل مشدداً والظن به غالباً ، فصرف الله عنه ذلك بدعاء الصادق عليه السلام ومناجاته منه فيه ، وبهذا جاء الاثر عن الرضا عليه السلام - انتهى كلامه عفى الله عنه « منه » .

وأما المعنى الآخر وهو الظهور بعد الخفاء على من ظهر له المقتضى لعدوله عن غيره إليه لذلك ونحو ذلك، فأى عاقل يعرف الله سبحانه ينسبه إليه ، وقد دل العقل والنقل على انه لا يعزب عن علمه شيء .

وفى باب البداء من كتاب التوحيد عن ابي عبد الله عليه السلام حيث سأله منصور بن حازم هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله ؟ قال لا ، من قال هذا فأخزاه الله . قلت : أرايت ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال بلى . قيل : ان يخلق الخلق فكيف يخبر بهذا من يأمر بالقول بالبداء ويعنى به ما نسبه غيرنا الينا من حملة على معنى ان ينشأ او يحدث شيء لم يكن ظاهراً عنده تعالى الله عن ذلك .

وبالجمله فاذا كان بمعنى الظهور - وهو يختلف معناه بحسب ما يتعلق به - فيقال بدامنه امر اذا ظهر فقط ، ويقال بداله اذا ظهر اما بعد خفاء او نشأله رأى غير الاول أو بالمعنى الآخر، ويقال ظهر عليه بهذا المعنى ، فالحمل على ما يليق حملة بجنابه تعالى متعين لا يجوز غيره مما يقع من الممكن الناقص المحتاج .

اذا تقرر هذا فقول الصدوق طاب ثراه : ومتى ظهر لله تعالى - الخ كان الظاهر أن يقول بدله : ومتى ظهر من العبد صلة لرحمه ظهرت من الله الزيادة في عمره اوزاد الله في عمره . فانه انسب بما تقرر، لكنه لما وجد في قول الصادق عليه السلام ما بدا لله بداء كما بدا له في اسماعيل اتى بهذه العبارة ، الا انه قال : وفى الحديث على الوجهين جميعاً عندى نظر . وكأن وجه النظر ما فيه من قوله « لله » حيث يشعر بتمدد الخفاء وان كان غير مراد ، فعلى هذا كان ينبغى ترك قول الصدوق لله .

وربما كان مراده عدم ثبوت الحديث عنده بالطريقين على وجه يعتمد عليه، وحينئذ معنى الظهور لله والبداء لله أن ظهور الاشياء له تعالى ليس على حد ظهورها

لغيره، فإن كون الفعل خالصاً مثلاً غير مشوب بشيء يقتضى المنع مما يترتب عليه مخصوص به تعالى، فظهور حقيقة كل ظاهر له دون غيره، فلهذا قال «لله» فليفهم.

ومنه يعلم معنى ما بد الله فى الحديث. والاولى ان يقال فى هذا التركيب من الحديث : انه من قبيل قولك ماظهر لزيد علم كما ظهر له فى هذا اليوم أو بهذا الكلام ونحوه، بمعنى ظهور علمه الان زيادة عن غيره، فظهور البداء منه تعالى فى اسماعيل لم يظهر له أي منه مثله بالنسبة الى من اخترم اجله لا الى كل شيء. وهذا وجد لطيف منطبق على معنى البداء وكونه متعلقاً به تعالى، فان ظهور ما يقتضى البداء من غيره تعالى وادخاله فى معنى البداء المبحوث عنه لادخل له الامن حيث ترتب البداء عليه، فاننظم معنى الحديث وظهر أن استدلال الصدوق رحمه الله على أنه بمعنى الظهور ثم قوله بعده «ومتى ظهر لله» الخ كما ترى. اللهم الا ان يكون مراده بالظهور من العبد ما لا دخل له بالبداء الا ترتب البداء عليه كما يأتى فى قوله «ان له ان يبدأ بشيء من خلقه».

وبالجملة فكلامه هنا وهناك مشعر بادخال الابتداء والظهور من العبد فى البداء، وكأنه فهمه من حديث الرضا عليه السلام وحديث ما بدا لله ولم يلاحظ الفرق ومعنى الحديثين قد ظهر لك بما قررتة وبما يأتى انه ليس من هذا. ويمكن التوجيه بما ذكرته مع بعده فتدبر.

فان قلت : مقتضى الحديث أن ظهور الاشياء يتفاوت بالنسبة اليه تعالى، وهو يقتضى تفاوت علمه.

قلت : التفاوت فى مثله يرجع الى ذلك الظاهر، كما تقول لم يحدث مثل هذا بمعنى أن هذا يتميز عن غيره مما أحدثه. ومعنى الحديث انه لما حصل من جماعة اعتقاد أن الامام بعد الصادق عليه السلام ابنه اسماعيل ظهر منه اختراجه قبل ابيه

وقد كان كتب له اجلا أزيد من هذا ليزول سبب اعتقادهم، ولا بعد في كونه تعالى جعل له عمراً أزيد من هذا معلقاً على عدم وجود السبب المذكور، فاذا حصل السبب وظهر نقصه كما ينقص عمر من قطع رحمه عما قدر له لولم يقطع الرحم ونحوه أمر الزيادة، فانه تعالى قد يعطى قدراً من العمر معلقاً على أن لا تحصل صلة الرحم، فاذا حصلت وظهرت بوجودها وتحققها له تعالى زاده عن ذلك القدر اما قدراً آخر أو ما كان معلقاً على ذلك أو ما يقتضيه جوده وكرمه من التفضل عليه .

وأى بعد في هذا بعد أن نصب للمكلفين من هو واجب الطاعة والاعتقاد فيه أنه امام، فاذا فعلوا باختيارهم ذلك وفاه عمره، واذا تركوا وعدلوا باختيارهم مع علمهم بأن صفات الامام فيه دون غيره نقصه . وقد تقدم ما يوضح هذا .

واعلم ان قوله رحمه الله « يجب علينا أن نقر الله عز وجل بأن ابدء » وقوله « معناه ان له ان يبدأ بشيء من خلقه فيجعله قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره » يمكن حمله على أنه ليس المراد به ان هذا معنى البداء بساعتبار هذا اللفظ، فان هذا ان بدأ المهموز بمعنى ابتداء ومعناه غير المعنى المذكور للبداء غير المهموز وان ذكره لكونه من افراد البداء وداخلا تحته من حيث ترتب البداء عليه، وقد أخذ من قول الرضا عليه السلام لسليمان المروزي في اثبات البداء « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده »^(١) « وبدأ خلق الانسان من طين »^(٢)، فان الظهور حصل من هذا الابتداء .

ولا يخفى ان ما فى الحديث لا يتوهم منه ما يظهر من كلام الصدوق طاب ثراه، فراجع الكلامين وتأمل تجد الفرق بينهما .

ومن كلام الرضا عليه السلام واحتجاجه على سليمان في اثبات البداء قوله:

(١) سورة الروم : ٢٧ .

(٢) سورة السجدة : ٧ .

وما انكرت من البداء ياسليمان، والله عزوجل يقول « أولم ير الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً »^(١) ويقول عزوجل « وهو الذى بدأ الخلق ثم يعيده » ويقول « بديع السماوات والارض »^(٢) ويقول عزوجل « يزيد فى الخلق ما يشاء »^(٣) ويقول « وبدأ خلق الانسان من طين » ويقول عزوجل « وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم »^(٤) ويقول عزوجل « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب »^(٥). ثم قال عليه السلام : رويت عن ابى عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال: ان لله عزوجل علمين علماء مخزوناً مكنوناً لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله، فالعلماء من اهل بيت نبيك يعلمونه. ومن هذا الحديث اخبرنى أبى عن آباءه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ان الله عزوجل أوحى الى نبي من أنبيائه: ان اخبر فلان الملك انى متوفيه الى كذا وكذا. فأتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط عن السرير وقال: يارب اجعلنى حتى يشب طفلى واقضى أمرى ، فأوحى الله عزوجل الى ذلك النبي ان أت فلان الملك فأعلمه انى قد أنسيت فى اجله وزدت فى عمره خمس عشرة سنة . فقال ذلك النبي : يارب انك تعلم أنى لم اكذب قط . فأوحى الله عزوجل اليه انما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يسأل عما يفعل - الحديث .

وهذا من قبيل ماتقدم فانه تعالى قد يعلق الزيادة على دعاء العبد وطلبه ،

(١) سورة مريم : ٦٧ وأول الاية « أولم يذكر الانسان » .

(٢) سورة البقرة : ١١٧ .

(٣) سورة فاطر : ١ .

(٤) سورة التوبة : ١٠٦ .

(٥) سورة فاطر : ١١ .

وقد قال تعالى « ادعوني استجب لكم »^(١) فاذا سأله العبد الزيادة في العمر وغيره واجابه تعالى يكون قد محاما كتب له أولا وأثبت غيره. وفائدة هذا توجه العبد الى الله عزوجل بالطلب والدعاء ونحو ذلك . فافهم هذا وتدبره فانه مهم في معرفة البداء والله تعالى اعلم .

وبه يندفع ما نسبته اليها من خالفنا من المعنى القبيح على أنه ورد من طرق العامة بهذا المعنى . قال في النهاية في حديث الاقرع والابرص « يد الله ان يبتليهم » أي قضى بذلك ، وهو معنى البداء هنا - انتهى . ولا يخفى عليك ان ارادة البداء بالمعنى المقرر من هذا الحديث ظاهرة ، وان حمله على القضاء انما هو لتوهم المعنى القبيح وفهمه منه ، ومعة لا يحتاج الى اخراجه عن معناه الى معنى آخر لا يدل عليه هذا اللفظ ولا تركيبه .

[حديث الرد على القدرية]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه في الكتاب المذكور في باب الاستطاعة باسناده عن سأل ابا عبد الله عليه السلام فقال له : ان لى اهل بيت قدرية يقولون نستطيع أن نعمل كذا وكذا ونستطيع ان لا نعمل . قال: فقال ابو عبد الله عليه السلام : قل له تستطيع أن لا تذكر ما تكره وان لا تنسى ماتحب ، فان قال لافقد ترك قوله وان قال نعم فلا تكلمه أبداً فقد ادعى الربوبية .

أقول: أحاديث هذا الباب وغيرها تدل على ثبوت الاستطاعة للعبد، ويظهر من هذا الحديث أنهم ادعوا الاستطاعة في كل ما يريدون مما يدخل تحته مثل هذا، بقرينة قوله عليه السلام قل له كذا ، وقوله فان قال لافقد ترك قوله وان قال نعم فلا تكلمه - الخ .

(١) سورة غافر : ٦ .

ولم يتعرض لما هو من باب الاستطاعة التي تكون للعبد فيما يقول له ، لان
الاستطاعة الثابتة له من الله انما تكون فيما يتعلق بتكليف العبد ، فدعوى ثبوتها
في غير ذلك باطله ومن ادعى مثل ذلك كان مدعياً للربوبية . فان هذا ونحوه
ليس من مقدور العبد ولا مما كلف به ، فلانفاة بين هذا الحديث وما دل على
ثبوت الاستطاعة .

وفي هذا المقام كلام لصاحب المغرب في معنى القدرية قال : وأما القدرية
فهم الفرقة المجبرة الذين يثبتون كل الامر بقدر الله سبحانه وتعالى وينسبون
القبايح اليه سبحانه، وأما تسميتهم بذلك أهل العدل والتوحيد والتنزيه فمن تعكيسهم
لان الشئ انما ينسب اليه المثلث لالتافي ، ومن زعم انهم يثبتون القدر لانفسهم
فكانوا به أولى فهو جاهل بكلام العرب ، فكأنهم لما سمعوا ما روي انه عليه السلام
قال « القدرية مجوس هذه الامة » هربوا من الاسم وان كانوا قد ارتكبوا مسماه .
وعن الحسن عن حذيفة ان النبي عليه السلام قال « لعنت القدرية والمرجئة
على لسان سبعين نبياً . قال : قيل ومن القدرية يا رسول الله ؟ قال : قوم يزعمون
ان الله قدر عليهم المعاصي وعذبهم عليها .

وعن مالك : يستتاب القدرية . قال : يعنى الجبرية .

وعن الحسن : ان الله بعث محمداً الى العرب وهم قدرية مجبرة يحماون
ذنوبهم على الله ، وتصديقه في قوله تعالى « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء »^(١) اعادنا الله من المجازفة والمكابرة
والالحاد في آياته تعالى - انتهى كلام المغرب .

ومما يصدق قول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الشيخ بعد منصرفه
من صفين : وتظن انه كان قضاء حتماً وقدرأ لازماً ، انه لو كان كذلك لبطل الثواب

والعقاب والامر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد ، فلم يكن
لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ، وكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن
ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء
الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها، ان الله تبارك وتعالى كلف
تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع
مكراً ولم يملك مفوضاً ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا ولم
يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار .

وفي رواية أخرى للصدوق في كتاب التوحيد زيادة قوله : فقال الشيخ بأمير
المؤمنين فما القضاء والقدر اللذان ساقانا وما هبطنا وادياً ولا علونا تلعة الابهما
فقال امير المؤمنين عليه السلام: الامر من الله والحكم، ثم تلا هذه الآية «وقضى
ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً»^(١) أي امر ربك ألا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احساناً - الحديث ففيه دلالة على ان القدرية هم المجررة .

واقول: انه خطر لي وجه في قوله عليه السلام «ولكان المذنب أولى بالاحسان»
الخ ، وهو أنه لو كان الامر كذلك لكان هذا الفعل لا يصدر عن عادل بل عن ظالم
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والمناسب بمن هذا شأنه عقوبة المحسن والاحسان
الى المسمى اعمالاً بمقتضى الظلم ، لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه ،
فيكون المذنب أولى بالاحسان باعتبار فعل الظالم ، والمحسن أولى بالعقوبة
لذلك . وهذا وجه لطيف .

وقد سئل بعضهم عن معنى الظلم فقال : هو أن تضع العصا موضع السيف
والسيف موضع العصا ، وكلاهما موضع الزجر بالكلام وعكسه .

(١) سورة الاسراء : ٢٣ .

والحديث المذكور فيه أهل بيت قدرية لادلالة فيه على أن كل من يقول بالاستطاعة يكون قدرياً ، فان هذا وقع في كلام السائل وجوابه عليه السلام يتعلق بما قالوه . وربما كان قول السائل قدرية من باب السب لهم لاخباراً عن اعتقادهم المقتضي لكونهم قدرية ، ولكن روى في باب القضاء والقدر من هذا الكتاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان القدرية مجوس هذه الامسة ، وهم الذين أرادوا ان يصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الآية «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر»^١ فقد دل هذا الحديث على أن منكري القدر قدرية .

ووجه الجمع بين هذا وما تقدم أن هذا يدل على ذم من أنكر القدر، وذلك دل على اثبات القدر على وجه لا يكون للعبد فعل ويكون مجبوراً وان كلامهما قدرى مذموم ، وأما من قال بالقدر واثبت الاستطاعة للعبد وهو النمط الاوسط فهو خارج عن الامرين مثبت للقدر على وجه لا ينافي الاستطاعة ولا يستلزم الجبر والقدر، اما بمعنى علمه تعالى بمقادير الاشياء أو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء كما فسره به الرضا عليه السلام او غير ذلك مما لا يحصل منه الجبر .

وبالجملة فمقتضى الحديثين كون منكري القدر مجوساً ومثبتى القدر على وجه يستلزم الجبر وعدم الاستطاعة مجوساً ، وقد استفيد من الاخبار غير هذين المخبرين مذمة كل من يعتقد ذلك ، وحينئذ فقول راوي الحديث الاول « ان لي اهل بيت قدرية » الخ معناه ظاهر مما تقرر . واعتقاد المعتزلة ان كان موافقاً لما في الحديث الثاني من كون الاستطاعة من العبد لا من الله قبلت فيهم شهادة الجبرية كما تقبل شهادتهم في حق الجبرية بالمجوسية . والله تعالى اعلم .

(١) سورة القمر : ٤٨ .

[حديث الاستطاعة بالله]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب باسناده الى ابراهيم عليه السلام قال: مر امير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون في القدر، فقال لمتكلمهم أبالله تستطيع أم مع الله أم من دون الله تستطيع ، فلم يدر ما يرد عليه ، فقال امير المؤمنين عليه السلام : ان زعمت انك بالله تستطيع فليس لك من الامر شيء ، وان زعمت انك مع الله تستطيع فقد زعمت انك شريك معه في ملكه ، وان زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادعيت الربوبية من دون الله عز وجل . فقال : يا امير المؤمنين بل بالله استطيع . فقال : أما انك لو قلت غير هذا لضربت عنقك .

اقول : معنى قوله عليه السلام بالله تستطيع بالاستطاعة التي اعطاك الله اياها ، وحينئذ ليس له من الامر شيء ، أى من الاستطاعة بحيث تكون من عنده ، واذا كانت الاستطاعة منه تعالى وأعطاه لعبده ليعمل بها ويستعملها فيما يريد مما يكون مقدوراً له لا ينافى ذلك الاختيار ولا يلزم منه الجبر كما يتوهمه من لم يتأمل هذا .

ومنه يظهر معنى الشركة واختصاص العبد بها وانهما شريكان ، أو ان العبد ادعى الربوبية يكون هذه الاستطاعة لم يخلقها له ولم يعطها اياها بل هو مستقل بها . ونحو هذا القدرة وغيرها ، فان الانسان اذا فعل بقدرته شيئاً كان فعله بالقدرة التي اعطاه الله اياها وجعل له الاختيار في التصرف بها وليس للعبد في هذه القدرة صنع بل هي منه تعالى وحده ، وقد منحه اياها يتصرف بها كيف شاء ، فلا دلالة فيه على نفى الاستطاعة وفعل العبد .

ونظير هذا من أعار غيره آلة ليستعملها كيف شاء ، فاستعملها كذلك ، فهذا

الاستعمال لا يدل على أنه لا صار بالاستعمال شريكاً لصاحبها، بل إنما استعمال آلة الغير وقد جعل له التصرف بالانتفاع بها .

فان قلت : تقدم في حديث آخر ما يدل على ان الله تعالى ملكه الاستطاعة، فلا يناسب التنظير بالعارية .

قلت : التنظير من حيث أن المملك له سلبها واخذها منه اذا أراد بحيث لا يكلفه بدونها ، فاشبهت العارية وأشبه تملكها تملك منافع العارية ، ولو لم يكن من هذا القبيل لم يدل التملك على ان للعبد في الاستطاعة صنعاً بل دل على عدمه . وهذا ظاهر والله اعلم .

[حديث الفرار من القضاء الى القدر]

ومن ذلك ما رواه في الكتاب بطريقه الى الاصبخ بن نباتة قال : ان امير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل الى حائط آخر ، فقيل له : يا امير المؤمنين نفر من قضاء الله ؟ فقال : أفر من قضاء الله الى قدر الله عز وجل .

اقول : معناه انه كان من قدر الله أنه عليه السلام ينجو بالعدول ومن قضاء الله المعلق على أنه ان بقي اصابه ضرره وان عدل خلص من ضرره ، فقد قدر تعالى سلامته بذلك . وكذا كل من رأى سبب الهلاك ونحوه ففر منه .

ومن المعلوم ان كل احد قادر على القاء نفسه الى التهلكة ونحوها ، فاذا لم يفعل يكون قد فر من القضاء بالمعنى المذكور ، مع أنه يجب على كل مكلف الفرار من مثل هذا القضاء بالهرب والدفء عن النفس ونحوه ، فلا اشكال فيه . والله اعلم .

[حديث لاتسبوا الدهر]

ومن ذلك ما قيل انه ورد في الخبر : لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله^(١).
اقول : على تقدير صحة الخبر معناه يحتاج فهمه الى تفصيل ، وهو انه قد
تقرر أن بعض ما يحدث في الدهر من فعل الله سبحانه وبعضه من فعل غيره ،
ومن المعلوم المقرر اتساع باب المجاز والاستعارات وورود ذلك كثيراً في
القرآن وغيره ، فاذا كان الاثر منه تعالى كان سب الدهر كأنه سب له تعالى ،
واذا كان من غيره لم يكن في سبه والشكاية منه حرج باعتبار وقوع ذلك فيه
مجازاً .

ويوضح ذلك ما لو كان لانسان ولدفمات بأجله فهذا مما لا يجوز سب الدهر
فيه ، ولو قتله قاتل وسب الدهر او حصلت الشكاية منه كانت الشكاية حقيقة ممن
وقع منه ذلك في الدهر ، وقد اسند مثل « عيشة راضية » الى غير من هي له ،
ونحوه « اسأل القرية » و« انبت الربيع البقل » وهو كثير .

وعلى الثاني يحمل ما نقله مصنفو مقتل الحسين عليه السلام كابن طاووس
رحمه الله وابى مخنف لوط بن يحيى وغيرهما من أنه عليه السلام لما حمل على
الاعداء أنشد هذه الايات :

يا دهر أف لك من خليل
كم لك بالاشراق والاصيل
من طالب بحقه قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل

الايات ، فان الشكاية فيها من الدهر شكاية من أهله .

ومن هذا القبيل مذمة امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للدنيا وشكايته منها

(١) نقل هذا الحديث السيد المرتضى رضى الله عنه في كتابه المجالس ، وقد رأيت

بعدها كتبت ما هنا « منه » .

كما هو ظاهر لمن تتبع كلامه ، ولا يليق نسبة مثلهم الى الشكاية من الدهر باعتبار ما وقع فيه منه تعالى . وحمل الكلام على اطلاقه لا يناسب مذهب اهل الحق ويرجع الى مسألة القضاء والقدر والجبر والاستطاعة ، ومذهب اهل الحق معلوم فيها . وقد وقع كثيراً في كلام العلماء والشعراء الشكاية من الدهر والزمان والدنيا والمعاني واحدة أو متقاربة وقد ذم تعالى من قال وما يهلكنا الا الدهر .

ومن لطيف ما قيل في ذلك لمناسبة في الجملة :

الدهر عندي لا محالة أحول فاسأل به من كان طبأ عاقلا
يرنو ليلحظ عاقلا فيرده حول بعينيه فيلحظ جاهلا
وقال آخر :

يا من علا وعلوه اعجوبة بين البشر
الدهر دولاب وليس يدور الا بالقر

وقال ابن دريد رحمه الله :

لاتحسبن يا دهر أنسي ضارع لنكبة تعرقنسى عرق المسدى
مارست من لوهوت الافلاك من جوانب الجو عليه ما شكنا
وقال آخر :

والدهر كالميزان يرفع كل ناقص

وقال آخر :

مستحدث النعمة لا يرتجى احشاؤه مملوثة فقير
جن له الدهر فنال الغنى ياويحه ان عقل الدهر

ولولا الاطالة لنقلت كثيراً من ذلك . والله اعلم .

[حديث رؤية الهلال قبل الزوال]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى الاستبصار بطريقه الى محمد بن عيسى قال : كتبت اليه عليه السلام جعلت فداك ربما غم علينا هلال شهر رمضان فنرى من الغد الهلال قبل الزوال ، وربما رأيناه بعد الزوال ، فترى أن نفطر قبل الزوال اذا رأيناه ام لا كيف تأمر فى ذلك . فكتب عليه السلام : تتم الى الليل فانه ان كان تماماً رؤي قبل الزوال .

اقول هذا يحتمل وجهين :

احدهما : وهو الاظهر باعتبار اضافة الهلال الى شهر رمضان أن يكون المعنى انه اذا صام الانسان ذلك اليوم على انه اول شهر رمضان أو محتمل لذلك ثم رؤي الهلال فيه قبل الزوال هل يجوز افطاره بناء على كونه من غير شهر رمضان أم لا بناء على كونه منه بسبب رؤية الهلال ؟

وجوابه عليه السلام على هذا حاصله انه اذا كان شهر رمضان تماماً رؤي هلاله فى أوله قبل الزوال فلا ينبغى افطاره .

الثانى : ان تكون الاضافة الى شهر رمضان المراد منها هلال شوال ، والاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة ، ومعنى الجواب حينئذ انه لا ينبغى الافطار ، فان شهر رمضان اذا كان تماماً رؤي هلال شوال فيه قبل الزوال ، فيكون ذلك اليوم من شهر رمضان . وكأن هذا اقرب والله اعلم .

[حديث فرار موسى من أمه]

ومن ذلك حديث نقله الصدوق رضى الله عنه وأظنه فى كتاب العلل فى معنى قوله

تعالى «يوم يفر المرء من أخيه * وامه و أبيه» (الاية . وفيه ان الذى يفر من أمه موسى عليه السلام .

وقد خطر لي فيه وجه ، وهو أن الانبياء عليهم السلام فيهم من الطباع البشرية ما فى غيرهم فى الجملة ، وموسى عليه السلام لما ألقته امه فى اليم ربما خطر بباله وقوع ذلك منها فيفر لذلك .

ويؤيد هذا قوله تعالى « يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * فأوحس فى نفسه خيفة موسى »^(٢) فقد خاف ممالا حقيقة له باعتبار غلبة الطبع البشرى . والله تعالى اعلم .

[آيات للمؤلف فى المعنى]

ومن ذلك من جملة ما نظمته فى عنفوان الشباب آيات من باب المعنى منها بيتان فى اسم مراد :

يا كاملا فى هواه	اتفقت روحى ومالى
أردت سقم فؤاد	اذ لات حين وصال
ومنها بيتان فى اسم سليمان :	
ايام حسنك كم أودى بها دنف	مثلى وكم ثم قلب فيك قد علقا
يا من له فى فؤادى منزل حسن	رحب اذا يدعيه الغير ماصدقا
ومنها فى اسم مروان :	
وقائلة هل أنت مضمئى بحاجبى	ام الثغر ام اضناك هجر الحبايب
فقلت لها جودى بوصلك واطركى	حديثاً مضى ما بين ثغر وحاجب

(١) سورة عبس : ٣٤ - ٣٥ .

(٢) سورة طه : ٦٦ - ٦٧ .

حل الأول بحسب اصطلاحات اهل المعنى العربى : أن اردت رديفه رمت
وسقم رديفه فى الجملة داء وفؤاد رديفه قلب ، والمراد بالقلب العكس فى كل
من رمت وداء ، فاذا اسقطت التاء من رمت حين وصال مر باد حصل مراد .

وحل الثانى ان المراد عدد كم وهو ستون والسين بستين ، والمراد بكم
ثم قلب نقص ثم المقلوية من مثلى فقد حصلت السين واللام والياء من مثلى
بعد نقص ما ذكر ، وتمتة الاسم تحصل من ما صدق فانه بمعنى كذب ورديف
كذب مان .

وحل الثالث ان المراد بالثغر الميم وبالحاجب النون والحديث الماضى حدث
ورديف حدث روى ، فاذا ترك أى وضع روى ما بين الميم والنون صار مروان .
ولم يتفق لاحد من اهل هذه الصناعة حل الايات المذكورة فلهذا ذكرت
حليها .

[حديث النافلة التى تراحم الفريضة]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب بسنده الى اسماعيل بن
عيسى قال : سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يصلى الاولى ثم يتنفل فيدركه
وقت العصر من قبل أن يفرغ من نوافلته فيبطل بالعصر ثم يقضى نوافلته بعد العصر
أو يؤخرها حتى يصليها فى وقت آخر ؟ قال : يصلى العصر ويقضى نوافلته فى
يوم آخر .

أقول : لا يبعد ان يكون فيبطل محرفاً والاصل فيبتدىء فانه قريب منه فى
الصورة . وهذا موافق لنظم السؤال وموافقة الجواب له .

ويؤيده فى الجملة تكرير « ابدأ » فى احاديث الباب ، وأما يبطل فلا يكاد
يتصور له معنى خال من التكلف ، وغاية ما يتكلف له أن يكون المعنى فيتم

النافلة ويبطى بالعصر حينئذ ثم يقضيها بعد أن صلاها . ويكون السائل ظن أو توهم أن مثل ذلك جائز من حيث أنه لما شرع فيها لزمه ان يتمها ثم يقضيها . أو يقال ان ثم بفتح المثلثة والمعنى فيبطى بالعصر لو أتم النافلة فيؤخرها عن وقت الفضيلة أيقضى نافلته بعد العصر في هذه الصورة او يؤخرها - الخ . وقوله عليه السلام « ويقضى نافلته في يوم آخر » ربما كان وجهه ان القضاء لما كان بمعنى الاتيان بالفعل من قبيل « فاذا قضيت الصلاة » وبمعنى القضاء المعلوم ، كان ذكر اليوم الآخر لدفع توهم ارادة المعنى الاول . والله اعلم .

[حديث مجارى العيون]

ومن ذلك ما ورد في بعض الاخبار ان مجارى العيون مع مهب الشمال . اقول : خطر لى توجيه لذلك ، وهو أنه قد تقرر ان جهة الشمال باردة يابسة وجهة الجنوب حارة رطبة ، فميلانه الى جهة الجنوب لموافقته لما ذكر كما لو وضعت قطعة من الماء الجامد فى مكان وكان فى احدى الجهات نارقريية منها فان الماء يسيل منها الى جهتها .

ويمكن اعتبار وجه آخر ، وهو أن الله سبحانه جعل بمقتضى حكمته للشمس والقمر تأثيراً فى العالم السفلى بحيث يكون له بهما تمام التعلق ، وتأثيرهما فى ذلك ظاهر ، ومن ذلك ما يظهر من توجه ورق الأشجار والنبات وميله الى جهة الشمس ونموه بمشاهدتها ، فالماء يمكن أن يكون من هذا القبيل ، ومن المعلوم أن الشمس لاتتجاوز الميل الكلى من منطقة البروج ، فماتجاوز مسامته تمام الليل من جهة الشمال يكون طالباً جهة الشمس ، ولما كانت تنتهى الى الميل الجنوبي مع كون المعمور شمالياً عن خط الاستواء الا ماقل^(١) كان ماعدا ما تجاوز الميل الشمالى

(١) احترز بما قل عن بعض أطراف الزنج والحبشة ، فانه لا يزيد عرضها عن ثلاث

متوجهاً الى جهتها ايضاً ، فلماذا كان الماء يجرى من الشمال الى الجنوب ، فما كان جارياً على وجه الارض ووجهه على هذا ظاهر ، ولا يبعد ان يكون ما فى بطن الارض طالباً للجهة المذكورة .

ومما يقرب ذلك انك ترى شجرة مغروسة فى مكان لا تقابل فيه الشمس فلا تزال تمتد طلباً لمشاهدتها وان لم تشاهدها ، وترى شجرة قريبة من حائط تميل عن جهته طلباً لذلك ، وتأثير القمر على نحو ذلك . ولم أر من تعرض لذكر هذين الوجهين والله تعالى اعلم .

[قول الصدوق وينام فى المسجد]

ومن ذلك قول الصدوق طاب ثراه فى الفقيه فى أحكام الجنب : وينام فى المسجد ويمر فيه .

اقول : ينسب الى الشيخ بهاء الدين طاب ثراه انه حمله على النوم حال العبور من غير لبث ، وهذا بعيد .

وقد خطر لى وجه كتبه فى حواشى الفقيه ، وهو انه مبنى على جواز اللبث فى المسجد للمتيمم ، فمادام مستيقظاً كان لبثه جائزاً واذا نام ارتفع عنه التكليف . فتأمل .

[وجه تغطية الرأس وقت التخلى]

ومن ذلك ما ذكره علماؤنا رضوان الله عليهم من تعليل تغطية الرأس وقت التخلى بالحذر من وصول الرائحة الخبيثة الى دماغه .

اقول : يمكن أن يقال فى وجه وصول الرائحة الى الدماغ مع الكشف وعدم وصولها مع التغطية ان الشعر له مسام ينفذ منها البخار ونحوه ، فاذا كان

مكشوفاً دخلت الرائحة الى الدماغ بخلاف ما اذا كان مغطى فان المسام تكون
حيثئذ مسدودة بالغطاء .

ويدلك على ذلك ما اذا كان لمكان بابان فانه بذلك يتحرك الهواء وينفذ ،
بخلاف الباب الواحد . والله اعلم .

[حديث ان العلماء ورثة الانبياء]

ومن ذلك ما رواه محمد بن يعقوب رضي الله عنه في الكافي أن العلماء
ورثة الانبياء ، وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما اورثوا احاديث من
احاديثهم ، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً .

أقول : قد ذكرت ما يتعلق بمعنى هذا الحديث في شرح اصول الكافي وهو
الدر المنظوم من كلام المعصوم وحاصله : ان هذا الحديث يدل على خلاف ما
ادعى من معنى قوله صلى الله عليه وآله « نحن معاشر الانبياء لانورث » ، وذلك
لانه عليه السلام لما قال : ان العلماء ورثة الانبياء ربما توهم من هذا الكلام ان
الانبياء لا يورثون صاحب الميراث المالي ، فاستأنف عليه السلام ذلك وعلمه
بقوله « وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً » الخ . ومعناه ان الوارث
هنا انما يرث وان كان اجنبياً من حيث النسب ، لان الانبياء لم يتركوا لوارث
المال شيئاً مما ذكر يصل اليه بالميراث النسبي ونحوه حتى يكون مختصاً بهم
بل ورثوا احاديث من احاديثهم ، وذلك لا يختص به الوارث للمال .

وحمل التورث على ما ذكره هو الذي يقتضيه المقام وسياق الكلام ، فلا يرد
انه عدل عن غيره مع احتمالهما او ظهور المعنى الاخر .

والدرهم والدينار يحتمل أن يكون المراد بهما النوعان ، وان يكونا كناية
عن المتروكات أو عن الشيء المعتمد به .

وان ثبت توريت بعض الانبياء على احد الواجه اجيب ببعضها وبتخصيص
العام وان الحكم باعتبار الاغلب ، وطلب فاطمة عليها السلام الميراث يمكن
أن يكون طلباً لحقها من هذه الجهة حيث منعت من غيرها .

قال والدي طاب ثراه : قد يقال ان هذا الخبر يدل على ما ادعى لاجل منع
فاطمة عليها السلام ، والحال ان الاصحاب لم يتوجهوا اليه . ويمكن الجواب بأن
المراد نفي التوريت من حيث النبوة ، وأما من حيث غيرها فالميراث منهم ،
ويدل عليه ارث العلماء منهم فانه انما يتعلق من حيث النبوة ، حيث ان العلماء
ورثة الانبياء في هذا الخبر ، فلماذا كر عليه السلام ذلك أراد نفي ارادة توريت المال
بل العلم - انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

رأيته بعد ما كتبت مضمون ما تقدم في حاشية المعالم .

[الاضداد اللغوية]

ومن ذلك ما انتخبته مختصراً من كتاب الاضداد للصغاني :

(الالف)

المأتم : للنساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .

الازر : القوة والضعف .

اسد : اذا جزع وجبن واذا جسر كالاسد .

افد : اذا اسرع واذا ابطأ .

الا : اذ جهد واذا قصر .

امر اصم : اذا كان صغيراً واذا كان كبيراً .

لا ام له : يكون مدحاً ويكون ذماً .

الامة الواحد الصالح والجماعة .

الامين المؤمن والمؤمن .
امرأة أيم : اذا كانت بكرأ لم تتزوج واذا مات عنها زوجها .

(الباء)

ابتز : اذا اعطى واذا منع .
البتز : القليل والكثير .
برح : اذا ظهر واذا استتر .
برد برد واسخن .
البسل الحلال والحرام .
البطانة : البطانة والظهارة .
بعد بمعنى بعد وبمعنى قبل .
بعض الشيء بعضه وكله .
البكر التى لم يدخل بها والتي دخل بها .
بلج بشهادته كتمها واظهرها .
البلهاء الناقص العقل والكاملة .
بان عاش واذا هلك .
بيضة البلد مثل فى المدح والدم .
بعث الشيء وابتعثه اذا بعته واذا اشتريته .
البين الوصل والقطع .

(التاء)

التبيع التابع والمتبوع .
ترب كثر ماله وقل .
التلعة ما ارتفع وما انحدر من الارض .

(الجسيم)

- جبا طلع واستتر .
- جد: أعطى وسأل.
- الجعفر النهر الكبير والصغير .
- جفأت الباب واجفأته : اذا فتحته واذا أغلقتة .
- الجلل الصغير والكبير .
- اجل ضعف وقوى .
- الجن: الجن والملائكة .
- الجنون الابيض والاسود .

(الحاء)

- حرس الشيء حفظه وسرقه من المرعى .
- الحرف الناقة العظيمة والمهزولة .
- حسب شك وايقن .
- الاحمر الاحمر والابيض .
- الحميم الماء الحار والبارد .
- الاحوى الاخضر والاسود .

(الخاء)

- خبث النار: اذا سكنت واذا حميت .
- الخجل المرح والكسل .
- الاخضر الاخضر والاسود .
- الاخفاء الاظهار والكتمان .
- خلت بمعنى الشك وبمعنى اليقين .

(الدال)

دون بمعنى تحت وفوق .

(الراء)

الرجا والارتجا الخوف والطمع .

مرحبا بفلان اذا ارادوا قربه واذا لم يريدوا قربه .

ارديته املكته واعنته .

الرس الاصلاح والافساد .

الركوب الراكب والمركوب .

رتق اذا كدر واذا صفى .

اراح الرجل اذا مات واذا استراح .

(الزاي)

الزبية الحفرة والمكان المرتفع .

الزوج الزوج وانفرد .

الزاهق السمين والمهزول .

زال المكروه اذا تنحى وزاله اذا نحاه .

(السين)

سيد شعره اذا حلقه واستأصله واذا اكثره وطوله .

الساجد المنحني والمنتصب .

المسجود: المملوء والفارغ .

سجرت البحار ملئت وفرغت .

الساحر المدموم المفسد والمحمود العالم .

السدفة الظلمة والضوء .

أسررت أظهرت وكتمت .

الساقب القريب والبعيد .

السليم السالم والملدوغ .

الاسود الاسود والابيض .

سمته بعيرى اذا عرضته ليشترية، وسمته بعيره اذا اردت اشتراهمنه، وكذلك

استمته .

سوى الشىء نفسه وغيره .

(الشين)

المشب المسن والشاب .

الشجاع القوى والضعيف .

الاشراط الاشراف والاراذل .

الشرف الارتفاع والانحدار .

الشراء والاشتراء الشرى والبيع .

الشعب الجمع والتفريق .

الشف الفضل والنقصان .

اشكياته الجأته الى الشكاية وازلتها عنه .

الشمم القرب والبعيد .

امرأة شوهاة حسنة وقبيحة وواسعة الفم وصغيرته .

(الصاد)

تصدق اذا اعطى واذا سأل .

الصارخ المغيث والمستغيث .

الصريم الليل والصبح .

صرى اذا جمع واذا قطع واذا تقدم واذا تأخر واذا علا واذا سفل .

الصلاة مسجد المسلمين وكنيسة اليهود .

(الضاد)

الضد الخلاف والمثل .

ضعف الشيء مثله ومثلاه .

ضاع الشيء غاب وفقد وظهر وتبين .

(الطاء)

الطرب الحزن والفرح .

الطاعم الكاسى للفاعل والمفعول .

اطلبه اعطاه ماطلب والجأه الى الطلب .

طلع طلوع وغاب .

طل دمه اذا بطل وطل فلان دمه اذا ابطله .

طمر اذا علا واذا سفل .

(الظاء)

المتظلم الظالم والمظلوم .

الظن اليقين والشك .

الظهورى المعين والمطرح الذى لا يلتفت اليه .

الظهارة الظهاره والبطانه .

(العين)

اعتذر اتى بعذر واذا لم يأت به .

عزرتة اكرمته ولتمته .

عزرتة ادبته وعظمتة .

العسيسة اقبال ظلمة الليل وادبارها .

العاصم العاصم والمعصوم .

عفاكثر ودرس .

اعقل الرجلين اذا كانا عاقلين ، واحدهما اكثر عقلا ، واذا كان احدهما

احمق .

اعند صاحبه عارضه بالخلاف والوفاق .

(الغيبن)

الغابر الماضي والباقي .

الغريم الطالب والمطلوب .

(الفناء)

المفجوع المفجوع والفاجع .

افرطته اذا قدمته واذا اخرته .

افرع وفرع اذا صعد واذا انحدر .

تفكه تلذذ وتندم .

فازنجا وهلك .

والمفاوزه المنجاة والمهلكة .

فوق اعلى ودون .

افاد مالا استفاده وافاد مالا اذا كسبه غيره .

(القاف)

القرء الحيض والطهر .

قرظ مدح وذم .

القريع الكريم والمرذول .

المقرن القوي والضعيف .

- قزع اسرع وابطأ .
- قسط جار وعدل .
- القشيب الجديد والخلق .
- استقصيت الحديث اذا اختصرته واذا لم تدع منه شيئاً .
- قعد اذا قعد واذا قام .
- القانع الراضى بما قسم له والسائل .
- القنوع الصعود والهبوط .
- المقوى الكثير المال والذى لامال له .

(الكاف)

- الكأس الاناء الذى يشرب فيه والماء المشروب .
- الكرى المستأجر والمستأجر .
- الطاعم الكاسى اذا كانا فاعلين واذا كانا مفعولين .
- كل بمعنى كل وبمعنى بعض .
- كان للماضى وللمستقبل .

(اللام)

- اللحن الخطأ والصواب .
- لطح اسمه اثبته ومحاه .

(الميم)

- المسيح عيسى عليه السلام والدجال .

(النون)

- نوت بالحمل اذا نهضت به وناءبى الحمل ايضاً .

- النداء الضد والمثل .
- نسيت غفلت عن الشيء وتركته متعمداً .
- النقد الكبار من رذال الضأن والصغار منه .
- الناهل العطشان والريان .
- الناس من الانس ومن الجن .
- النائمة الميتة والحية .

(الواو)

- وثب قام وجلس .
- اودعته اعطيته مالا وديعة وقبلت وديعته .
- اوزعته اغربته ونهيته .
- الوصى الذى يوصى والذى يوصى اليه .
- المولى المنعم والمنعم عليه .
- الواقق المحب والمحب .

(الهاء)

- الهاجد والمتهجد المصلى والنائم .
- هجد نوم واسهر هوى اذا صعده واذا نزل .

[الافعال التى هى بالواو والياء]

ومن ذلك ما احببت نقله فى هذا الكتاب وهو الافعال التى جاءت لاماتها بالواو والياء، وقد عقد لها ابن السكيت باباً فى اصلاح المنطق وابن قتيبة باباً

فى ادب الكاتب ، ولا يخالو المنتسخ منه من سقم فينبغى مراجعة بعض ألفاظه
وقد نظمها ابن مالك فقال :

وكنوت احمد كنيمة وكنيته
شيئاً يقول قنوته وقنيته
وحنوته عوجته كحنيته
ورثوت خلا مات مثل رثيته
وشأوته كسبته وشأيته
وحلوته بالحلى مثل حلته
وطهوت لهما طابحاً كطهيته
وخزوته كزجرته وخزيته
ومحوت خط الطرس مثل محيته
وسحوت ذاك الطين مثل سحيته
ونقوت مخ عظامه كنعته
وكذا السقا مأوته ومأيته
وحشوت عدلى ناقتى كحشيته
وفى الاختبار منوته كمنيته
فاعجب لبرد فضيله وشتيته
واسوت جرحى والمريض اسيته
واذوت مثل حلته واذيته
من ذاك ابهى قل بهوت بهيته
وغطوته وغطيته غطيته
وحكوت فعل المرء مثل حكته

قل ان نسيت عزوته وعزبته
وظفوت فى معنى طفيت ومن قنى
ولحوت عودى قاشراً كالحيته
وقلوته بالنار مثل قلته
واثوت مثل اثيت قل لى وشى
وصفوت مثل صغيت نحو محدثى
وسخوت نارى موقداً كسخيتها
وجبوت مال جهاتنا كجبته
وزقوت مثل زقيت قلبه لطائر
أحشو لحشى الترب قل بهما معاً
وكذا طلوت طلي الطلى كطليته
وهذوتهم كهذيتهم فى قولكم
مالى نما ينمو وينمى زاد لى
واتوت مثل اتيت جئت فقلهما
ونحوته ونحيته كقصده
واسوت مثل اسيت صالحاً بينهم
ياء وواو للحليب خثوره
وبأوت ان تفخر بأيت وان تكن
والسيف اجلسوه واجليه معاً
وجأوت برمتنا كذلك جأيتها

ونجوت مثل نجيت قل متفطناً
وخفاؤه وخفاته لطفاً به
وحزوت مثل حزيت حينك مسرعاً
ومعا اذا اعترض السحاب بروقه
ودنوت مثل دنيت قد حكيا معاً
واذا ما كبل باب الماهم ذرا
وكذا اذا ذرت الرياح ترابها
واو ويا ذاحين يسرع غاية
ووطوتها ووطيتها جامعتهما
وربوت مثل ربيت فيهم ناشياً
وسأوت ثوبى قبل سأيت مددته
وكذا سنت تسنو وتسنى نوقنا
والضحو والضحي البروز لشمسنا
ظبو وظبى غيرته النار او
وطبوتيه عن رأيه وطببته
والله يطحو الارض يطحها معاً
يطمو ويطمى الشىء عند علوه
عنواً وعنياً حين تنبت ارضنا
عجواً وعجياً ارضعت فى مهلة
عمواً وعمياً حين يسقف بيته
غفواً اذا ما نمت قبل هو غفية
وعدوت للعدو الشديد عدت قل

ودأوته كخنتلته ودأيته
وحبوتيه وحببته اعطيته
ودهوتيه بمصيبة ودهيته
ودحوت مثل بسطته ودحيتيه
وكذاك يحكى فى شكوت شكيتيه
وذروت بالشىء الصبا وذريتيه
وذروت شيئاً قله مثل ذريتيه
وفتحت فى سحوته وسحيتيه
واذا انتظرت بقوته وبقيتيه
وبغوت جرماً جاء مثل بغيتيه
وشروت اعنى الثوب مثل شريتيه
ونجا بنا ورعوته ورعيتيه
وعشوته المأكول مثل عشيتيه
شمس كذا بهما مصوت رويتيه
وكذا طبوت صبيننا وطببته
وطحوتيه كدفعته وطحيتيه
وفأوت رأس الشىء مثل فأيتيه
وكذا الكتاب عنوته وعنيتيه
وفلوتيه من قلمه وفليتيه
وغطوتيه ألمته وغطبته
وقفوت جثت وراه وقفيتيه
بهما كروت النهر مثل كريتيه

نضبوا ونضيباً جئته مستمراً	ولصوته كقذفته ولصيته
ومشوت ناقتنا كذلك مشيتها	وإذا قصدت نحوته ونحيته
ومقوت طستى قبل مقيت جلوته	وإذا طليت عروته وعريته
ونأوت مثل نأيت حين بعدت عن	وطنى وعودى قبل بروت بريته
ونسوت مثل نسيت نشر حديثهم	وكذا الصبى غدوته وغذيته
لغو ولغى للكلام وهكذا	خفو وخفي قادر ما ابديته
عيني همت تهمو وتهمى دمعا	وحموته المأكول مثل حميته

[نبذة مستحبة من لباب الاداب]

ومن ذلك نبذة مختصرة مختارة من كتاب لباب الاداب للثعالبي وبضعها من كتاب سر الادب له ايضاً :

الجموح الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء، وهذا من الجماح الذى يردمته بالعيب . والجموح النشيط السريع ، وذلك ممدوح .
المطية اسم جامع لكل ما يمتطى من الابل، فاذا اختارها الرجل لمركبه على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر فهي راحلة ، وفى الحديث « الناس كأبل مائة لانكاد تجد فيها راحلة » .

إذا سار القوم ليلاً ونزلوا نهاراً فهو الاساد ، فاذا ساروا نهاراً ونزلوا ليلاً فهو التأويب، فاذا ساروا من اول الليل فهو الادلاج ، فاذا ساروا من آخر الليل فهو الادلاج بتشديد الدال ، فاذا ساروا مع الصبح فهو التغليس ، فاذا نزلوا للاستراحة فى نصف النهار فهو التغزير، فاذا نزلوا فى نصف الليل فهو التعريس .
ترتيب احوال اللبى عن الائمة : اول اللبى اللبائم الصريف فاذا سكنت رغوته فهو الصريح ، فاذا خثر فهو الرائب ، فاذا أخذ اللسان فهو القارص ، فاذا مخض واستخرجت منه الزبدة فهو المخيض ، فاذا حلب بعضه على بعض من ألبان

شئى فهو الضريب .

الجموع التى لا واحد لها من بناء جمعها النساء الابل الخيل القور وهو
الظباء الصور الحابس وهو جماع النخل المساوى المحاسن المقابح المقاليد
الابابيل المذاكير المسام .

ثوب شف اذا كان رقيقاً يستشف منه ماوراه ، ثم سابرى اذا كان لابسه بين
المكشى والصريان ، ومنه قيل « عرض سابرى » ، ثم لهله اذا كان نهاية فى رقة
النسيج .

الدرع مذكر للنساء خاصة ، فأما درع الحديد فمؤنثة .
لقى الارض القفر .

المرمر حجر الرخام. الصيداء حجر ابيض يتخذ منه البرام .
من سنن العرب ان تقول رأيت زيداً وعمراً وسلمت عليه اى عليهما ، قال الله
عز ذكره « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله »^(١) تقدير
الكلام ولا ينفقونها - انتهى .

اقول : يمكن ارجاع الضمير الى الكنوز المفهوم من يكنزون نحو قوله
تعالى « اعدلوا هو اقرب »^(٢) .

قال وكما قال الله تعالى « واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها »^(٣) وتقديره
اليها - انتهى .

اقول : يمكن ارجاع الضمير الى الرؤية كالسابق بتقدير مضاف ، نحو
« اسأل القرية »^(٤) .

(١) سورة التوبة : ٣٤ .

(٢) سورة المائدة : ٨ .

(٣) سورة الجمعة : ١١ .

(٤) سورة يوسف : ٨٢ .

من سنن العرب اذا ذكرت شئين من اثنين ان تجريهما مجرى الجمع نحو الحسين عليهما السلام ، وكما قال عز ذكره « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما »^(١) ولم يقل قلبا كما ، وكما قال « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »^(٢) ولم يقل يديهما اقامة الواحد مقام الجمع .

من سنن العرب تقول قرنا به عينا اي أعيناً ، وفي القرآن « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً »^(٣) اي انفساً « ثم يخرجكم طفلاً »^(٤) اي اطفالاً « وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً »^(٥) اي كم من ملائكة « فانهم عدولي »^(٦) و« هؤلاء ضيفى »^(٧) ولم يقل اعدائى ولا اضيفى « لانفرق بين احد منهم »^(٨) والتفريق لا يكون الا بين اثنين ، والتقدير لانفرق بينهم « يا ايها النبى اذا طلقتن النساء »^(٩) و« ان كنتم جنبا فاطهروا »^(١٠) « والملائكة بعد ذلك ظهير »^(١١) ، ويقولون للرجل العظيم والملك الكبير انظروا فى امرى لان السادة والملوك يقولون نحن فعلنا وانا امرنا ، فعلى قضية هذا الابتداء يخاطبون فى الجواب كما قال تعالى عن حضره الموت « رب ارجعون »^(١٢) يراد بالجمع الواحد .

- (١) سورة التحريم : ٤ .
- (٢) سورة المائدة : ٣٨ .
- (٣) سورة النساء : ٤ .
- (٤) سورة غافر : ٦٨ .
- (٥) سورة النجم : ٢٦ .
- (٦) سورة الشعراء : ٧٧ .
- (٧) سورة الحجر : ٦٨ .
- (٨) سورة البقرة : ١٣٦ .
- (٩) سورة الطلاق : ١ .
- (١٠) سورة المائدة : ٦ .
- (١١) سورة التحريم : ٤ .
- (١٢) سورة المؤمنون : ٩٩ .

من سنن العرب الاثنيان بذلك ، كما قال عز ذكره « ما كان للمشركين أن يعمر واما سجد الله »^(١) وانما اراد المسجد الحرام « واذقتلتم نفساً »^(٢) والقاتل واحد، تقول العرب سر كاتم اي مكتوم، مكان عامر اي معمور، وفي القرآن « لاعاصم اليوم »^(٣) اي لامعصوم « خلق من ماء دافق »^(٤) اي مدفوق « عيشة راضية »^(٥) اي مرضية « حرماً آمناً »^(٦) اي مأمونا فيه عكسه « كان وعده مأثياً »^(٧) اي آثياً « حجاباً مستوراً »^(٨) اي ساتراً، اجراء الاثنيين مجرى الجمع « هذان خصمان اختصموا »^(٩).
من سنن العرب تذ كبير المونث وتأنيث المذكر « وقال نسوة »^(١٠) « وقالت الاعراب »^(١١) حمل اللفظ على المعنى في تذ كبير المونث وتأنيث المذكر .
من سنن العرب كما يقولون ثلاثة أنفس على معنى الشخص أو الانسان، وقال

عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت اتقى ثلاث شخوص كأعبان ومعصر

فحمل على انهن نساء ، وقال الاعشى :

شرايهم قبل تنقادها انت الشراب

(١) سورة التوبة : ١٧ .

(٢) سورة البقرة : ٧٢ .

(٣) سورة هود : ٤٣ .

(٤) سورة الطارق : ٦ .

(٥) سورة الحاقة : ٢١ .

(٦) سورة القصص : ٥٧ .

(٧) سورة مريم : ٦١ .

(٨) سورة الاسراء : ٤٥ .

(٩) سورة الحجج : ١٩ .

(١٠) سورة يوسف : ٣٠ .

(١١) سورة الحجرات : ٤٠ .

لكونه فى معنى الخمر ، كما ذكر الكف وهى مؤنثة فى قوله :

أرى رجلاً منهم اسف كأنما يضم الى كسحيه كفاً مخضباً

فحمل الكلام على العضو ، وقال تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً »^١ وهو مذكر ثم قال « اذا رأتهم من مكان بعيد »^٢ فحمله على النار « فأحيينا به بلدة ميتاً »^٣ حملاً على المكان « والسماء منقطر به »^٤ حملاً على السقف .

العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن كما قال تعالى « وتظنون بالله الظنوناً »^٥ « فأصلونا السبيلاً »^٦ « والليل اذيسر »^٧ « الكبير المتعال »^٨ « ويوم التلاق »^٩ « ويوم التناد »^{١٥} قال لبيد :

وبأذن الله ديشى وعجل

وقال الاعشى :

اذا ما ذهبى له انكرن

العرب تقول ما فعلتما يا فلان ، وفى القرآن « من ربكم - يا موسى »^{١١} « ولا يخرجنكما من الجنة فتشقى »^{١٢} .

١ سورة الفرقان : ١١ .

٢ سورة الفرقان : ١٢ .

٣ سورة ق : ١١ .

٤ سورة المزمل : ١٨ .

٥ سورة الاحزاب : ١٠ .

٦ سورة الاحزاب : ٦٧ .

٧ سورة الفجر : ٤ .

٨ سورة الرعد : ٩ .

٩ سورة غافر : ١٥ .

١٠ سورة غافر : ٣٢ .

١١ سورة طه : ٤٩ .

١٢ سورة طه : ١١٧ .

من سنن العرب اضافة الشىء الى صفته ، تقول صلاة الاولى ومسجد الجامع
وكتاب الكامل وحماد عجرد وعنقاء مغرب ويوم الجمعة ، وفي القرآن « ولدار
الآخرة خير »^(١) « ان هذا لهو حق اليقين »^(٢).

من سنن العرب الغاء جواب لو اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، قال الشاعر :
وجدك لو شىء أانا رسوله سواك ولكن لم نجدك مدفعا
اي لو اتانا رسول سواك لدفعناه ، وفي القرآن « لو أن لي بكم قوة أو آوى
الى ركن شديد »^(٣) اي لكننت اكيف اذاكم عنى « ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال »^(٤) الاية ، أي لكان هذا القرآن .

السبيل يذكر ويؤنث ، وقد وقع فى القرآن ، وكذا الطاغوت « يتخذوه
سبيلا »^(٥) « هذه سبيلى »^(٦) « يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن
يكفروا به »^(٧) « والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها »^(٨).

الذى يقع على الواحد والجمع الفلك وجنب العدو والضيف ، قال تعالى
« الفلك المشحون »^(٩) و « الفلك التى تجرى »^(١٠) « فانهم عدولي »^(١١) « فان كان من

(١) سورة يوسف : ١٠٩ .

(٢) سورة الواقعة : ٩٥ .

(٣) سورة هود : ٨٠ .

(٤) سورة الرعد : ٣١ .

(٥) سورة الاعراف : ١٤٣ .

(٦) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٧) سورة النساء : ٦٠ .

(٨) سورة الزمر : ٧٠ .

(٩) سورة الشعراء : ١١٩ .

(١٠) سورة البقرة : ١٦٤ .

(١١) سورة الشعراء : ٧٧ .

قوم عدو لكم»^(١) «هؤلاء ضيفي»^(٢).

الاخبار عن الجماعتين بلفظ الاثنين كقوله تعالى «ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما»^(٣).

اللازم بالالف والمتعدي بغير الف التعدية : أقشع الغيم وقشعته الريح ، انزفت البئر ذهب ماؤها ونزفناها نحن ، أنسل ريش الطائر ونسلته ، اكب على وجهه وكببته انا. وفي القرآن «أفمن يمشي مكباً على وجهه»^(٤) «فكتب وجوههم في النار»^(٥).

قال ابو عبيدة : لامن حروف الزوائد لتتمة الكلام ، والمعنى الغاؤها كما قال عز ذكره «غير المغضوب عليهم ولا الضالين»^(٦) وكما قال زهير :
مورث المجد لا يغتال همته عن الرئاسة لاعجز ولا سأم
اي عجز وسأم ، وفي القرآن «ما منعك ألا تسجد»^(٧).

الباء تكون بمعنى حيث ، كقولهم أنت بالمعرب اي حيث التمجرب ، وفي كتاب الله عز ذكره «ولا تحسبنهم بمفازة من العذاب»^(٨) اي حيث يفوزون .

(١) سورة النساء : ٩٢ .

(٢) سورة الحجر : ٦٨ .

(٣) سورة الانبياء : ٣٠ .

(٤) سورة الملك : ٢٢ .

(٥) سورة النمل : ١٩ .

(٦) سورة الفاتحة : ٧ .

(٧) سورة الاعراف : ١٢ .

(٨) سورة آل عمران : ١٨٨ .

اللام تكون بمعنى عند ، كقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس »^(١) ،
وبمعنى بعد كقوله عليه الصلاة والسلام « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ،
وبمعنى الوقت كقوله « لثلاث خلون » ، وبمعنى الجزاء كقوله تعالى « ليغفر لك الله
ما تقدم »^(٢) .

الواو قد تكون بمعنى اذ كقوله تعالى « وطائفة قد أهمتهم انفسهم »^(٣) يريد
اذ طائفة كما تقول جئت وزيد راكب ، قال الجاحظ في قوله عز وجل « ان الله
لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »^(٤) يريد فما دونها ، وهو كقول القائل
فلان أسفل الناس فنقول وفوق ذلك تضع قولك فوق مكان قولهم هو شر من
ذلك ، وقال الفراء فما فوقها في الصخر . والله اعلم .

قضى بمعنى حتم كقوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت »^(٥) وبمعنى أمر
« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه »^(٦) وبمعنى صنع « فاقض ما أنت قاض »^(٧) وبمعنى
حكّم يقال للحاكم قاض ، وبمعنى اعلم كقوله تعالى « وقضينا الى بنى اسرائيل
في الكتاب »^(٨) ويقال للميت قضى اذا فرغ من الحياة ، وقضاء الحاجة معروف ،
ومنه قوله تعالى « حاجة في نفس يعقوب قضاها »^(٩)

(١) سورة الاسراء : ٧٨ .

(٢) سورة الفتح : ٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٤ .

(٤) سورة البقرة : ٢٦ .

(٥) سورة سبأ : ١٤ .

(٦) سورة الاسراء : ٢٣ .

(٧) سورة طه : ٧٢ .

(٨) سورة الاسراء : ٤ .

(٩) سورة يوسف : ٦٨ .

كلمة واحدة من الافعال تختلف معانيها باختلاف مصادرها ، وليس للعرب مثلها هي قولهم وجد كلمة مبهمة ، فاذا صرفت قيل في ضد العدم وجوداً وفي المال وجداً ، وفي الغضب موجدة ، وفي الضالة وجداناً ، وفي الحزن وجداً . من سنن العرب اشتقاق نعمت الشيء من اسمه كقولهم يوم أيوم وليل أليل وروض أريض وأسد أسيد وصلب صلب وصدوق صدوق وظل ظليل وحر حرير وكن كنين وداء دوي .

ومن سنن العرب أن تجرى الموات ومالا يعقل في بعض الكلام مجرى بنى آدم ، فتقول أرضون، وربما يتعدى هذا الى اكثر منه كما قال النابغة الجعدي: تمزنتها والديك يدعو صياحه وأما بنونعش دنوا فتصوبوا وقال عزوجل « وكل في فلك يسبحون »^١ و « الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »^٢ « يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم »^٣ « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون »^٤ وقول عبيدة بن الطبيب :

اذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته لى الصياح وهم قوم معاذيل
فجعل الديك اسرة وسماهم قوماً .

لم يأت بلفظ الريح في القرآن الا في الشر والرياح الا في الخير ، ولم يأت لفظ الامطار في القرآن الا للعداب في الايتين يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة ، قال الفراء رأيت بعينى ورأيت بعينى واللواء فى يدي وفى يدي ، فكل اثنين لا يكاد احدهما يتفرد فعلى هذا المثال كاليدين والرجلين ، قال الفرزدق:

١ سورة الانبياء : ٣٣ .

٢ سورة يوسف : ٤ .

٣ سورة النمل : ١٨ .

٤ سورة الانبياء : ٦٥ .

ولو بخلت يداي بها وضنت لكان علي للقدر الخيار

فقال وضنت بعد قوله يداي ، وقال آخر :

وكأن في العينين حب قرنفل او سنبل كحلت به فانهلت

فقال كحلت بعد قوله في العينين . وقال به يعنى القرنفل والسنبل ،

وقال الاخر :

اذا ذكرت عيني الزمان الذى مضى بصحراء بلدخ ظلتما تكفان

ويقال وقعت عينه عليه أي عيناه ، وفلان حسن الحاجب اي الحاجبين ،
واخذه بيده وقام على رجله أى يديه ورجليه ، قال صلى الله عليه وآله « اتقوا
الملاعن » أي لاتحدثوا فى الشوارع فتلعنوا - انتهى ما نقل من لباب الاداب
وبعضه من كتاب سر الادب .

[حل بيت من الشعر]

ومن ذلك ما ذكره السيد الاجل المرتضى رضى الله عنه فى كتاب المجالس

فى تأويل قوله تعالى « فما بكت عليهم السماء والارض »^(١) ان قول الشاعر :

قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور

من قبيل هذا ، وقبيل « اسأل القرية »^(٢) وانه اراد غنى رب غفور .

اقول : ان الذى يظهر من معنى البيت ان هذا الشخص عيبه يرى قليلا

مع أن عيبه كثير ، ووجه كونه يرى قليلا أن صاحبه غنى والغنى صاحب ساتر

للمعيوب كما يقال الكرم يغطى كل عيب .

وهذا واقع كثيراً نظماً ونثراً ، وهو ما يتضمن خفاء العيب وستره اذا كان

(١) سورة الدخان : ٢٩ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

صاحبه غنياً وظهوره وزيادته اذا كان فقيراً ، بل ربما أثبت للفقير عيب وهو ليس
بعيب في الواقع كما قال بعضهم :

ان ضرط الموسر في مجلس قالوا له يرحمك الله
أو عطس المعسر في مجلس سبوا وقالوا فيه ما سا هوا
فمضرط المعسر عرنيمه ومعطس الموسر مفساه

والسيد قدس الله روحه ان اراد بالرب الغفور الله سبحانه كما هو الظاهر
فلا مناسبة له بما قبله ، وان اراد غيره كان أبعد ، وهذا عجيب من مثل السيد
الجليل قدس سره ، وان اراد غير ما ذكر فهو غير ظاهر ، وال في العيب عوض
عن المضاف اليه .

وفي قول الشاعر « رب غفور » لطيفة ، وهي ان الغني غالباً خصوصاً اذا
كان ذا عيوب يكون كالعابد للمال وهو كالمعبود له ، فناسبه التعبير بالرب دون
غيره من مثل نخل ونحوه .

قيل ان السيد رحمه الله حمله على المدح ، يقول قليل عيب الممدوح مع
كثرة العيب في الناس ولكن الغنى عما يجز العائب هو غني رب غفور .

ومذا وجه في الجملة لكن الاول هو الظاهر مع مناسبة ذكر غفور له ، وما
قبل البيت من القصيدة يدل على الهجاء ، قيل اولها :

رأيت الناس شرهم الفقير
و أبعدهم وأهونهم عليهم وان امسى له حسب خطير
يباعده النسي وتزدرسه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه البيت

[تعيين موضع الكعب في القدم]

ومن ذلك عبارة لعدي المبرور في شرح اللمعة ظاهرها مشكل كغيرها من مشكلاته ، وهي قوله في مبحث الوضوء : ثم مسح بشرة ظهر الرجل اليمنى من رؤوس الاصابع الى الكعبين وهما قبتا القدمين وقيل الى اصل الساق - انتهى .

اقول : يمكن ان يقال : ان المناسب ان يقول الى الكعب وهو قبة القدم لانه وقع بعد ذكر الرجل اليمنى لابعـد ذكر الرجلين ، ويمكن الجواب بأن مثل هذه العبارة وقع في حديث ابن ابي نصر عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفه على الاصابع فمسحها الى الكعبين الى ظهر القدم .

وفي حديث زرارة قلنا له : أصلحك الله فأين الكعبان ؟ قال : ههنا - يعني المفصل دون عظم الساق . قلنا : هذا ما هو ؟ قال : هذا عظم الساق .

وفي بعض الاخبار ذكر الكعب مفرداً وكذا في عبارات الاصحاب، وظاهر الحديثين ان الرجل الواحدة لها كعبان، وقد حقق بعض علماءنا رحمهم الله^(١) للكعب أربعة معان تدل عليها الاحاديث وكلام اهل اللغة: احدها قبة القدم امام الساق، والثاني أحد الناتئين عن يمين القدم وشماله ، والثالث نفس المفصل ، والرابع العظم الناتيء في القدم الداخل طرفاه في حفرتي عظم الساق وكثيراً ما يعبر عنه بالمفصل .

اذا تقرر هذا فيمكن أن يكون المراد بالكعبين اثنين من الثلاثة المذكورة وكأنه لما ذكرناه عبر بعض علماءنا رحمهم الله بما ظاهره كون الكعبين في الرجل الواحدة وعبر بعضهم بالكعب نظراً الى ما في بعض الاخبار .

(١) الشيخ بهاء الدين رحمه الله في شرح الاربعين وغيره « منه » .

قال المرتضى رضى الله عنه الكعبان هما العظامان الناتئان فى ظهر القدم ، وقال ابن ابى عقيل رحمه الله الكعبان ظهر القدم ، وفى المعتبر الكعبان هما العظامان الناتئان وسط القدم وهما معقد الشراك ، ومثله فى الارشاد وغيره . واحتمال ارادة التعدد من القدم كاحتمال ارادة التعدد من الكعب .

والمحاصل ان الذى يظهر مما ذكر أن الكعبين فى كبل رجل وان الكعب الواحد ايضاً كذلك .

وبهذا يمكن الجواب عما أورده صاحب الكشاف من انه لو أريد المسح لقليل الى الكعب أو الكعب ، لان الكعب اذ ذاك مفصل القدم وهو واحد فى كل رجل ، فان أريد كل واحد فالافراد والا فالجمع ، ونحوه كلام النيسابورى على ما حكى عنهما .

وقد اجيب بناء على اتحاد الكعب بأن التشنية باعتبار كل رجل لا باعتبار كل رجل ، وأما على التعدد المذكور فيجيب به بمعنى ان التعدد مستفاد من اخبارنا . وقد ذكر بعض علماء التشريح ان الكعب عظم السى الاستدارة واقع فى ملتقى الساق والقدم له زائدتان ناتئتان فى اعلاه أنسية ووحشية يدخل كل منهما فى حفرة من حفرتى قصبتي الساق وزائدتان فى اسفله تدخلان فى حفرتى العقب - الى آخر ما ذكره . فيمكن أن يكون المراد بالكعبين الزائدتان ولو مجازاً .

وقول جدى طاب ثراه « وهما قبتا القدمين » يحتمل أن يكون المراد به انهما قبتا كل قدم أو انهما قبتان لهما ، والمعنى ان الكعبين هما القبتان للقدمين اللتان ينتهى المسح اليهما فى كل منهما ، وهذا لا ينافى ذكرهما بعد قدم واحدة ، فانه مذكور لافادة انهما منتهى المسح فى القدمين لاصل الساق بناء على القول الاخر بأن المنتهى اصل الساق . ومعنى مسح ظهر اليسرى كذلك أي من رؤوس الاصابع الى الكعبين .

فان قلت : يمكن ان يكون المراد فى حديث ابن ابى نصر بوضع الكف

وضعها على كل واحدة من الرجلين وانه مسح كل واحدة الى الكعب ومجموع ذلك وقع الى الكعبيين .

قلت : ظاهره مع مقام التعليم وضمير مسحها لا يلائم ذلك مع التكلف الظاهر فيه ، ونحوه ما فى الحديث الاخر من قوله عليه السلام « ههنا » ، فانه يحتمل الاشارة الى كعبي الرجلين لا الى الواحد . وهذا ايضاً خلاف الظاهر وان كان احتمالاه اقرب من الاول فى الجملة . والله تعالى اعلم .

[مسألة كون الدية اخماساً]

ومن ذلك عبارة اخرى فى شرح اللمعة توهم انها غير مستقيمة فى بادىء الرأي ، وهى قوله : وقول المصنف رحمه الله فى كتاب الديات (وعن ابى جعفر عن علي عليه السلام فى ستة غلمان بالفقرات فغرق) منهم (واحد) وبقي خمسة (فشهد اثنان) منهم (على ثلاثة) انهم غرقوه (وبالعكس) شهد الثلاثة على الاثنين انهم غرقوه فحكم عليه السلام (ان الدية اخماس) على كل واحد منهم خمس (بنسبة الشهادة) انتهى .

اقول : فى الرواية « فشهد اثنان على الثلاثة انهم غرقوه وشهد الثلاثة على الاثنين انهم غرقوه فقضى بالدية ثلاثة اخماس على الاثنين وخمسين على الثلاثة » وهذه عبارة الرواية فى الشرائع وكلامه هنا ظاهره لا ينطبق على ذلك ، وهو قوله على كل واحد منهم خمس .

وقد كنت أتعجب من ذلك واعلم أن مثل هذا ليس محل الاشتباه على مثله حتى ظهر لى وجهه ، وهو انه لما قال المصنف اخماساً بنسبة الشهادة وكان فى هذه العبارة اجمال فى الجملة فسره بأن على كل واحد خمساً بتلك النسبة لان كل واحد من الخمسة يلحقه سهم من الدية فهو خمس ، ولما كانت الاخماس

هنا غير متساوية قال خمس بنسبة الشهادة ، فانه يثبت بكل شهادة خمس على من شهد عليه ، فبشهادة الاثنین على الثلاثة يثبت خمسان وبشهادة الثلاثة على الاثنین يثبت ثلاثة اخماس .

ولا شبهة فى كون ما ذكر لا يثبت على الشاهد بل انما يثبت على المشهود عليه ، فيلزم كل واحد سهم بنسبة الشهادة . والتعبير عن السهم بالخمس لمناسبة ما ذكر من أن الشئ اذا قسم خمسة أقسام متفاوتة يصح أن يقال كل واحد خمس ولو مجازاً مع القرينة وهى كونه خمساً بنسبة الشهادة لاعتبار الاخماس المتساوية .

وقد وقع التعبير بمثل ذلك كما فى قول القاضى البيضاوى فى عدد حروف اوائل السور النصف الاكثر وقولهم قطعه نصفين ونحو ذلك ، وحاصله صحة الاطلاق ولو مع القرينة وهى ما ذكر .

وهذه من جملة العبارات التى نبهنا على مثلها فى حاشية الشرح من ايهامها خلاف المقصود مع صحتها بعد اعمال الفكر، فلا يرد ما أورد عليها .

[حل عبارة من شرح اللمعة]

ومن ذلك عبارة فى كتاب الاطعمة من شرح اللمعة تاهت فى حلها الافكار واعتمدوا على انها غير مستقيمة ، وهى مما توهموه سليمة مع ان الاشكال فيها سهل ناش عن صورة تركيبها على غير وجهه ، وهى انه لما قال المصنف رحمه الله « ويكره لبن المكروه لحمه كالأتن » ، قال الشارح طاب ثراه بضم الهمزة والتاء وبسكونها جميع اتان بالفتح المحمارة ذكر أو انشى ولا يقال فى الاثنى أتانة .

أقول : ان الاشتباه فيها يحصل من قراءة ذكرراً منصوباً وعطف انشى عليه

بالواو ، فتكون حالاً من الحمارة ، وقد وقعت تفسيراً للاتان التي هي انثى
الحمار ، والصواب ان يكون العطف بأولا بالواو وذكر خبر مبتدأ محذوف أي
وهذا أو وهذه ذكر أو انثى بترك التاء واثباتها، فالحمار له مؤنث بالتاء والمذكر
بعدها بخلاف الاتان فانه ليس كذلك بل هو مؤنث بترك التاء . فحاصلها : ان
الاتان الحمارة المؤنثة والحمارة مذكرها بترك التاء ومؤنثها بها ، ولا يقال في
الانثى اتانة كما يقال فيها حمارة ، ولا ينافيه ما قيل ان الاتانة قليلة .
فالعبرة موجزة مفيدة لما ذكر على أحسن وجه وأبلغه ولا قصور فيها ،
وفيهما من اللطافة ما يوهم الجمع بين متنافيين كما تكرر نحوه في الكتاب ونهت
عليه في مواضعه في حاشية الشرح .

[شرح دعاء الوضوء]

ومن ذلك ما في دعاء الوضوء «اللهم بيض وجهي يوم تسود فيه الوجوه ولا
تسود وجهي يوم تبيض فيه الوجوه» .
أقول: في النسخ المعتبرة لفظ « فيه » غير موجود والصحيح تركه . ووجهه
ان يوماً ونحوه من الظروف المتصرفه اذا كان ظرفاً كانت في فيه مقدره، والظرف
مضاف الى الجملة، فيكون تقديره اللهم بيض وجهي في يوم سواد الوجوه ولا
تسود وجهي في يوم بياض الوجوه ، وحينئذ لا يحتاج الى ان يقال يوم بياض
الوجوه فيه ، ونحوه قوله تعالى « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»^(١) « يوم يعرض
الظالم على يديه »^(٢) « يوم يكشف عن ساق »^(٣) وهو كثير .

(١) سورة آل عمران : ١٠٦ .

(٢) سورة الفرقان : ٢٧ .

(٣) سورة القلم : ٤٢ .

فان قلت : ما وجه الاتيان بلفظ فيه فى قوله تعالى « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله »^(١).

قلت : يوماً هنا مفعول به ولا مفعول فيه ، وقد وقعت جملة « ترجعون » صفة ليوماً ، والمفعول به ليست فى فيه مقدره ، فاحتيج فيه الى ذكر فيه ليبدل على كونه ظرفاً للرجوع وليكون الضمير رابطاً للصفة بالموصوف .
والحاصل ان يوماً من المتصرفه التى تقع ظرفاً وغير ظرف ، وهى فى مثل الاول ظرف وفى مثل الثانى غير ظرف .

[اخبار الوافدت على معاوية]

ومن ذلك ما احببت نقله فى هذا الكتاب من اخبار النساء الوافدات على معاوية فى ايام استقلاله بالملك .
روى ابو مخنف بأسانيد عن ابى عبدالله محمد بن زكريا بن دينار البصرى عن ابى الحجاج يوسف بن خليل الله الدمشقى ، قال اخبرنا ابو العز احمد بن عبدالله ابن كاوش العكبرى فى سنة عشرين وخمسائة ، قال حدثنى ابو الحسين محمد بن اسماعيل بن شمعون الواعظ فى الجامع الكبير بدمشق الشام ، عن ابى بكر عبدالله ابن سليمان ، عن الزهرى قال : بينا معاوية يسمر مع عمرو بن العاص ومروان وسعد وعتبة والوليد وقد ذكروا الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية ، وهى امرأة من اهل الكوفة شهدت مع قومها صفيين فقال معاوية : ايكم يحفظ كلامها فقال بعضهم : نحن نحفظه . فقال معاوية : لقد كلمتنى بقولها فما تشيرون على فى امرها ؟ فقال بعضهم : القتل . فقال : بشئ الرأى اشرتتم أبحسن بمثلنى ان يحدث عنه انه قتل امرأة بعد أن ظفر بها .

(١) سورة البقرة : ٢٨١ .

وكتب الى عامله أن اوفد علي الزرقاء بنت عدي مع ثقة من محرّمها وعدة من فرسان قومها وامهد لها وطاء لينةً واسترها بستر خفيف وأوسع عليها في النفقة فلما وصل الكتاب الى عامله ارسل اليها واقرأها الكتاب فقالت : ان كان معاوية جعل الخيار الي لم آتته وان كان حتم الامر فالطاعة أولى ، فحملها في هودج خز أدكن مبطن ببياض . قال : فلما دخلت على معاوية قال : مرحباً ورحباً قدمت خير مقدم قدمة وافد كيف حالك ؟ قالت : بخير يا معاوية ادام الله لك النعمة . قال : كيف كنت في مسيرك ؟ قالت : كأني كنت ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً . قال معاوية بذلك امرناهم ، أتدرين فيم بعثت اليك ؟ قالت : وهل يعلم الغيب الا الله . قال بعثت لا سأملك ألسنت الراكبة الجملة الاحمر الواقعة بين الصفيين يوم صفين تحضين على القتال وتوقدين نار الحرب ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا معاوية انه قد مات الرأس ونبز الذنب ولن يعود ما ذهب والدهر ذو عجب لا يعتب من عتب ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعد الامر . فقال معاوية : لله أنت فهل تحفظين كلامك يوم صفين . قالت : والله ما احفظه . قال : ولكني والله احفظه ، لله ابوك يوم تقومين خطيبة تقولين : يا أيها الناس ادعوا وارجعوا ، انكم قد اصبحتم في فتنة غشيتكم فيها جلايب الظلم وحادت بكم عن قصد المحجة ، فيالها فتنة عمياء صماء لا تسمع لداعيها ولا تنساق لقائدها ، ايها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تبين مع القمر والبغل لا يساوي الفرس والدر لا يوازن بالحجر ولا يقطع الحديد الا الحديد ، ألا ان من استرشد أرشدناه ومن سأل اجبناه ، وان الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبراً يا معشر المهاجرين والانصار على المضض فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل ودفع الحق باطله ، فلا يعجلن احد فيقول كيف واني ليقضى الله امرأ كان مفعولاً ، ألا ان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر

خير فى الامور عواقباً ، ايه الى الحرب قدماً غير ناكصين رحمكم الله . الية يازرقاء
لقد شاركت علياً فى كل دم سفكه .

قالت : أحسن الله بشارتك يا معاوية وادام سلامتك ، فمثلك من بشر بخير
وسر جليسه . فقال لها معاوية : وقد سرك ذلك ؟ قالت : أي والله لقد سررت
بالخبير ، فأنى بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال لها: والله لوفأؤكم لعلي بعد موته أعجب من حبكم
له فى حياته ، لقد جبلت محبته فى طيبتكم . والتفت الى الحاضرين وقال :
هكذا يكون الوفاء الصادر عن اخلاص المودة، جزاك الله عن علي خيراً أذكرى
حاجتك. قالت: يا معاوية انى آليت على نفسى ان لاسأل امراً أعنت عليه أبداً،
ومثلك من اعطى من غير مسألة وجاد من غير طلب . قال : صدقت وامر لها
وللذين كانوا معها بجوائز وردها الى الكوفة .

(ومن الوافدات عكرشة بنت رواحة بن الاطش)

وبالاسناد السابق عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت رواحة على معاوية
وبيدها عكاز فى أسفله زج مسفى ، فسلمت عليه بالخلافة فقال لها معاوية : يا
عكرشة الان صرت امير المؤمنين . قالت : نعم اذلا على بن ابى طالب حي .
قال : أأنت صاحبة الكور المسدول والوسط المجدول والمتقلدة بحمائل
السيف تجولين بين الصفيين يوم صفيين تقولين : يا ايها الناس عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، ان الجنة دار لا يرحل من قطنها ولا يخزى من
سكنها ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تصرف همومها
وكونوا قوماً مستبصرين ، ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا
يفهمون الايمان ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى
الباطل فلبوه ، الله الله عباد الله فى دين الله ، فاياكم والنكول فان فى ذلك نقض عرى

الاسلام واطفاء نور الحق واطهار الباطل وذهاب السنة المحمدية ، هذه والله بدر الصغرى والعقبة الاخرى ، يامعاشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على غريزتكم فكأنى بكم غداً قد لقيتم اهل الشام جيمراً نهاقاً وبغالا سحاجة تصقع صقع البقر ولا تروث روث العناق .

فكأنى اراك على عكازك هذه قد انكفأ اليك العسكر أن يقولون هذه عكرشة بنت رواحة، فان كدت لتفتنى على اهل الشام لولا ما أحب الله عزوجل أن يجعل لنا هذا الامر، فما حملك على ذلك؟ قالت: يامعاوية يقول الله عزوجل «لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكنم تسؤكن»^(١) ان اللبيب اذا كره امرألم يحب اعادته. قال معاوية: صدقت اذكرى حاجتك .

قالت: يامير المؤمنين ان الله قد جعل حقنا فينا ورد صدقاتنا علينا واما والنا الينا ، وانا قد فقدنا ذلك فما ينعش لنا فقير ولا يجبر لنا كسير، فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة، وان كان ذلك عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظالمين .

فقال معاوية : يساهذه تنوبنا أمور ونوائب هي اولى بنا منكم فمن بحور تنبثق وتغور تنفتق . قالت : ياسبحان الله والله ما فرض الله لنا حقاً جعل فيه ضرراً على غيرنا، ولو علم الله أن فيما جعل لنا ضرراً على غيرنا ما جعله لنا وهو علام الغيوب .

فقال معاوية : يا اهل العراق فقهكم علي بن ابي طالب فلن تطاقوا ، ثم امر لها برد صدقاتهم وانصافهم وردها مكرمة .

(ومن الوافدات ام لبد بنت صفوان الهلالية)

وبالاسناد المذكور سابقاً عن سهل التميمي عن جعدة بن هبيرة المخزومي

(١) سورة المائدة : ١٠١ .

قال : استأذنت ام لبد الهلالية على معاوية ، فاذن لها فدخلت في ثلاث دروع
تسحبها درع كانت على رأسها كوراء كهيئة المنسف ، فسلمت وجلست ، فقال لها معاوية :
كيف أنت يا بنت صفوان؟ فقالت : بخير يا معاوية . قال : وكيف حالك؟ قالت :
ضعفت بعد جلد و كسلت بعد نشاط . قال : شتان بينك اليوم وحيث تقولين مشجعة
لاخيك :

يا عمرو دونك صارماً ذارونق	عضب المهزة ليس بالخوار
اسرج جوادك مسرعاً ومشمرأ	للحرب غير مـولى بـفرار
أجب الامام وذب تحت لوائه	واقر العدو بصارم بتار
يا ليتنى أصبحت لست بعورة	فأذب عنه عساكر الفجار

قالت : قد كان ذلك يا معاوية ومثلك من عفا والله عزوجل يقول « عفا الله
عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه »^(١).

فقال هيهات أما لو عاد لعدت ولكنه والله اخترم ، فكيف قولك حين قتل .

قالت : أنسيته يا معاوية . فقال بعض جلسائه : هو والله حين تقول :

يا للرجال لعظم هول مصيبة	جئت فليس مصابها بالهازل
الشمس كاسفة لفقـد اميرنا	خير الخلائق والامام العادل
ياخير من ركب المطى ومن مشى	فوق التراب لمحتف او ناعل
حاشى النبى لقد هددت لنا القوى	والحق أصبح خاضعاً للباطل

فقال معاوية : قاتلك الله ماتر كت لاحد مقالا ، اذكرى حاجتك . قالت :

يا معاوية أما الان فلا ثم قسامت فعشرت فقالت : تعس شانىء على عليه السلام .
فقال معاوية : يا بنت صفوان زعمت انا . قالت : هو ما علمته وانصرفت ، فلما كان
من الغد بعث اليها بكسوة فاخرة ودرهم كثيرة ، فقبل له فى ذلك فقال : اذا أنا
ضيعت الحلم فمن يحفظه .

(١) سورة المائدة : ٩٥ .

(ومن الوافدات أم سنان بنت خيشمة بن خرشة المدحجية)

وبالاسناد المذكور عن عبد الله بن سليمان المدني عن ابيه عن سعد بن حذافة قال : حبس مروان بن الحكم غلاماً من بنى ليث فى جناية جناها بالمدينة وهو اذ ذاك اميرها ، فأنت جمة الغلام فأغلظ لها وابى ان يخرجـه ، فخرجت صارخة الى معاوية ، فاستأذنت عليه وهى فى شردمة من قومها ، فلما جلست قال لها معاوية : يا بنت خيشمة ما أقدمك ارضى وقد عهدتـك تشنين قـربى وتشتمين اصحابى وتحضين علي عدوي . قالت : يا امير المؤمنين ان لبنى عبد مناف اخلاقاً طاهرة واعلاماً ظاهرة لا يجهلون بعد علم ولا يسهفون بعد حلم ولا يعاقبون بعد عفو ، وان أولى الناس باتباع سنن آباءه انت . قال : صدقت فنحن كذلك ، فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتسى ما ترقـد	والليل يصدر بالهموم ويـورد
يا آل مذحج لامقام فشمروا	ان العدو لال احمد يقصد
هذا علي كاللهلال تحفه	وسط السماء من الكواكب اسعد
ما زال مدعوف الحروب مظفراً	والنصر فوق لوائه ما يفقد
خير الخلائق وابن عم محمد	وكفى بذلك لمن شناه تهـدد

قالت : قد كان يا امير المؤمنين وانا لنطمع بك خلقاً . فقال رجل من جلسائه : كيف يا معاوية تعفو عنها وهى القائلة حين قتل علي :

أما هلكت ابا الحسين فلمـ تزل	بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك سلام ربك ما دعت	فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلقاً لنا	أوصى اليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف نؤمل بعده	هيهات أمدح بعده انسيا

قالت : هيهات يا معاوية لسان نطق وقول صدق ، فو الله ما اورثك الشناة

فى قلوب المسلمين الا مثل هؤلاء السفهاء ، فاد حض مقاتلهم وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك ازددت بذلك من الله قريباً ومن المسلمين حياً . قال معاوية: وانك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ، والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم من رأينا وضمير قلوبنا ، كان والله على بن ابى طالب أحب الينا منك اذ كان حياً وانت أحب الينا من غيرك اذ انت باق . قال : ممن؟ قالت: من سعيد مروان بن الحكم . قال : بم استحققت ذلك عليهم ؟ قالت : بحسن جودك وكرم عفوك . قال: وانهما ليطمعان فى ذلك؟ قالت : والله هما من الرأى على مثل ذلك الذى كنت عليه لعثمان . قال: والله لقد قاربت فما حاجتك؟ قالت: ان مروان تبتك بالمدينة تبتك من لا يريد البراح منها لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة يتتبع عشرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابى فأتيته فقال لى كيت وكيت ، فألقمته اخشن من الحجر والعقته امر من الصاب ، ثم رجعت الى نفسى بالملامة فأتيتك يا معاوية صارخة لتكون فى أمرى ماضياً وعليه معدياً . قال : صدقت فيما قلت لا اسألك عن ذنبه ولا اسأله القيام بحجته ، واما أنت فعفا الله عما سلف والحليم لا يؤاخذ بالجريرة ، اكتبوا لها باخراجها والتعرض لمروان وسعيد بما فعلاه .

فقالت يا معاوية : انى لنائية الوطن فانى لى بالرجوع وقد فقد زادي وكلت راحلتى ، فأمر لها براحلة موطأة وخمسة آلاف درهم وقال: خذيهما مهنة انا ابن عبد شمس بن مناف ، فأخذتها وانصرفت .

(ومن الوافدات بكاره الهلالية)

وبالاسناد المذكور عن محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبي قال: استأذنت بكاره الهلالية على معاوية فاذن لها، فدخلت وكانت امرأة قد اسنت وعشي بصرها وضعت قوتها ترعش بين جاريتين لها ، فسلمت وجلست ، فقال معاوية : كيف

أنت يا خالة؟ قالت : بخير يا معاوية . قال : غيرك الدهر؟ قالت : هو كذلك
ذو غير من عاش كبير ومن مات قبر . فقال عمرو بن العاص : هي والله القائلة :

يا زيد دونك فاحتر من دارنا سيفاً حساماً فى التراب دفيننا
قد كنت أواخره ليوم كريهة فاليسوم ابرزه الزمان مصوننا

وقال مروان بن الحكم : والله هي القائلة يا معاوية :

أتسرى ابن هند للخلافة مالكاً هيهات ذلك وان اراد بعيند
منتك نفسك فى الخلا صلالة أغواك عمرو للشقا وسعيد
فارجع بأنك طائر منحوسة لاقت علياً أسعد و سعود

فقال سعيد : والله هي القائلة يا معاوية :

قد كنت اطمع ان اموت ولاأرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أآخر مدتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبها
فى كل يوم لايزال خطيبهم بين الجموع لال احمد عائبا

ثم سكتوا، فقالت : يا معاوية تنبحنى كلابك اذعشى بصرى وقصرت محجتى
انا والله قائلة ما قالوا وما خفى عليك اكثر فافعل ما بدالك . فضحك معاوية وقال :
ليس ذلك مما يمنعنا برك يا خالة فاذكرى حاجتك . فقالت : اما الان فلا وقامت
مغضبة وانصرفت فاتبعها معاوية يكييس مال فأبت اخذه فاتبعها بأخر فأخذت هـما
وذهبت .

(ومن الوافدات دارمية الهجومية)

عن سهل التميمى عن ابيه عن عمته قالت : حج معاوية سنة من سنه فسأل
عن امرأة يقال لها دارمية الهجومية، فأتى بها فقال : كيف حالك يا بنت حام؟ قالت :
بخير ولست ببنت حام، ادعى انا امرأة من بنى كنانة . قال : صدقت فهل تعلمين
لم بعثت اليك؟ قالت : وهل يعلم الغيب الا الله . قال : بعثت اليك اسألك على م

أحبيت علياً وابغضتني وعلى م واليته وعاديتني . قالت : أو تعفيني من ذلك . قال : لأعفيك ولذلك دعوتك . قالت : أما اذا ابيت فاني احب علياً على عدله في الرعية وقسمته بالسوية وأبغضك على قتالك من هو أولى بالامر منك وطلبك ما ليس لك ، وواليت علياً على ما عقده رسول الله صلى الله عليه وآله نجم من الولاة بمشهد منك وحب على المساكين وتعظيمه لاهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا .

فتغير وجه معاوية ثم قال لها : فلذلك انفتح بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك . قالت : يا هذا بهند والله يضرب المثل لابي . قال : يا هذه لا تغصبي فانا لم نقل الاخيراً ، فانه اذا انفتح بطن المرأة تم خلق ولدها ، واذا كبر ثديها حسن غذاؤها ، واذا عظمت عجيزتها رزن كسيستها ، فرجعت المرأة راضية ، فقال : هل رأيت علياً . قالت : أي والله لقد رأيت . قال : كيف رأيت ؟ قالت : لم يعجبه الملك ولم تصقله النعمة . قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : كان والله كلامه يعجلو القلوب من العمى كما يعجلو الزيت صداً الطست . قال : صدقت هل لك من حاجة ؟ قالت : نعم أو تفعل يامعاوية اذا أنا سألتك . قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء بعجلها وراعيها . قال : تصنعين ما ذابها . قالت : أعذو بألبانها الصغار واستحبي بها الكبار واكتسب بها المكارم وأصلح بها ما بين عشائر العرب . قال : فان اعطيتك ذلك فهل أحل سنك محل علي . قالت : سبحان الله أو دونه يامعاوية فأنشأ يقول :

اذا لم اجد بالحلم منى عليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم
خذيها ضياء واذكرى فعل ماجد حبك على حب العداوة بالسلم

أما والله لو كان علي ما اعطاك شيئاً . قالت : أي والله ولا وبرة من مال المسلمين يعطيني ، فأمر لها بما سألت وردها مكرومة .

(ومن الوافدات ام سلمى بنت عبد الله الذكوانية)

وبذلك الاسناد عن خالد بن سعيد عن رجل من بنى امية قال : حضرت معاوية فى منزله وقد اذن للناس اذنأ عاماً، فدخلوا عليه بمظالمهم وحوائجهم، فدخلت عليه امرأة كأنها قلعة ومعها جاريتان لها فحدرت اللثام ثم قالت : الحمد لله يا معاوية الذى خلق الانسان فجعل فيه البيان فدل به على النعم، وأجرى به القلم فيما ابرم وحتم ، وبرا وذرا وحكم ، وقضى وصرف الكلام باللغات المختلفة على المعانى المفترقة اقتضاء بالتقدم والتأخر والاشباه والتناكر والموافقة والتزويد، فأذته الأذان الى القلوب وادته القلوب الى اللسن، فاستدل به على العلم وعبد به الرب عزوجل ولزمت به الامور وعرفت به الاقدار وتمت به النعم، وكان من قضاء الله ومشيته ان قربت زياداً وجعلت له من آل ابى سفيان نسباً ثم وليته من أحكام العباد يسفك الدماء بغير حقها ولا حلها ويهتك الحريم بغير مراقبة لله فيها ، ظلم غشوم كافر يتخير من المعاصي أعظمها وانماها ، لايرعى الله وقاراً ولا يظن أن لله معاداً وعدأ ، يعرض عمله فى صحيفتك وتوقف على ما اجترمه بين يدي ربك ، ولك برسول الله أسوة حسنة وبينك وبينه صهر ، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت طريقهم ، جعلت عبدثقيف على رقاب أمة محمد صلى الله عليه وآله يدبر أمورهم ويسفك دماءهم ، فماذا تقول يا معاوية وقد مضى من اجلك اكثره وذهب خيره وبقي وزره ، اننى امرأة من بنى ذكوان وثب زياد دعى آل ابى سفيان على ضيعتى وتركتى من أبى وامى فغصبها وحال بينى وبينها وقتل من نازعه فيها من رجالى، فأتيتك مستصرخة فان انصفت وعدلت والواو كلتلك وزياداً الى الله تعالى فلن يبطل ظلامتى عندك ولا عنده وهو المنصف لى منكما حكم عدل .

قال : فهت معاوية ينظر اليها متعجباً من كلامها ، ثم قال : لعن الله زياداً

فانه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى مساويه من ينشرها .
ثم كتب الى زياد يأمره برد حقها اليها والا صرفه مذموماً مدحوراً، وأمر لها
ب عشرة آلاف درهم ، وعجب معاوية ومن حضره من مقالها .

(وفود أم الخير البارقية)

وروى ابن عبد ربه فى كتابه المسمى بالعقد الثمين ان معاوية بن ابي سفيان
كتب الى عامله بالكوفة ان يحمل أم الخير ابنة الاخرش بن سراقه البارقية ويرحلها
رحلة محسودة والصحبة غير مذومة العاقبة واعلمه انه مجازيه بقولها الخير
بالخير والشر بالشر .

فلما ورد عليه كتابه ركب اليها وأوقفها على الكتاب فقالت: أما انا فغير معتلة
بكذب ولا زائفة عن طاعة ، ولقد كنت احب لقاءه لامور تلجج فى صدرى ،
فلما حملها واراد وداعها قال لها : يا أم الخير ان معاوية قد ضمن لى بجائزتى
فيك بالخير خيراً وبالشر شراً ، فما لى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطعمك برك بى
تزيقك بالباطل ولا يؤيسك معروفك اللى ان أقول فيك الا بالحق .

فسارت خير مسير ، فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم ثلاثة ايام ،
ثم اذن لها بالدخول عليه وعنده جلساؤه ، فقالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
فقال لها: وعليك السلام بالرغم منك . فقالت: مه يا معاوية ، فان بديهة السلطان
مدحضة لمن حجب عليه . قال: صدقت كيف حالك يا خالة وكيف كنت فى مسيرك؟
قالت : لم أزل فى خير وسلامة حتى ادنانى المسير اليك وانا فى عيش أنيق
وعز رقيق .

فقال لها معاوية : بحسن نيتى ظفرت بكم . قالت : يا معاوية بالله استعيز من
دحض المقام وما تؤدى اليه عاقبته . قال : ليس لهذا أردناك ، أخبرينى كيف كان
كلامك يوم قتل عمار بن ياسر . قالت : لم أكن رؤيته قبل ولا رؤيته بعد ، وانا كانت

كلمات لفظ بهن لسانى عند الصدمة ، فان أحجيت ان اجد ذلك مثالا غير ذلك فعلت . فقال : معاوية لاشاء .

ثم التفت الى جلسائه وقال : ايكم يحفظ كلامها . فقال رجل من القوم : أنا احفظه . فقال : هات . قال : كأنى بهما متردية بيرد كثيف الحشاشية وهى على جمل أدمك وقد أحاط حولها الناس وفى يدها سوط منتشر أصفر وهى تهدد كالفحل وتقول :

ياايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم ، ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل ونور السبيل ولم يدعكم فى عمياء مبهمة ولا عشواء مدلهمة فالى اين تريدون أفراراً ويحكم عن امير المؤمنين ام فراراً من الزحف ام رغبة عن الاسلام ام ارتداداً عن الحق ، أما سمعتم قول الله تبارك وتعالى « ولنبلو نكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »^(١).

ثم رفعت رأسها الى السماء وهى تقول: عيل الصبر وضعف النفس وبيدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى وأدر الحق على أهله ولو كره المشركون ، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصدىق الاكبر ، انها لخفائف جاهلية وأحزان بدرية ، وثب بها معاوية لحين الغفلة يدرك تارات بنى عبد شمس .

ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر انهم لايمان لهم لعلهم ينتهون ، صبراً يامعاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غداً وقد لقيتم اهل الشام كالحمر المستنفرة لاتدرى اين يسلك بهامن فجاج الارض ، باعوا الاخرة بالدنيا والبصيرة بالعمى واشتروا الضلالة بالهدى وعماقليل ليصبحن نادمين ، تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، انه والله من ضل عن

(١) سورة محمد : ٣١ .

الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار . ان الاكياس استقصروا
 عمر الدنيا ففضوها واستطالوا امددة الآخرة فسعوا اليها . والله أيها الناس لولا تبطيل
 الحقوق وتعطيلها وتظاهر الظالمين وتقوى كلمة الشياطين لما اخترنا ورد المنايا
 على خفض العيش وطيبه ، والى اين تريدون رحمكم الله افراراً عن ابن عم
 رسول الله صلى الله عليهم وآله و زوج ابنته و ابي سبطيه وقد خلق من طينته وتفرع
 من نبعته وجعله باب دينة و ابان المنساقين ببغضه ، فلم يزل كذلك حتى ايده
 بمعونته لا يعرج لراحة اللدات ومن صلى والناس مشر كون و اطاع والناس عاصون ،
 قتل مبارزيه و افنى اهل احد و هزم الاحزاب و قتل اهل حنين و فرق جمع هوازن ،
 يالها من وقائع زرعت في القلوب نفاقاً و ردة و شقاقاً ، وقد اجتهدت في القول
 وبالغت في النصيحة و بالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : ما أردت بذلك يا ام الخير الاقتلى فلو قتلتك لما حرجت في
 ذلك . قالت : والله ما يسوءني ان يجرى الله قتلى على يد من يسعدني بشقائه فافعل
 ما بدالك . فضحك و امر لها بجائزة و ردها مكرمة .

(وفود أروى على معاوية)

ونقل ابن حجة الحموي في كتابه ثمرة الاوراق قال : دخلت أروى بنت
 الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال :
 مرحباً بك يا خالة كيف كنت بعدنا ؟ قالت : بخير لقد كفرت النعمة و اسأت لابن
 اخيك الصحبة و تسميت بغير اسمك و أخذت غير حقك من غير دين كان منك
 و لامن آباتك و لاسابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله ، فأتعس الله منكم
 الجدود و امرغ منكم الخدود و ورد الحق الى أهله و لو كره المشركون ، فكانت كلمتنا
 هي العليا و نبينا هو المنصور ، فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحمحمون على سائر
 العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه و آله و نحن أقرب اليه منكم و أولى

بهذا منكم ، فكننا فيكم بمنزلة بنى اسرائيل فى آل فرعون ، وكان علي عليه السلام عند نبينا محمد صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى ، فغايتمنا الجنة وغايتمكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك ، اذلا تجوز شهادتك وحدك . فقالت له : وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغى بمكة وأرخصهن اجرة ، وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسألت امك عن ذلك فقالت : كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به .

فقال مروان : كفى أيتها العجوز واقصدى ماجئت له . فقالت : وانت ايضاً يا ابن الزرقاء تتكلم .

ثم التفتت الى معاوية فقالت : والله ماجرى هؤلاء غيرك وامك القائلة فى قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
سكنت وحشى عليك صدرى فشكر وحشى علي دهرى

حتى ترم اعظمى فى قبرى

فأجابتها ابنة عمى بقولها :

خزيت فى بدر وغير بدر يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف ياخاله هاتى حاجتك . قالت : مالى اليك

حاجة وخرجت عنه .

(وفود أم الخير البارقية)

وروى عن ابن الكلبي عن ابيه قال : كنت جالساً عند معاوية فى دار الامارة فى الشام اذ أتاه غلام فقال : ان بالباب امرأة اسمها ام الخير بنت سراقه البارقية

شعثة غبراء عليها آثار السفر وهي تريد الدخول عليك فما تقول ؟ قال: ادخلها
 الينا لنرى خبرها . فلما دخلت دخلت كأنها الرجل الشجاع ، فقالت : السلام
 على من اتبع الهدى ، يامعاوية انك قد اصبحت للناس سيداً ولامورهم مقلداً ،
 والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، فانه لا يزال تقوم علينا ممن ينوء بعزك
 ويبطش بسطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دوس البقر ، هذا ابن ارطاة
 قدم علينا فقتل رجالى وأخذ مالى .

فقال لها : فوهى بما تستعظمين منه والجاني الى غيره ، وكان أراد منها
 سب على عليه السلام . قالت : والله لولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فان عزلته
 عنا شكرنا والافعرفنا . فقال لها معاوية : اياى تهديدين بقولك لهمت ان أردك
 على اشوس فينفد حكمه فيك. فأنشأت تقول :

صلى الاله على جسم تضمه قبر فأصبح فيه العدل مدفوننا

قد حالف الحق لانبغى به بدلا فصار بالحق والايامن مقرونا

قال معاوية: ومن ذلك ؟ فتنفست الصعداء وقالت: هو والله الحاكم العادل
 على بن ابي طالب عليه السلام، أتيته فى رجل ولاه علينا وعلى صدقاتنا فوجدته
 قائماً يصلى، فلما نظر الي انفتل من صلواته وقال : برأفة وتعطف هل لك حاجة،
 فأخبرته الخبر فبكى وقال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم ما أمرهم بظلم عبادك
 ولا تبرك حقل . ثم أخرج من جيبه قطعة كاغد فكتب فيها « بسم الله الرحمن
 الرحيم . قد جاءتكم بيمة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا
 الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وما انا
 عليكم بحفيظ ، فاذا قرأت كتابى فاحتفظ بما فى يدك من عملنا حتى يقدم عليك
 من يقبضه منك . والسلام » فوالله ما ختمه فعزلته به .

فقال معاوية: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها . قالت : الي خاصة أم لقومي

عامّة؟ قال : فما أنت وقومك . قالت : تالله انه للؤم وفحشاء ان كان عدلا فشملا والافلى اسوة بقومى . فقال معاوية: هيهات لمظلم ابن ابى طالب الجرأة على السلطان ، اكتبوا لها حاجتها .

[قصة امرأة تمدح علياً عليه السلام]

ورأيت فى كتاب ابن بيدر البغدادي قال : حدث عبد الرحمن الصوفى قال : خرجت حاجاً فلما أتيت بطن مر رأيت جارية مبرقة تخاطب اخرى وتقول لها : لاوحق المنتخب للوصية المؤمن على الرعية العادل فى القضية القاسم بالسوية بعل فاطمة الزكية ما كان ماظننت .

قال عبد الرحمن : فقلت لها من المنعوت بهذه الصفات ؟ قالت : هو والله الذى نبذ الباطل وراء ظهره واستعمل الحق فى جميع امره الماجد القرم الذاب عن حرمان الله المؤاخي لرسول الله امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام . فقلت : بم استحق هذا الثناء منك ؟

قالت : يا عبد الله كان ابى احد أولياء الله تعالى فأصيب يوم الجمل بين يديه، فأنا يوماً الى جنائنا قاصداً ثم قال لأمى : كيف أنت يا ام الايتام؟ قالت: بخير يا امير المؤمنين وأخر جنتى واختاً لي صغيرة اليه وقد كان خرج بى الحماق - تعنى الجدرى - كعدد الرمل قد اظلم علي بصرى بعد الدعج والبهج ، فمسح يده على رأسى ثم تأوه وانشأ يقول :

ما ان تأوهت من شى عرثيت له كما تأوهت للايتام فى الصغر

قالت: ثم امر يده على رأسى فانصرفت وقد ذهب عنى الظلمة، فوالله انى لارى الجمل الشارد فى الليلة الظلماء .

قال عبد الرحمن: فأخرجت ديناراً وقلت خذيه . فقالت : انه قد خلف علينا

خير خلف من خير سلف أبا محمد الحسن ، فانه يكفيننا مؤنتنا .

[مقامة بديع الزمان الهمداني]

ومن ذلك ما أردت نقله هنا وهو مقامة لبديع الزمان من جملة مقاماته :
رأيت يوماً أعراباً يرحلون الى بواديهم ، فشاقتني وساقني ترنم حواديتهم ،
فتبعتهم ولأريد الا البر الى ان وصلنا الى البر ، فرأيت في البادي افانين الزهر
واراييح الشيخ والشيخ ينادى يا غافلين الصبوح .

فقال : وقع عش الفراخ في الفمخاخ ، ووقعت بعيش رخي رخاب ، فقلت له :
الكساد أفردك في البرية ؟ قال : لافساد البرية ، ثم انشد :

اوصاك ربك بالتقى واولو النهى اوصوا معه
فاختر لنفسك طول دهرك مسجداً أو صومعه

فقلت : مالي اراك كعود الراك ؟ فقال : وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه
بعض أطنابها . فقلت : ما هذا المرض . قال : عياء به مات المحبون من قبل .
قلت : ما أحر نفسك ؟ قال : ففى فراد المحب نار هوى . قلت : ويحك ارفق
بنفسك . قال : قد رضى المقتول كل الرضى .

فلما رأى عدلى علا وصاح : لا حمل اللؤم فيها والغرام بها . قلت : اشرح
لي بعض امرك لا كون مقيماً لعذرک . فقال : كنت عزيزاً لهمة ، فرأيت محبوب
الدنيا يفارق ولم يمض فى غير ليلة ، فرفضتها لانكشاف عيبتها ، فنصت لى الاخرى
نقابها فصاحت : العاجلة بالنفس سقى الله اربعنا بالحصى فقلت : ألا لا احب السير
الا مصاعداً .

فلما ظننت انى قد علقت بالكمال برزلى جلال ذى الجلال ، وكان فؤادى
خالياً قبل حبهم فأول امر جرى حبه مجرى دمي فى مفاصلى ، فصار ظلام

اللبل يسهرنى كأن سواد الليل يعشق مقلتى ، فالخلوة عندى بالحبيب قميص
يوسف فى اجفان يعقوب . قلت : صف لى الزهاد والمحبين فان الموصوف
بالوصف يمين . فقال :

شم العرائن فى آنافهم انف من القبيح وفى اعناقهم صيد
ثم التوى ومال ثم استوى وقال : صحبى مضوا فمدا معى منهلة فى اثر
صحبى، ثم اشاح وصاح واين مكان الحمى من ولهى سقىاً لكان الحمى . فقلت:
بالله عليك ابن . فقال :

تسلوا من زرود وجه يومهم وخطهم اظلال البان تهجير
ثم بكى وناح وانشد :

فعاشرت الارواح يا صاحبى سلا الاطلال والدمنا
استودع الله قوماً ما ذكرتهم
اشتاقهم كاشتياق الارض وابلها
الام وحدها والغائب الوطننا
لا تحدر من عينى ما حرننا

قلت : زدنى من شرح احوالهم وأفدنى بذكر اعمالهم . فقال : لو سمعت
أنين المحب حيث يقول ولو حملت صم الجبال الذى بنا . قلت: زدنى من أوصافهم .
فقال: صاحبهم أوصافهم تأييبهم يقول: اعف عنى واقلنى عشرتى ، ومتعبدهم يتمثل:
تريدين ادراك المعالى رخيصة ، وبأكيهم تستغيث: فضلت دموعى عن مدى حزنى ،
وحزبنهم بهتف : سقيمتنى دمعى وما يروى به ظمأ ولكن لاعدمت الساقى ،
والمحب يترنم : وهيهات اسلو لمن لامننى ، ومشتاقهم يتمنى : وعلائنى بحديث
حاجر ، ومضناهم يتنفس : الصبا ان كان لابد الصبا ، ومكمدهم يتأوه: أنت النعيم
لقلبى والعذاب له .

ثم خرج الشيخ من بيته يجول فى البر ، فقلت : ما اطيب قلب هذا البر ،
فاذا به يقول :

وأخرج من بين البيوت لعلنى
 يميناً اذا كانت يميناً وان تكن
 فجعلت امشي حوله احفظه فى المسالك ، فاحفظه منى ذلك وقال :
 دعونى ونعمان الارك أروده
 عسى سانح من دارمية يا من
 فسمع صوت حمام على شجر ، فرأيت من قلعة مالم أروجعل يجول ويقول:
 وشت حمامة سلع فى الراكه بى
 ثم رجع فرجع :
 حمامة الوادين ما الخبر
 ثم عاد واعاد :

احب البانه الفينا
 واستحلى بها الاوراق
 لها أنسة مشتاق
 ذات الظل واللين
 فى الصبح تغننى
 وترجعة محزون

ثم اخذ يقول :

دع الهوى لاناس يعرفون به
 بلوت نفسك فيما لست تخبره
 افن اصطباراً اذا لم تستطع جلدأ
 احنى الظلوع على قلب يحيرنى
 قدماً رسوا الحب حتى لان اصعبه
 والشىء صعب على من لا يجربه
 قرب مدرك امر عز مطلبه
 فى كل وقت ويعننى قلبه

قلت : فكيف الطريق الى هذه الطريق ؟ فقال : يا طفلا فى حجر العادة
 محصوراً بقماط الهوى مالك ومزاحمة الرجال ، يامخنت العزيمة الى ان قال :
 فرجع الشيخ وهو يقول :

فارتهم والعين عين
 بعدهم والقلب قلبه

كأن العين عزب	فالعين لا يرقى لها عزب
جلد على الارزاء صعب	ما كنت احسب اننى
بعد اقرانى اجب	او أننى ابقى وظهري
اذا أصابت من تحب	ما اخطأتك النائبات

ثم قال : فجعلت امشى فى حاشيته فعرفت انه ابو التقويم - انتهى ملخصاً.
ومن انشائه :

قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد
هذه العرب تقول لا ابالك ولا يقصدون الدم ، وويل امه لامراذهم ، وسبيل
ذوى الالباب فى الدخول من هذا الباب ان ينظروا فى القول الى قائله ، فان كان
ولياً فهو للولاء وان خشن ، وان كان عدواً فهو للبلاء وان حسن .

[مجربات ابن سينا]

ومن ذلك ما اخترت نقله فى هذا الكتاب ، وهو المنظومة للشيخ ابى على
ابن سينا المشهورة بمجرباته ، وقد اسقطت منها ما لا يليق نقله :

أبدأ باسم الله فى نظم حسن	اذكر ماجربت فى طول الزمن
ما هو بالطبع وبالخواص	لكل عام ولكل خاص
فى شولة العقرب نجم توأم	برأى عين من رآه يعلم
اذا تراؤه امران اصطحبيا	واتفقا وذا تحسبيا
لا سيما ان قال ذا مخبيا	بعض لبعض كوكبان كوكبا
ومثله نجمان فى سعد بلع	رؤيته لكل ود قد جمع
ومثل ايضاً بسعد الدابح	رؤيته لكل ود صالح
تخير من شئت به فيعجبا	ثم تقول كوكبان كوكبا

فيمشأ الورد بإذن الله
كف الخضيب فرقة الى الابد
اذا رآه اثنان أو جماعة
نجم السها مأمنة من سارق
فمن رأى عشية نجم السها
كلا ولا يدنو اليه سارق
يغر غر العليل ذو الخنثاق
لا سيما ان شابه كشوث
أبلع من الصابون وزن درهم
وهكذا الكمون والكرأويا
وطبقك الاضراس فى التناوب
تخطيطك الاظفار عند الصبح
أعني قشور الملح ان تقرحت
الطخ على الحزاز دهن القمح
فانه يذهب منها سعيها
وهكذا قنا الحمار الرطب
اكو رؤوس كل ثالول ترى
مراة الحية سم قاتل
اذا سقى السليم منه حبه
وان سقى الصحيح منها ماتا
نشاذر الدخان فى الحمام
فوزن مثقال اذا ما شربا

بينهما فلا تكن باللاهي
لكائن من كان من كل احد
افترقوا الى قيام الساعة
ومن سموم عقرب وطارق
لم تؤذه عقربة بمسها
ولا يسؤه بسؤ طارق
بمرق الاشنان والسماق
فهو لعمرى نفعه موروث
تنج من القولنج غير المحكم
ان أكلا محمصاً بدأويا
مانعة منه لدى التجارب
يكن لك عرضاً مزيل الملح
وآلمت صاحبها وبرحت
مع وسخ الاسنان عند الصبح
كالنار فيها ثم يورث نفيها
تعركه بالقشر لا بالقلب
بعودتين قد حرقت اخضرا
ونحن للمسم بها نقاتل
برامن السم بتلك الشربه
من وقته وفارق الحياتا
ينضجه الفخار من مسام
مع وزنه من الرجيع المجتبى

يخلص المسموم من مماته
وفيه سر لست أبديه لمن
يعرف بالكبريت والغوالى
يصيب منه حب رمان العلا
وهو الذى يدعا بطين البحر
للناس فيه ارب أي ارب
سبحان من أودعه الامانة
ان يسمع الانسان صوتاً فى الخشب
ورؤية السليخ من البيت كذا
تؤذن بالرحيل والحمام
لاتغسلن ثوبك الكتاننا
عند اجتماع النيرين يبلى
وكل هذا شاع فى التجارب
جزآن طر طيراً وجزء ملحاً
وليكن الخيل عتيقاً أيضاً
تستقطر الجميع بالابنيق
فناد هذا القاطر الملتهبه
من سائر الكتان والحريز
فانه يسلم من حر اللهب
وانما تعرف هذا الماء
يطلى على القروح والاورام
كالجرب الحادث والقديم

من بعد بأس الأهل من حياته
ولست اخفيه لامر قد علن
وهو الرخيص ابن الرخيص الغالى
وهو طبيب الهجران حرب علا
كسكر النبات فوق القطر
وهو اذا خميره الشمس العجب
والغوص فى الاشياء والابانة
فى سقف بيت فرحيل قد قرب
ان سقطت مكانها بلا اذى
والموت ان كان خليعاً دامى
ولا تصد فيه كذا حيتانا
وفى البراز فاتخذة اصلاً
والسر فيه أعجب المعجائب
وتسع خل الخمر وزناً صحاً
او احمر اللون فذا وذا رضا
بالمحو والنقط مع الترويق
محروقة غير الذى تشربه
والقطن والتمر مع السرير
ومن حريق كله وذا عجب
بالنقطة الخارقة الاشياء
وكل ما يضر بالاجسام
يخلص من عذابه الاليم

فانه أقوى من الترياق
كأنه فى خلقه انسان
كما وجدنا فى الصفات والاطر
وراكباً بعض لبعض مائجا
كرغوة الصابون حين توجد
فحبة منه تقيم الاملدا
من غير نوم مدة أياما
بالماء زال عنه ذا النصبان
ان شربت فى مبرق فهذا
من عمل الشقيف ذى الاجام
يختم جرح السيف والسكين
مبرد ينبت فى الفلائح
وزهره أصفر غير صاف
وغير قيح سيما قطع الدم
ان كان قد جف والاخضرا
من سائر الحيوان والجزور
وكل مدفون من السلاح
وللنواسير ضماد قد كفى
وماؤه يقتل دود القرع
بمائه تقوت الاسنان
يدعا بدهن الصين فى الادهان
وكالبزورات بلا خلاف

وهكذا الانماش باتفاق
ثبول عين وبها حيوان
زوجان ملحومان انشى وذكر
يخرج منها فى شباط هائجا
وقد علا الزوجين منها زبد
فيأخذ الاخذ منها الزبدا
ولم يزل منتصبا قواما
حتى اذا ما اغتسل الانسان
والحبتان من لحوم هذا
وثول قرية بأرض الشام
لاشئ للجراح كالطيون
وهو نبات كره الروائح
بورق كورق الصفصاف
الحمامة الجرح بغير الورم
يضمده الجرح به وقد برا
وهكذا يصنع للعقور
ويخرج الدود من الجراح
وهو ضماد للبواسير شفا
وأكله يذهب حمى الربع
وكلمة تغرغر الانسان
ودهن زهره عظيم الشان
يخرج بالانبيق كالخلاف

إذا لطخت الجرح منه مـره
وهو طـلا لكل نضاح إذا
من كل ما يحدث من سوداء
أو الثبورات التي تعرجت
وكل ما كان من الاعلال
يخرجه أسرع من رجع النفس
أعنى به اهل التجارب الاول
قتل ذباب الخيل فى الاسفار
إذا تغلت فوق رأس العقرب
وذلك قبل الفطر والترويق
كذلك الصائم والصفراوي
لا سيما ان مضغاً عقابا
وان حلت فى النداء الشاذرا
ثم كتبت ما تشاء فيه
فلمست تدنى منه أفعى فتعش
وان مسحت جسمها فى الكاغد
عصيدة الرز اذا ما حشيت
اذهبت الشعر وجماء غيره
والكر لكان ان غلى بالخل
من تلك الاولى ناب شعر أبيض
يصير فى سواده كالقار
فى الخيل والبغال والحمير

الحمه فلا يخاف ضره
طليته أخرج من ذلك الاذى
قد أثرت على الجسم واء
والميت صاحبها وبرحت
فى جسد العليل باندمال
أو غمض طرف أو شهاب يقتبس
وجربوه عند ارباب الدول
تبخ زيتاً مع ماء جارى
او فمها استرخت لنحو الذنب
يغشى اذا من غير ما تعويق
ان تفلا ماتت بلا مداوي
فانها ستعرف الصوابا
وبل فيه كاغذ كما ترى
كصورة الطلسم للتمويه
لكنها تكره منه فتطش
تفسخت وانسلخت عن واكد
فى شعر أي دابة وانسيت
أبيض مثل الثلج زال ضيره
وضيع الشعر به يا خلى
يشبه للثلج وهذا ينقض
ويستمر حقبه يا جارى
وسائر الجمال والجزور

مهلاخى بطرف اللسان	امسح على الاضراس والاسنان
مع الكرفس أيما منه حصل	وقل حرمت الاكل من لحم الجمل
شهرأولامن هندبانقى الخرس	أوقل حرمت الاكل من لحم الفرس
فتأمن الاضراس من اعلال	وذاك عند رؤية الهلال
تصح أسنانك فى الدهور	داوم على هذا مدا الشهور
ما تشتهى منه بلا مرء	تأخذ من مرارة الحداء
وهى التى تعرف فى الصفات	واسخنه فى عصيدة النيمات
وارفعه فى زجاجة مقدر	بالراز بانج النضير الاخضر
احضره فى ظرف من الزجاج	حتى اذا احتيج الى العلاج
فيخرج السم من الاطراف	فأكحل الملسوع بالخلاف
وهكذا من عقرب ذى عور	من حبة ولسعة الزنبور
نظمته للمقتفين اثرى	هذا الذى جربته فى عمورى
حمداً كثيراً أبدأ الايام	والحمد لله على التمام
على النبى المصطفى والال	وصلوات الله ذى الجلال
بجنح دبر الظلام الداغى	ما انبدا فجر الصباح العاجى
الانجـم الطاهرة السدرية	وآله العصابة الزكية
ما جاء قطر واجاد دهرى	وصحبه والتابعين اثرا
عنا وعن آبائنا وقد كفى	وغفر الله لنا وقد عفا

[رسالة تحفة الدهر فى المناظرة بين الغنى والفقير]

ومن ذلك مما يناسب نقله فى هذا الكتاب رسالة لوالدى قدس الله تربيته وأعلى فى عليين رتبته ألفها فى سن الشباب وسماها (تحفة الدهر فى المناظرة

بين الغنى والفقير) وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغنى فكل من سواه فقير، المتمتزه بكماله عن الشريك والشبيه
والنظير والظهير، قسم على عباده الارزاق وقدرها أحسن تقدير، ودبر الكائنات
بحكمته البالغة اكمل تدبير، والصلاة على سيدنا محمد أشرف نبى واكمل نذير،
وعلى آله المخصوصين من الله سبحانه بأية التطهير، وأصحابه الظاهرة آثار
فضلهم كالبدر المنير، صلاة تكون لنا جنة من عذاب السعير .

اما بعد: فيقول كاتب هذه الكلمات المرتجى من مولاه الصفيح عن الهفوات،
واذهاب سيئاته بالحسنات :

اني فى زمن رمانى بيد البغى والعدوان ، بين انياب الهموم والاشجان ،
وار كبنى على متن النوائب ، وجرعنى كأس الاهوال والمصائب ، مارمت الفرار
من صروفه الا رأيتها لى كالرفيق ، ولا أردت القرار الا فرش لى مهاد العسر
والضيق ، ان طلبت الصبر رأيتة معدوماً ، او ظننت أمراً وجدته موهوماً ، وان
اتخذت فيه صديقاً للارفاق اقتطعه عنى الى مفاوز الافاق ، اشكال آمالى فيه دائمة
العقم ، وتصورات مطالبى لم يدن لها الحكم، تمييز أحوالى فيه ملازم الابهام،
وخفض طالعى مرفوع الدلائل والاعلام .

حتى كأنى لسهام الصروف غرض ، ولجواهر الاهوال الشديدة عرض ،
اذ سميرى جليل الافكار ، وجليسى مشوشات الاكدار ، مع أنى قد رضيت منه
بالصفو اليسير ، واستغنيت بقليل عيشه عن الكثير ، علماً منى بأن غرس ما تمنى
لا يثمر ، وليل الهم والغم به لا يقمر، وكم بثت له قبول الاعذار ، وخلعت لاجله
ثوب الاستكبار ، وجلست فى زوايا القناعة ، ووقفت لاوامره على قدم الطاعة،
فلم اجد منه الامحض الا ضرار ، والقصد بسهام الاضرار، فكأنى له من جملة

المخدم ، او كأنه الذى عوضنى الوجود عن العدم ، وهاانا اقول والله سبحانه
المأمول :

من لى عدير بدهر ناصب أبد اشراك عدوانه والبغى فى سبيلى
ما رمت امرأ ولا أملت من امرل الارمانى بخطب فادح جلدل
وكيف احتال فى دهر مساعده حكم القضا فى ذهاب الحول والحول
فان يكن لائى شخص فمعذرتى انى بوجدى عن العذال فى شغل

فيا لله العجب من دهر لا يؤب عن جرمه ، ولا يداوى بحسنه اثر كلمه ، ولا
يصغى اذا نطق انسان بعذره ، ولا يمتنع من القصد بسهام مكره ، فاحتمال المعونه
منه كالمحال ، ورجاء الصفح ليس اليه مجال ، ان وعد لا يفى بالوعود ، وان
سمح بالنز لا يوجد .

ارباب الكمال فيه فى المقام الادنى ، وذوو الجهل خصوا بالمقام الاسنى ،
حتى أصبحت تجارة المعارف فى غاية الكساد ، وبضاعة الادب لا يسومها حاضر
ولا باد ، بل يعد أرباب الفضائل فيه من قسم الجماد ، والفصحاء أدنى من عجز
عن فهم المراد ، ولذا عادت ربح العلوم بين الانام راكدة ، ونارها فيما بين
العالم خامدة . وكيف لا وان تفوه أحد بمعنى رائق أو تكلم بلفظ فائق ، اتخذه
الناس فيما بينهم سخريا ، وأحفوا الاثر الى ان يصير نسباً منسياً . فالسى الله
المشكى من زمان هذه شيمته وفعاله ، فبيده سبحانه رفع هذا الضرر وزواله .
هذا وقد انكشف لى فى بعض الاحيان ، مع تراكم غيوم الغوم والاشجان ،
لمعة من سماء خلو الببال ، كانت كأنها طيف الخيال ، اذ الدهر بمثلها كثير الضن
كما هو اليقين لا الظن ، فانفقت منها انا يسيراً فى مناظرة بين الغنى والفقير ،
ليكون العاقل على بصيرة فيما اشتمل عليه من الغرور هذا الدهر ، كل ذلك على
مقتضى لسان الحال ، وعلى الله سبحانه الاتكال ، فأقول :

لما كان اهل الزمان أعنة ابصارهم مصروفة نحو الشهوات ، وكنوز
أعمارهم مبدولة فيما امتزجت به من الشبهات ، ومطمح نظرهم في جمع
حطام هذه الدار ، وغاية مقصدهم خدمة من حوى الدرهم والدينار ، حتى أصبح
لذلك الغنى لابساً اثواب التكبر والافتخار ، ومتسماً بسيماء اهل الكمال في
هذا العالم والاعتبار ، ظناً ان استحقاقه انقياد الناس اليه لعلو شأنه ، وامتيازه
عنهم بما استقل به مما جمع دون امثاله واخوانه ، فلم ير لذلك الفقير بالنسبة
اليه الا أحقر حقير ، ولا يخطر بباله أن يكون له في الانام شبيهه ونظيره ، بل لم
يكتف بالترك والاعراض ، حتى جعله للسباب غرضاً من الاغراض . فلا جرم
حصل للغنى على الفقر بسبب ما ذكر مزيد الاستيلاء والقهر ، وقدماه عند ذلك بأعظم
السهام ، وقصده بأشنع الكلام . فكان من جملة ما فاه به من المقال ، ونطق به
لسان الحال :

انك ايها الفقر لباس الذلة ، في كل شرعة وملة ، وباب الهموم والفكر ،
ومناط المحن والضرر ، بك تقصد أبواب الدول ، المتفق على ذمه من الاواخر
والاول ، وأنت السبب لاشتغال الحواس بجمع الاقوات ، في غالب الاحيان
واكثر الاوقات . وذلك هو الموجب لعدم الاخلاص في العبادة ، والاعراض
عن الافادة للكمالات والاستفادة ، وكفاك ان صاحبك يتحمل اوساخ الناس ،
التي هي أظهر الادناس . وحسبى ان الوصف بى من اكمل الاوصاف ، عند
اهل الفضل والانصاف ، وبسببى يتوصل الى القرب ، وينال كل مطلب وارب ،
ولولاى لم يبلغ احد البيت الحرام ، ولم ينته الى المشاعر العظام ، وبى تكسب
اكثر المزايا ، وتعلو أقدار جميع البرايا ، ولاجلى نظم اهل الاعتبار قديماً وحديثاً
محاسن الاشعار ، ولو لم يكن الا انى علة الكرم الذى هو أحسن الشيم لكفانى
فخراً وعلواً وقرباً من اهل الكمال ودنواً ، ثم انشد :

يقولون اهل الجهل لاخير فى الغنى فقلت وهل الا به يجبر الكسبر
وحسب الغنى فخر امدى الدهر أن من غدا وصفه يدنوله الحمد والشكر

فلما فرغ من الكلام أو عليه أشرف ورأى الفقر أنه زاد فيه واسرف، صمم العزم عند ذلك على المفاضلة ، وان آل الامر الى المباهلة ، ثم حسر عن ساعده وشمر ، وهمهم فى كلام وتنمر بعد أن سلم للقضاء، وعزم على يسير فى الفضاء ، ثم قال : ايها الغنى كأنك تحسب ان انقطاعي عن مناقشة امثالك ، وترك وقوفى لحرربك وجدالك ، انما هو لتأملى يسير نوالك ، ورجائى حقير افضالك ، بل انما فعله من اتصف بى لفرط الجهالة ، وسلوك سبيل الضلالة ، والافقدي من ذلك أعلى ، وقيمة نفسى من نفسك اغلى ، وحيث قد تجاهرت بما كان مكتوماً فى ضميرك، وأبرزت ما تخليته نافعاً من تحذيرك، وفتحت فى الافتخار هذه الابواب، ولبست فى العجب والتكبر هذه الاثواب ، فأنا مبدلك عنه أوضح جواب، وموضح لك باطله من الصواب . ولا يخفى عليك أن مارميتنى به ذو بك اخرى، بل أنت اعلم بكنه ذلك وأدرى ، فانك قرين اهل الضلال والغواية ، والضد لكل من سلك سبيل الحق والهداية ، وكيف لا وقد منحت أصحابك ثوب الاستكبار ، الذى هو عند الانصاف أقبح الشعار .

ثم ان ما أدعيت من الوصف المحسن لأصحابك عند الملاحظة تركه اولى بك، فان أهللك قد جمعوا ذميم الأوصاف ، وانقطع منهم جبل الارفاق والانصاف ، ولئن كان يتوصل بك الى شىء من شريف الاعمال ، فلغيرك ما هو أكمل منه فى الاقوال والافعال ، وادعاء وصف الكرم المقتضى لمدح الامم انما هو من جملة الاوهام الفاسدة والخيالات الواهية الباردة ، بل الكرم من جملة السجايا لامن الحطام الذى يجمعه البرايا .

ثم على تقدير تسليم مقالك والنظر الى سخيف مارؤى من فعالك ، فان

من العيوب الواضحة ، والامور القبيحة الفاضحة ، ماهو منتظم في سلك القبول عند كالملى الفكر والعقول ، سيما أنك محل الربا المحظور بالاجماع ، وسبب التهمة الموجبة للدعوى والنزاع. مع ذهاب النفوس لاجلك فى الاسفار ، حين يتحمل عظيم الاهوال والاختطار ، ولو لم يكن الاقول ذى المنة انما اموالكهم فتنة ، لكفى بذلك نقصاً وسقوطاً وخطأً عند اهل الكمال وهبوطاً ، ثم انشد لنفسه :

عجبت لى فخر بمال ولم يكن بنى منح يستوجب المدح والحمد
وأعجب منه ذو افتخار بوالد وفى نياله العلياء لم يبلغ الجيدا

فلما سمع الغنى هذا المقال استشاط عند ذلك ، ثم قال : أيها الفقر لمثلنى بهذا تخاطب ، وانا عون ذوى المناصب ، كأنك لم تعلم أنى من اولى البأس الشديد ، والرأى الصائب السديد ، بسببى تعظم الهمم وتفخر الامم ، وتحمل الاثقال وتجمل الاعمال ، ويقطع اللجاج ويصلح المزاج ، ويفك الاسير ويجبر الكسير ويحصل اليسير ، ويحسن الذكر ويصفو الفكر ، ويقام التدريس ويبرز كل معنى نفيس ، وأنت أيها الفقر من موجبات الغربة ، واحد أسباب العزبة ، بك يحصل النشوز والشقاق ، اللذان كل منهما سبب الطلاق ، ويرمى المرء بالتهم ، وتفسد المعد بالتخم ، وتقل القوة ولم يحصل وصف الفتوة ، وتلجى الى السؤال الذى هو أقبح الخصال ؛ ويقل الشكر على الانعام ويطول بسببك لسان الكلام ، ثم انشد لنفسه :

لاخير فى امر يهين الفتى ويرتجى منه نوال الملوك
فان تكن حراً فكن حازماً واحذر بجهد منك هذا السلوك

فلما بلغ الفقر ذلك ازودت مقلته واحمرت وجنته ، ثم قال : أيها الغنى ان عيب كلامك مكشوف وبدر ألفاظك مكسوف ، اذهو دعوى بغير برهان

وترجيح للمطلوب من دون رجحان، وعلى تقدير المنزل والتسليم والقول بأن فيها ما هو سليم، فليس البأس الشديد الا من شيمة الحديد، واحتمال مقولية التشكيك في هذا المقام لا يكفيك، فان الجين بأصحابك مخصوص، وذم أوصافهم به في الخبر منصوص، وادعاء عظيم الهمم من الخرافات، وأعظم ما على المرء من الافات، فانها من سيماء اصحاب الكمال وأين هو من جامع خسيس الاموال، وحمل الثقل يقتضى للدواب التفصيل، واصلاح المزاج بالصيام أولى من علاجه بالطعام، والتغرب عن الامل من أسباب الفضل، وحديث المال والجمال يكشف عن فساد المقال، واحتمال المشوز بالاغارة على التعارض اشارة .

فقال له الغنى : لقد سلكت أيها الفقر أوعر طريق، وأبعدت عن منهج التحقيق، وسأكشف لك من الاوصاف الشائن وابرز بحسب جهدي لك الدفائن، حيث انتصبت لنضالي ولم تخش كلم نصالي، اذ كان الواجب عليك لي الخدمة، وطاعتي في كل لفظة وكلمة، وهب انك في فن المعاني سعد الدين التفتازاني، وفي مباحث اصول الدين نصير الملة والدين، وصاحب نزهة الطرف في علم الصرف، وسيبويه في العربية والزمخشري في دقائقه السنية، والبيضاوي في سبك التفسير وفي القراءة صاحب التيسير، وابو تمام في الاشعار وابن خلكان في الاخبار، وصاحب زهر الربيع في علم البديع، وسطيح في الكهان والخليل في الاوزان، وفي اللغة ابن دريد وفي النوادر ابو زيد، فما انت الاقطة من بحرى وحصاة في نهري .

على انك أيها الفقر كأنك تحسب ان نطقى لك بهذه الالفاظ رجاء للنفع بك في شهادة الكمال بالتنبية والايفاظ، بل أنت عندي في أدنى مكان من زوايا الخمول. وخطابي لك أعده من جزئيات الفضول، غير أنه ليسمع بذلك من هو من امثالك فيما نسيح من التمحلات على منوالك، ليكون تنبيهاً مما هو فيه من الغفلة،

وتغتنى فى خدمتى وطاعتى هذه المهلة ، واقسم بمساح الجود وذام خلف
الموعود ، لئن لم يمتثل امرى كل سامع ويتبع سبيلى السداني والسامع ،
لاجعلنه احدثه فى سائر المجامع .

واظنك ايها الفخر لم تعلم حقيقة حالى ولم تسمع بالامس ما تكلمت به من
النظم فى مقالى ، ثم انشد لنفسه :

اهل مخبر هذا الورى أن همتى
ولو لا امور صوب الرأى طيها
وها انقاد أصبحت فى الناس عالماً
فمن لم يكن طوعاً لا امرى جعلته
على كل عال قد تسامت على الرغم
صعدت على كل الانام السى النجم
بكنه الذى قد اضمره من الوهم
على سائر الاحوال دون الورى خصمى

فلما سمع الفخر ذلك قال على سبيل التهكم : كأنك ايها الغنى تزعم أن
الفضل بالتحكم ، فان هذا مقام الجواب والسؤال لاموطن الحرب والنضال ،
واللائق من أمثالك النظر بعين الانصاف لاسلوك منهج الاعتساف ، اذمن هو فى
العلوم ماهر لا تخفى عليه شرائط المناظر ، فالانسب ملاحظة العواقب قبل النطق
بما يبلغ الثواقب ، حيث ان زلة العاقل كبيرة وهفواته خطيرة ، وأما لسان الكلام
فهو طويل غير أن كل مدع لا بدله من دليل ، والالفاظ كلها منقولة وان كانت غير
معقولة ، وقد شاع ان من اكثر كلامه أورثه محض الندامة ، فلو شئت لقلت انك
لم تعرف شرائط البرهان المقررة فى علم الميزان ، ولا المراد من الكعاب المذكورة
فى علم الحساب ، ولا الجملة الحالية فى علم العربية ، ولا العلة والتضعيف من
علم التصريف ، ولاتناهى الاجسام من علم الكلام ، ولأحققة الموجودات ماهي
الذي هو موضوع العلم الالهى ، ولا اطلمت على كتاب النواميس الذى ألفه
ارسطا طاليس ، ولا سمعت بعلم الجدل ، ولا بلغت الفرق بين عطف البيان والبدل .
ولا عرفت كنه الصحيح من الرواية المقرر فى علم الدراية ، ولا علمت من أوزان

الخليل الاشياء هو أقل من القليل ، ولا بلغك الفرق بين السحر والسيما ، ولا علمت المراد بالفلزات فى الكيمياء ، ولا اطلمت على ما اشتمل عليه كتاب الملل والنحل المنبه على جميع اختلاف الاواخر والاول ، ولا قرأت فى علم النجوم المشهور نفعه فى العلوم ، لكن ذلك منى غير لائق لعدم الاطلاع على الحقائق ، وان غلب على الظن فيك قصر الباع وسوء النظر فى الامور والاطلاع ، الا ان النصيحة ربما تجر الفضيحة .

على انه لو فرض ان جريراً بين يديك فى جبل الحيرة مجرور ، والكسائي عند فضلك كأنه غير مذكور ، وسيبويه فى قالب العي ، والزجاج لا يعرف الرشد من الغي ، وسحبان وابن حجر فى بحر الحيرة والفكر ، وحسان وجميل فى الخطب الجليل ، ومعمربن المثنى لعدمه يتمنى ، لانفت أن تكون بين يدي على قدم ، أو تعد لي من جملة الخدم ، وليس ذلك منى ابتغاء لحسن الذكر ، ولا رغبة فى الاقسام بالكبر ، فقد سمعت بحديث التنوخى فى حي بنى عامر ، المصرح بقصته فى بعض كتب الاواخر ، وخبر معن المشهود فى الانام مع الاسود ماسك الخطام ، وخبر كثير مع العجوز بعض الاحيان المعد فى نوادر الزمان ، وحديث الكسعى فى الندامة الذى جعل الناس فى الامثال كلامه ، وخبر موسى مع الخضر المصرح بمجمله فى الذكر .

بل انما ذكرت لك ذلك لتعلم أن لكل كلام جواب ، وبأزاء كل باطل عند ذوى العدل والانصاف صواب ، وليتفطن أن المعلومات غير محصورة ، ولا جميعها فى كتب الافاضل مذكورة ، وثمار الافكار اجل واكثر من ثمار الاشجار ، فلا يتخيل الاطلاع على كل مكتوم ، والاحاطة دون العالم بكل معلوم ، وينبغى لك النظر فيما يصلحك فى هذه الدار ولا تسلك سبيل الزهو بحطام الدنيا والاعتزاز . فان ذلك سيما اهل الجهل الاغمار ، لا الفضلاء المقتفين محاسن الاثار ،

وكفاك تذكرة ان رمت للنصيحة فيهما قوله تعالى « وقل رب زدني علما » .
 وقال له الغنى : لقد اطنبت أيها الفقير في المقال ، واكثرت فيها لايعنى مما
 وسعه منك المجال، فكأنك تحسب ان خاطري لك يصفو، وانى عن ذنبك اصفح
 واعفو ، بل أنت في غاية القصور ولو رأيتك جالساً فى اعلى القصور، ولو لا
 خوف العول لاطلت في جوابك القول ، غير أنك ان كنت ممن برع فى العلوم
 ومهر وبدل نفسه في طلب المعالى وفي العواقب نظر، فها ان اذ اكر لك على سبيل الامتحان
 سؤالاً يفضحك بين أبناء الزمان ، والغرض ذكر الجواب فى الحال الحاضر من
 غير أن يذكر لك جوابه ذاكر ، ثم انشد والاختبار المقصد :

يا ايها الاوحد بين الورى	ومن لديه كشف ذا اللبس
ما ذا الذى فى الشرع تحريمه	يزول اجماعاً لدى الحس
وما الذى يكشف عيب الورى	من كل ذى عقل وذى نفس
ولم يكن في ذلك من مانع	شراً وهذا شائع الجنس
اجب فلا زلت مفيداً لنا	وطالع الحاسد في النحس

فلما استتم الغنى كلامه وابدى ما اراده ورامه ، التفت اليه الفقير التفاتة
 الغضبان ثم قال : لحي الله هذا الزمان ، كأنك ظننت أن ما نطق به لسانى فيه
 تعظيم لنفسى وعلوشانى ، لتكشف عن وجه التهكم القناع وتسلق طريق المكر
 والخداع، بل انما ذكرته لتظهر لك الحقائق ويعرف الفرق بين المائق والمائق،
 على أنى وان لم اكن داخلاً في اهل المقام الشامخ وتمعلياً بحلية ذوي الشرف
 الباذخ، لما أعجز عن جواب سؤالك على ما ذكرت من مقالك ، فان هذا النوع
 من الادب شائع بين جهال العرب، اذ ليس فى معانيه دقة ولا فى ألفاظه فصاحة
 ورقة ، ثم انشأ فى الحال قاصداً جواب السؤال :

يا كاملاً قد حل أوج العلمى تفديك من دون الورى نفسى

شرفت قدرى بالذي قلته	حقاً ولو أدخلت فى رمسى
هذا وعندي الآن بعض المذى	أفدت لكن ليس فى الحبس
وهو حلال بعد تصحيحه	وليس فى ذا القول من لبس
ثم الذى يكشف عيب الورى	لم يكن بالمختار كالشمس
وليس ذا يخفى على ناظر	بالعين ان لم يبد بالحدس

فلما فرغ الفقر مما انشأه واستتم ما بدأه ندم الغنى على ما سبق من الصنيع وعزم على ترك الكلام الشنيع ، لهما رأى من سرعة الجواب والموافقة لنهج الحق والصواب ، ومال الى العفو والصفح وان لم يوافق اللسان على ما يقتضى المدح ، فكف عن السباب وفتح للاعتذار الباب ، ثم قال: ايها الفاضل ان أردت زوال الريب فى امرك لا كون مطيعاً لك سامعاً لعذرک ، فأجبنى عن هذه الاسؤله وان كان بأجوبة مجمله ، وليس الغرض بطلب البيان الاتحقيق ماشاع فى امثال الزمان .

فقال له الفقر : ألم يسبق منى اليك الاعتذار بقصوري عن بلوغ مرتبة اهل الاعتبار ، فاني لست رحيب الباع ولا كثير النظر والاطلاع ، بل أقل الانام وغريق بحر الخطايا والاثام ، وكيف لا ولم ارتضع من ئدي الافاضل الا القليل ، وفيما أبديت لك من الجواب السابق أوضح دليل ، وعلى تقدير ان اكون ممن العالم بفضلہ اعترف ومن حياض علم كل تحرير اعترف ، فلست معصوماً من الزلزل الموجب للخسران باحباط العمل . نعم ان رضيت بالاتيان بالمقدور وذكر ما هو لدي ميسور ، فربما لجوابك أتصدى وعن الاختصار لا اتعدى ، فان زلة القدم توجب الوقوع فى الندم .

فقال له الغنى: اني ومنزل المطر ومبيح الفسخ عند الضرر ، لم أقصد بالسؤال الحاضر الا اشاعة فضلك الباهر ، فان خطر في بالك غير ما نطق به اللسان فهو

من جملة وساس الشيطان .

فلما سمع ذلك الفقر وفهم أنه اضمم في نفسه المكر ، قال : تحسب أن طرفك في ميداني يحول واعتقاد مكرك عن خاطري يحول، لكنى أرجو من الله سبحانه الاعانة على الجواب واسأله التوفيق لاصابة الصواب، فقل ماخطر ببالك وان لم يفدك جواب ذلك .

فقال الغنى: ايها المولى الجليل ما عندك من الفرق بين الامارة والدليل ، وما حقيقة معنى الانتقال المشروط عند اهل العربية في الحال، وما بلغك من الفرق بين الحقيقة والمجاز وما معنى الصرفة المذكورة في وجه الاعجاز ، وما الفرق بين الواجب والفرض ، وما وجه الجمع بين حديثي الصدقة والقرض ، وبم يتفضل الفاعل المجازى عن النائب ، ولماذا أطلق على الباري سبحانه ضمير الغائب ، ولاي شيء نصب المفعول ، وبأى فرق يعرف المرتجل من المنقول ، ولماذا لا يدخل الجر الافعال ، وبأى شيء فصل الاشتراك عن الاجمال .

فلما سمع الفقر مرامه من سؤاله ظهر منه السرور بحسب حاله ، ثم قال : ايها الغنى قد استسمنت المهزول وأعددت للحرب السيف المفلول، بمثل هذه الاسئلة ينطق اهل الافهام المعدون لبلاغ الاحكام والافهام، فهلا سألت عن كشف البيان في معنى متشابه القرآن، أو عن وجوه علاقة المجاز على وجه الاختصار والابجاز أو عما للاسماء من الاقسام أو عن حقيقة طفرة النظام ، أو عن وجوه الاشتقاق التي انعقد عليها الوفاق ، أو عن الفرق بين الاسم والمسمى ، أو عن التمييز بين اللغز والمعنى ، أو عن الفرق بين التحيز والحلول المقرر عند محققى الاصول، أو عن برهان التطبيق على وجه التدقيق والتحقيق ، أو عن اقسام المد والوقف ، أو عن تفسير حقيقة الحرف ، أو عن واضع اللغات ، أو عن الفرق بين الاسماء والصفات ، أو عن اقسام الصفة المشبهة على التفصيل ، وما

الفرق بينها وبين أفعال التفضيل ، أو عن وجه الطهارة للعبادة ، ولم سأل موسى من الخضر الافادة؛ أو عن وجه حسن التكليف وبماذا حصل لبنى آدم على غيرهم التشريف ، أو عن وجه أفضلية النية على الاعمال مع مزيد المشقة فى الايمان بالافعال ، أو عن وجه اختصاص الباري سبحانه بالصوم فى الحديث الشائع بين الناس فى قديم الزمان والحديث .

فقال الغنى بعد سماع ما أبداه الفقر وعلم انه ذو احاطة فى الامر : أقصر- ايها المولى عن مقالك فقد علمنا بحقيقة حالك، اذ أنت اوجد هذا الزمان والفائق على جميع الاقران ، فأنى للشاعر البحراني ان يلحقك فى دقة المعاني ، ام ابن لابن سليم ان يسلك منهجك القويم ، ومتى يشبهك ابن العفيف فى أسلوبك الظريف ، وأنى للفاضل ابن جابر ان يكون بين يديك كالمناظر- وهيهات ان يلحقك الحسن بن رشيقي فى حسن التدقيق وكمال التحقيق ، وكيف يتكلم متكلم بمصاهراتك لابن المعلم ، ومن أين لابن فتيان ان يعجز فى هذا الميدان، ومتى يصلح لابن البواب لبس هذه الاثواب ، فمثلك من يقصد لحل الرموز ويستغنى بوجوده عن دليل العجوز، فان ارسطاطاليس عاجز عما أبرزته من المعاني، وأفلاطون يكل عن تشبيه هذه المباني ، وسقراط لا يحرم فهمه حول هذا الكلام ، وساميا لا يصلح أن يجلس على فرش هذا المقام ، وأقليدس وبطلميوس بعد فضلك طالعهما منحوس . هذا مع ان يعقوب بن اسحق منك استفاد ، وحنين بن اسحق بلغ ببركتك المراد، واحمد بن سهل بسببك حصل له الفضل والقسم بن سلام مكرصار من الاعلام، والفتح بن خاقان لولاك ما حاز هذا الشان ، وابن لولاك شعره ما ابانه ، وما استفاد الزهد ابن باب الاحين أمطر فضلك هذا السحاب . ولعمري لقد البستنى من النعماء أنفس ملبوس ، ودفعت عنى كل ضرور بؤس ، وهيهات ان أؤدى شكرما اوليت او أمنحك عشر ما اعطيت .

وحيث كنا سلكنا سبيل الخطا واسرعنا في التشنيع الخطا ، فالعرض ستر
العيوب والعفو عما سبق من الذنوب ، فان مثل السولى من يصفح ويعفو وعين
الانصاف منه لاتغفو ، ثم انشد في الحال بعد الاعتذار بما قال :

عن الذنب منى عفوك الان لائق ولا سيما اذ لم يكن منك عائق
وان كنت قد فرطت فيما فعلته فان لسانى باعتذارى ناطق
وهبني فعلت الذنب عمدا فاننى بعفوك يا مولاي ما دمت واثق
فلولا الرضى والحلم ما ساد في الورى اناس ولولا الجود ما جاد رازق

فلما سمع الفقر هذا الثناء الجم عزم على مقابله بما هو اكمل منه واتم ، فقال :

لاشلت منك الايادي ، ولا برحت سابغة عليك الايادي ، فلعمري ان عساكر ابن
عساكر مكسورة لديك ، وابن السمين ضعيف بالنسبة اليك ، وابن الخبير علمه
كالموهوم ، وابو البقاء فضله كالمعدوم ، والفاضل ابن الخطيب عود فهمه غير
رطيب ، والاوحد ابن مالك اعقله غير مالك ، والكامل ابن هشام في وادي الحيرة
والهيام ، وابن عمار في بحر الافكار ، وكثير عزة اقل قليل ، وجميل بشيته غير
جميل ، وقيس بن ذريح غير معدود ، ومجنون ليلى جيب صبره مقدود ، وابن
النبيه فى غاية الغفله ، وابن الظهير قد عدم عقله ، وابن المعترز فى نهاية الذلة ،
وابن التعاوينى قد نهكته العلة ، وابن جنى كالمجنون ، والاعشى يتمنى انه لا
يكون .

هذا مع انك اعلم من العرب بنيرانها ، ومن العروبيين بأوزانها ، ومن
النحاة بالامثال ، ومن المنطقيين بالاشكال ، ومن الفقهاء بالاقوال ، ومن علماء
الاصول بتحقيق الدليل والمدلول ، ومن الحكماء بالحكمة العزيزية والانواء
السماوية ، ومن المنجمين بمعرفة السعود والنحوس ، ومن اهل الهندسة بشكل
العروس ، ومن علماء اللغة بدارات العرب ، ومن اهل الموسيقى بالآلات الطرب ،

ومن علماء الدراية بصحيح الرواية ، ومن علماء التقويم والزيجات بمعرفة مقادير
الحركات ، فأنى يضاهيك احد فى الكمال واليك جميع الفضل آل ، وكيف
لا وابو نصر من فضل مابك استقى ، ومن هبوب نسيم تدقيقك اعرب الذكر
ابو البقاء ، والفاضل ابن الحل بك عقد الاشكال حل ، والكمال ابو المعالى منك
استفاد المقام العالى ، وبما حباك به مولاك من الالطاف استفاد حسن الجواب ابو الهذيل
العلاف ، ومن جزيل فضلك المعروف استفاد المنح الكرخى معروف ، ومن
قدرك الكبير حصل الكمال الصولى الشهير ، ومن نفسك الائمة استفاد زهده
ابن القوطية ، وكفالك فخرأ أن الفضل بن يحيى من جملة احفادك ، وكافور
الاخشيدي ممن سلك طريق ارشادك ، والصاحب ابن عباد أوحد الزمان ممن
المعدودين لك فى الاعوان والفضل بن سهل من جملة الاهل ، وهارون الرشيد
أحد العبيد ، وسيف الدولة من جملة العيلة ، وابو دلف من مائك اغترف ، ومعن
ابن زائدة عطاياه من فضلك وارده .

على ان اياديك عندي ايها المولى غزيرة ، ومننك لدى بالصفح عن العثرات
غير حقيرة ، وأنا الاحق بالاعتراف بالتقصير والاحرى بطلب العفو من فضلك
الخطير ، ولئن ركبت على متن العجز عن القيام بواجب الحقوق ، واتنصت
لمناواة مقامك واتثرت العقوق ، فأنت صاحب الجود ولك شرطى ألا اعود ،
ثم انشد معجيباً على وجه الاعتذار راجباً منه الصفح عن العثار :

تعاليت قدراً أن يضاف لك الذنب	وان لسانى منه يبدولك العتب
ولكن لدي الذنب والعفو منكم	هو المر تجى فى الدهر مادتم حسب
وحاشاكم ان لاتجودوا لطالب	رضاكم ونحو الغير ما عاش لا يصبو

فقال له الغنى : لافض الله فك ، ورحم جدك واباك ، فمثلك من يقصد النفع
ويصفى الى فوائده السمع ، وتدوم لاجله الصحبة وتفعل لاجله القرية ، ولديك

يليق الخضوع واليـك يحسن في المهمات الرجوع، وبك يستفاد من الوسواس
وتستقل بكمال الادراك الحواس، وبفضلك تفخر الازمان وبطاعتك يحصل الامان
وبيركاتك تنال المطالب وبدعائك يتوصل الى المآرب، وكيف لاوابن ادهم من
جندك، ومسكين الدارمى اخذ زهده من عندك، والسهروردي اغترف من بحر
افضالك، ومالك بن دينار استفاد من كمالك، والبروي استفاد منك الوعظ
والاستكانة، وابو البركات لولاك ما حصل له الورع والامانة، وابراهيم القرشى
منك استفاد الكرامات، وابن شمعون بسببك نطق بتلك الاشارات، وابو العباس
الزاهد الى كمالك فضله عائد، والعبادي المعروف بالامير استفاد وعظه من علمك
الخطير .

غير أنك ايها المولى الكامل والواحد الحبر الفاضل، حيث قد وقع منسا
على الاتفاق الاعتماد بعد جهادنا النفس الامارة ابلغ جهاد، فالانصب لنا المعاشرة
بالمعروف واجتناب كل سبيل مخوف، واعلام كل منا لانيه ما في نفسه مكتوم
ليكون في جميع أحواله مند على امر معلوم، فان ذلك من شرائط الاصحاب
واحسن أوصاف الاحباب، وبدون ذلك يبقى كل منا على وجل الى انقضاء العمر
وفناء الاجل، وهو حينئذ موجب لاعادة ما كان والخروج عما وقعت عليه العهود
والايمان . على أنه قد بقي في النفس شيء على سبيل الاستفادة والغرض من
جنايبكم أن يكون القصد لعبدكم محض الافادة، من دون اسراف في المديح
وان امكن بالاضمار فهو أولى من التصريح، وها هو على حسب التيسير والقصد
المسامحة في القليل والكثير، ثم انشد ما خطر بعد الاعتذار بما ذكر :

يا ايها الحبر ومن عنده	فنون كل العلم محصوره
ومن بنعماه قلوب الورى	أضحت مدى الايام مجبوره
ما اسم ثلاثى لدي قلبه	صلاة بعض الناس محظوره

لكن على بعض المعانى له وبعضها فى الذكر مذكوره
وان تصحف قلبه تلفه ثيابه الاجساد مستوره

فقال الفقير : لله در زمان أطلع بدرك وأعلى الله فى العالمين ذكرك وقدرك
فلقد جئت من القول بالسحر الحلال ورويت ظمأ قلوبنا من ماء فضلك الزلال،
ولعمري ان اللسان عن بيان بعض أوصافك قصير وكمال صفاتك وان أظن
فيها الداكرون فهو قليل من كثير، ولولا أجر الاجابة لكان ترك الكلام أقرب الى
الاصابة ، اذا ما اذكره فى جواب مقالك لا بعد مما يليق بحال امثالك. ثم اخذ فى
الافتكار بعد ما قدم جملة من الاعذار، وأنشد فى تلك الحال مجيباً عن السؤال :

يا كاملا اوصافه قدغدت بين جميع الناس مشهوره
ومن جيوش الفضل عادت به على خميس الجهل منصوره
ان الذى ألغزته اصبحت ألقاظ نظمى فيه مسطوره
وما أظن الامر يخفى وقد وافقت السلام به سوره

فلما سمع الغنى الجواب وعلم انه على وفق الصواب ، قال مستحياً مما أبداه
ومتفكراً فيما جمعه من الكمال وحواه : لا قلت منك الضارب ولا زالت آتية
اليك المطالب ، لكن ذلك غير عجيب من المولى ، فان قدره من ذلك أعلى،
غير أن وساوس الصدور توجب على المرء اضطراب الامور، وان كان الباطن
قد صفا من كدر النفاق والقلب لزم المودة السليمة وراق ، فان رأى المولى من غير
ملالة ان يظهر لي لماذا صابره فى هذه الحالة ، اذ عوارض الدهر وان كانت
كثيرة الاسباب محتملة للاكثار والاطناب، الا أنها مقولة بالتشكيك وفيها المتين
والركيك، والغرض علم العبد بالتفصيل وعدم القناعة عن الكثير بالقليل، فلعلني
أن اكون لك معيناً اذا صرت لها مبنياً .

فقال له الفقير: أيها الاخ ان شرح حالي يطول فيه القول ، وبيان مجمل

ضرى يحوم حوله العول، اذ الطالع فى الدهر منحوس والحظ فيه منجوس ،
 ما مدت يدى لامر الا ورأيتها قصيرة ولا رجوت النفع من هذه الدار الا كانت
 بالمنع جديرة ، غير أنك ينبغى أن تعلم أن الرجال بالنفوس لا بحطام الدنيا
 وحسن الملبوس، والفخر بالكمال لا بجمع المال، والعلم بمجالسة القوم لا بطول
 النوم ، وها أنا ذا كرك من شرح حالى فى النظم ما يمكن بيانه ، ومظهر من
 سرى مالا يسعنى اضماره وكتمانه ، ثم انشد على الارتجال ما اقتضاه الحال :

يا سائلى الآن عن مقامى	وما الذى ساق لى البليه
ان حديشى يطول شرحاً	عن كشفه تعجز البريه
لكن سأنهى اليك بعضاً	منه فنفسى به سخيـه
فلا تكن فيه ذا شكوك	اخبراره كلها نقيه
ورب شخص ثقيل طبع	عن صدقها نفسه ابيه
فكن سميعاً ولا تلمني	أسباب ضرى اذاً قويه
قد كان بالصفو جاء دهرى	حين صباحى وبالعشيه
فنت ما اشتهى ودارت	على الاعادى رحى المنيه
ثم رماني بسهم غدر	والدهر افعاله رديه
ان جاء بالوعد ليس يوفى	وبالردى نفسه سخيـه
أفعاله رفيع كل غمـر	وخفض من خص بالمزيه
فان يلمنى اخـو ملام	فالحال عن نعتها غنيه

فقال الغنى بعد سماع المرام والاطلاع على ربد هذا الكلام : قد كشفت عنى أيها
 المولى كل ريب ، اذ أطلعتنى على ما اظهرت لى من الغيب، والذي ينبغى لك ان
 لا تكثرت من فعل الدهر واستيلائه على اهله بالغلبة والقهر فان ذلك دأبه فى اهل
 الكمال ، وحسبك الاسوة بالنبى والال .

ثم تفارقا على احسن اتفاق ، ولو ما شرائط الوفاق .
 وانا أقول : انى أسأل ممن وقف على هذه الكلمات ان لا يبادر اليها بنفي
 ولا اثبات ولا يؤاخذنى بما فيها من الهفوات ، فانها صدرت عن فكر بهموم الدهر
 مشغول وقلب بقل الأهوال مغفول ، وكيف لا وهذا الدهر أقام على عنادى وهو
 الحريص على حرمانى من مقصدى ومرادى ، الا أنى أرجو من كرم ذى المنن
 أن يجزىنى على الصبر الجزاء الحسن ، ويحق لمثلئى انشاد ما سنع عساه ان يكون
 موجبا من الله سبحانه للمنع .

استغفر الله مما قد جنته يلى	عمداً ومما جنى سمعى مع البصر
واسأل الصفح عما كنت متبعاً	لنفس فيه وما ضيعت من عمرى
فكن سميع الدعاء واغفر لمعترف	يا مالك النفع للمخلوق والضرر
وجد علينا بما ترضاه من منح	وان ركبنا متون الجرم والخطـر
ولا تؤاخذ عبيداً عزهم كرم	لسيد من رجاه فـاز بالظفر
وما لنا يا اله الخلق من عمل	يكون فيه نـجاة من لظى سقر
ألا ولا أشرف الهادين قاطبة	وخير من جاء بالآيات والسور
والال والصحب من خصوا بمنزله	همت لديك وجاءتهم على قدر
فجد عليهم الهى بالصلاة كما	جعلتهم فى البرايا اشرف البشر

نجزت الرسالة الموسومة بتحفة الدهر فى المناظرة بين الغنى والفقر فى
 ساعات يسيرة ، ولعلها فى الجملة غير حقيرة ، والحمد لله وحده وصلى الله على
 من لانبى بعده وآله وصحبه - انتهى كلامه اعلى الله مقامه .

[فصول من نسيم الصبا]

ومن ذلك ما اخترت نقله فى هذا الكتاب وهو فصول من كتاب نسيم الصبا ،

والكتاب ثلاثون فصلاً ومنشئه الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب، فمما نقلته،
(فصل فى اقسام العام)

حضر فصول العام مجلس الادب فى يوم بلغ منه الارب نهاية الارب ،
بمشهد من ذوى البلاغة ، ومتقنى صناعة الصياغة ، فقام كل منهن يعرب عن نفسه
ويفتخر على ابناء جنسه .

فقال الربيع : انا شباب الزمان وروح الحيوان وانسان عين الانسان ، انا
حياة النفوس وزينة عروس الغروس ، ونزهة الابصار ومنطق الاطيوار ، عرف
اوقاتى ناسم وايامى اعياد ومواسم فيها يظهر النبات وتنشر الاموات ، وترد
الودائع وتتحرك الطبائع ، ويمرح جنيب الجنوب وينزح رقيب القلوب ، وتفيض
عيون الانهار ويعتدل الليل والنهار ، كم لي عقد منظوم وطرازوشي مرقوم وحلة
فاخرة وحلية ظاهرة ، ونجم سعد يدنى راعية من الامل ، وشمس حسن تمشد يا
بعدمابين برج الجدي والحمل ، عسا كرى منصوره واسلحتى مشهورة ، فمن سيف
غصن مجوهر ودرع بنفسج مشهر ، ومغفر شقيق احمر ، وترس بهار بههر ، وسهم
آس يرشق فينشق ، ورمح سوسن سنانه ازرق تحرسها آيات وتكتنفها ألوية
ورايات ، بى تحمر من الورد خدوده وتهتز من البان قدوده ويخضر عذار الريحان
وينتبه من النرجس طرفه الوسنان ، وتخرج الخبايا من الزوايا ويقتـر ثغر
الاقحوان قائلاً « ابا ابن جلا وطلاع الثنايا » .

ان هذا الربيع شىء عجيب تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة فى الفضاء

وقال الصيف : انا الخل الموافق والصدىق الصادق والطيب الحاذق ،
أجتهد فى مصلحة الاصحاب ، وأرفع عنهم كلفة حمل الثياب ، وأخفف انقالهم
وأوفر اموالهم ، واكفيهم المؤونة وأجزل لهم المعونة ، وأغنيهم عن شراء الفراء ،

وأحقق عندهم ان كل الصيد فى جوف الفرا .

نصرت بالصبا وأوتيت الحكمة فى زمن الصبا ، بى تنضح الجادة وتنضح
من الفواكه المادة ويزهو البسر والرطوبة وينصلح مراج العنب ، ويقوى قلب
اللوزة ويلين عطف التين والموز ، وينعقد حب الرمان فيقمع الصفرا ويسكن
الخفقان ، وتخصب وجنات التفاح ويذهب عرف السفرجل مع الرياح وتسود
عيون الزيتون وتخلق نجاب النارنج والليمون : مواعدي منقودة وموائدي
ممدودة ، الخير موجود فى مقامى والرزق مقسوم فى ايامى ، الفقير يتصاع بمل
مده وصياعه ، والغنى يرتع فى ريع ملكه واقطاعه ، والوحش تتأتى زرافات
ووحداناً ، والطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً .

مصيف له ظل مديد على الورى ومن حلا طعماً وحلل اخلاطاً
يعالج انواع الفواكه مبدياً لصحتها حفظاً يعجز بقرطاً

وقال الخريف انا سايق الغيوم وكاسر جيش الغيوم وهازم احزاب السموم ،
وحادى نجائب السحائب وحاسر نقاب المناقب ، انا اصمد الصدا واجود بالندا
واظهر كل معنى جلي واسمو بالوسمى والولى ، فى ايامى تقطف الثمار وتصفو
الانهار من الاكدار ، ويترقرق دمع العيون ويتلون ورق الغضون . طور ايمان
البقم وتارة يتشبه بالارقم ، وحيناً يبدو فى حلته الذهبية فيجذب الى خلته القلوب
الابية ، وفيها يكفى الناس هم الهوام ويتساوى فى لدة الماء الخاص والعام ،
وتقدم الاطيار مطربة بنشيشها رافلة فى الملابس المجددة من ريشها ، وتعصر
نبت العنقود وتوثق فى سجن الدن بالقيود ، على أنها لم تجترح اثمأ ولم تعاقب
الاعدواناً وظلماً ، بى تطيب الاوقات وتحصل اللذات وترق النسيمات وترمى
حصى الجمران ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر انواع المطعوم والمشروب ،
كم لى من شجرة اكلها دائم وحملها للنفع المتعدى لازم ، وورقها على الدوام

غير ذابل وقدود أغصانها تخجل كل رمح ذابل .

ان فصل الخريف وافى الينا يتهادى فى حليته كالعروس
غيره كان للعيوب ربيعاً وهو ما بيننا ربيع النفوس

وقال الشتاء : انا شيخ الجماعة ورب البضاعة والمقابل بالسمع والطاعة
أجمع شمل الاصحاب وأسدل عليهم الحجاب واتحفهم بالطعام والشراب ،
ومن ليس له بى طاقة اغلقت من اجله الباب ، اميل الى المطيع القادر المستطيع
المعتضد بالبرود والفرا المستمسك من الدثار بأوثق العرى ، المرتقب قدومي
وموافاتي المتأهب للسبعة المشهورة من كافاتى ، ومن يعش عن ذكرى ولم
يمثل امرى ارجفته بصوت الرعد وانجرت له من سيف البرق صادق الوعد ،
وسرت اليه بعساكر السحاب ولم أقنع من الغنيمة بالاياب ، معروفى معروف
وينل ينلى موصوف وثمار احسانى دائية القطوف ، كم لى من وابل طويل المدا
وجود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه وغيث قيد العفاسة اطلاقه ، وديمة تطرب
السمع بصوتها وحيأ يحيى الارض بعد موتها ، ايامى وجيزة وأوقاتي عزيزة ،
ومجالسى معمورة بدوى السيادة مغمودة بالخير والمير والسعادة ثقلها يأتى من
انواعها بالعجب ومناقيلها تسمع بذهب الذهب ، وراحها ينعش الارواح وسقاتها
بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصحاح ، ان زرتها وجدت مالا ممدوداً وانزرتها
شاهدت لها بنين شهوداً .

واذا رميت بفضل كاسك فى الهوى عادت عليك من العقيق عقود
يا صاحب العودين لا تهملهما حرك لنا عوداً وحرف عودا

فلما نظم كل منهن مقاله وفرغ من الكلام على شرح حاله ، أخذ الجماعة
من الطرب ما يأخذ اهل السكر ، وتجادبوا أطراف مطارف الثناء والشكر ،
وظهرت اسرار السرور وانشرحت صدور الصدور ، وهب قبول الاقبال وأنشد

لسان الحال :

وماذا يعيب المرء فى مدح نفسه اذا لم يكن فى قوله بكذب
ثم انغض المجلس وحل النطاق، وتفرق شمل اهله و آخر الصحبة الفراق.

(فصل فى الفراق)

الفراق جمع الله الشمل بمحيياك ورعى ودك على بعد المزار وحياك ، قد
اجترا واجترح واذهب المسرة والفرح ، وضيق رحب الفضا وقلب القلب على
جسر الفضا ، وأورث الكمد واذاب جليد الجلد ، وجاب وجمال ونثر عقود
الاحتمال ، وأوجد الوجد والهيام وأحوج الصب الى العبت بالاقلام .

كتبت وعندى من فراغك لوعة تزيده بكأسى وثقل هجوعى
فلو أبصرت عيناك حمالي كاتباً اذن كنت ترثى فى الهوى لخضوعى
اخط وداعى الشوق يملى وكلمنا تعديت سطرأ ازملته دموعى
يالها لوعة اسعرت وقد الظلوع ، ومالت الى الصبر فأذوت منه الاصول
والفروع ، وصباية صبت النفس اليها ووقفت لامثال الامر طائعة بين يديها ،
وعزماً يلزم عزيزم الفواد ويتكلم من الدموع بالسنة حداد ، وشوقاً الى
تلك الليالى المستنيرة والايام التى يطول الشرح فى وصف محاسنها وان كانت
قصيرة .

حيث اللقا والنوى حل ومرتحل والدهر يقضى لنا من وصلك الفرضا
لئن تعوضت عننا غير مكترث فعنك مادمت حياً لم أجد عوضاً

الى الله اشكو جود أحباب لاشك فى ظلم ظلمهم ولا ارتياب :

ساروا وسر الوجد قلبى أودعوا باليتهم يسوم النوى لى ودعوا
افديهم غائبين أطلوا شقة المين ، ونازحين سكنوا القلب حين غابوا

عن العين .

رحلوا عن الاوطان لكن فى الحشا نزلوا وما راعوا ولكن روعوا

كيف العمل عن الاحتيال ، هل من طريق الى منزلة الوصال .

يا صاح ان ظباء جيران النقا جادوا علي فدلنى ما أصنع

أحسن بهم ظباء غير او انس كم أسهرت العشاق عيونهم النواعس .

نفر واما التقنوا وعادة مثلهم يتلقنون اذا تقاراً أو قعوا

ايها المغرى باللوم والتقنيد لاتتعب نفسك فيما لا يجدى ولا يفيد .

قسماً بهم مالى غنى عنهم ولو أمسيت كاسات الاسى اتجرع

كف كف العدل والتأنيب ، فلست أحول عنهم ولو يرانى النحيب .

وانا المقيم على محبتهم وان حفظوا عهدى فى الهوى أوضيعوا

نعم اقيم على الود والمحبة وادعى رب الخال ولو اشتري قلبى بحبسه ،

وأحفظ زمام الدمام وأصبر فى هاجرة الهجر على الاوام ، واتعدل بعل وعسى

واتحمل مشقة اسى جرح الاسى ، وأتعلق بأذيال ضيف الطيف وأتشبث بأن اوقات

الفراق سحابه صيف .

وأطوف فى تلك الديار مسائلنا عن أهلها ابكى على ما قد جرى

لله بعد البعد حمر مدامع بنضارها المبدول قد أترى الثرى

وقد علم الله ان يوم النوى أضعف بناء جسدى بالهوى فهوى ، واحال صبغة

حالى وسقانى كاس بعد مذاقها غير حالى ، فعدت ذاسكر دائم وعناء تحل دونه

عقد العزائم ، القلب مأوى الهموم والطرف موكل برعى النجوم ، والكابسة فى

الخطاير خاطرة والعين الى نحو الطريق ناظر ، واسياف الغنا تجرح الجوارح

وسهام الجوى تجنح الى الجوانح ، لا اعرف لذة الوسن ولا امل من اليسير

فى حزن المحزن ، ولا ارد الماء النмир الامشوباً من كبدي بحر السعير ، ان مر الفكر فى

خلدى شرحت له صدرأ وان دعانى الذكر الجميل مرة لبيته عشراً ، ولو لارجاء

العود والاياب لانغصمت من قوى حياة العليل عرى الاسباب ، فثباً لا يام الصد
والقطيعة وسقيماً لأوقات كانت على رغم العدا مطيعة ، حيث الاوطان عامرة ووجوه
الاطوار ناضرة ، واغصان العيش مايدة ، وصللة الاحباب عائدة .

وسعاد تسعدنا بروضات الرضى ويغما منها سنأ و سنأ
لهفى على ذلك الزمان وطيبه فلفقمده انا والخلال سواء
امبشرى برجوعه لك عن رضى وروحي وما ملكت يداى فداء
والله المسئول فى بلوغ الامانى و اباحة ممنوع التلاقي والتداني ، واجتماع
المشوق بأهل وداده ونصرة المظلوم على اعدائه وحساده ، فانه نعم المولى ونعم
النصير وهو على جميعهم اذا يشاء قد ير .

(فصل فى وصف الجارية)

تافت نفسى الى زيارة بعض الاحذان فسرت اليه مشتتماً فضل الاردان ،
فى ليلة سما قدرها وتجلى على السماء بدرها ، فلما وصلت اليه وانتظمت فى سلك
المجتمعين لديه ، ظهر لى أنه متشوق الى قادم ومتشوق الى حضور منادم ،
فكشفت الخبر وتقصصت الاثر ، فقيمت لى انه واعد بعض الحسان وهو منتظر
اياب الاحسان ، فما أتممت الكلام واتصلت من العلم الى المرام الا وقد أقبل
من الباب خوذة خنلس الالباب ، غاده دود طفله أملود كاعب رواح تترتاح لها
الارواح عديمة المثل نشأت فى حجر الدلال ، يسرح الطرف فى روض جمالها
ويتنزّه وتمحوب بكثير محاسنها ذكر عزه ، فى حليها وحللها تميد وتميل وبالجملة
فهى ثنية الحسن لان وجهها جميل ، فوقفت واستأنست . ثم سلمت وجلست ،
فسر الجماعة بورودها وتملوا من جنة وجنتها بورودها ، وأقبل يمن فالهمم وأنشد
لسان حالهم مص .

اهلا وسهلا بها من غادة سمحت بالوصل ليلا ولم تحذر من الحرس

لما تبدت اضا الداجى ولأعجب بطرة الصبح تمحا آية الغلس
فلما كشفت القناع وصدق النظر السماع ، تأملت اوصافها وسيرت شمائلها
واعطافها ، فرأيت ما يشرف النظر ويشنف السمع ، ويذيب القلوب على نار
ذوب الشمع ، فمن فرع نامى الاوراق مرسل لتعذيب العشاق ، جثل اسحم
يلتوى كالارقم غذائر مجمدة كالغدير وضمفائره مظفر بقتل الاسير :

فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليه مظلم

ووجه مشرق الانوار يحجج الى كعبته الابصار، يزين اللالى والدرر ويستمد
من ضوء الشمس والقمر ، مرآته صقيلة ومعانى حسنة جميلة ، يترقرق فيه ماء
الصبا وتخفى من لمعه بروق الطبا :

عوذت بالسور المنيرة وجهها وهو الجدير بأن يكون معوذا

وجبين واضح نحن اليه الجوارح يلا لامصاحبه ويتلجج فى ليل الطرة صاحبه
فتاة يسر القلب والطرف حسنهما كأن الثريا علققت فى جبينها ، وحواجب تذيب
المهجع وتجذب الارواح من قيها بقبضة البلح ، كأنها هلاك محتى القوام أوفخ
نصب لصيد الغرام :

اذا سمت تحت الحاجبين جفونها ترى السحرمنها قاب قوسين أو أدنى
وعيون بابلية كم أوقعت بمن اليها صبا بلية ، تسل السيوف وترسل الحتوف
صحاح مراض ليس لسهامها سوى القلوب اغراض لله ، أي لواحظ غلابة للاسد
فى وثباتها وثباتها ، وخذ كالجلنار قد جمع بين الماء والنار ، يشف الراح فى
زجاجه ويهتدى الحائر بنور سراجه ، يزهى بورده الاحمر الطري واظنه من دم
المحبين غير يرى (الشيخ جمال الدين) .

تر كية للقان ينسب خدها واشقوتى منها بخد قاتى

وخال يخال فى أحلى الحلل له من الاقراط والشنوف خول كأنه من الدائرة

قُطبها ، ومن القلوب المتقلية على ناره حبها :

فتنت بخال فوق حدك صانه ابوك فويلي من ابيك وخالك
ومرشف عذب الارياق رضا به لسليم الهوى نعم الترياق ، فيه ماء مبرد
وثقر جوهرى صحاحه منضد ، ولعس بهيم به ذو الشوق وشهد يشهد بحلاوته
الدوق .

وبه شراب مسكر ما ذفته لكننى أروى عن المسواك
وعنق كعنتى الريم در عقوده نظيم ، يطوف الحلى بأركانه الرق بورقه وعقيانه .
وجيد جداية لا عيب فيه سوى منع المحب من العناق
ونهود كالعاج ملتحة عبروط الديباج ، ربيعة المنار شغلت الحلى أن يعار ،
ان ثيتها لم يجد عندها عطفاً لمرتاح وان لثمتها نشقت من الرمان عرف التفاح .
كحقيين من لب كافوره برأسيهما نقطتا عنبره
ونيان رطيب على مثله يدور الخصيب ، مقبل بالافوا مصافح بالجبا ، فضى
الاهاب مرقوب بالمخضاب .

فما اعذب السكب من أدمعى واحلى المشبك من نقشها
وقوام يقيم الحروب ويشير كرا الكروب ، كامل الحسن مهفهف وافر الدل مثقف ،
الرماح تخضع لديه والاغصان تسجد بين يديه .

وقد روت عن لينه واعتمداله صحاح العوالى مسنداً بعد مسند
وحضر تخيل يشكو من روفها الثقيل ليس فيه خط للمجتنى لوسالته عنه
لقات فنى .

عيون الناظرين به احاطت فلم تحتج الى عقد الوشاح
وارداف كلاحفاف وعدها مرسوم بالاخلاف ، خارجه عن العادة لكن فيها
للمحبين الحسنى وزيادة :

تمشى بأرداف ابين قعودها بين النساء كما ابين قيامها
وسوف جمد ماؤها وبهر الاعين ضياؤها ، مشرقة النور قصبها من البلور :
لو لم يكن من برد ساقها لا حترقت من نار خلخالها
واقدم لها على السعى فى الفتك اقدام ، تمشى كالقفا ولا تخطىء قياس
الخطا :

كان مشيتها من بيت جارها مر السحابة لارثب ولا عجل
وعليها من الحللى والحلل ما يفتن العقول ويدهش السقل ، فمن دريتيم كثغرها
وبلور صاف كصدرها ، وعقيق كسفتها ، وياقوت كو جنتها ، وسبيج كأجفانها وزمرد
كنقش بناتها وقميص رقيق الحواشى ومطرف بحار فى وصفه الناشى :
الى مثلها يرنو الحليم صباية أداماً اسبكرت بين درع وبحول
فلما انست بالقوم كفت عنها لسان اللوم ، وظهرت عن خلق وسيم وطباع
الطف من النسيم ، ومنادمة تطرب الاسماع ومداعبة ما الصبر عنها بمستطاع ،
وملح الذ من الماء الزلال وحديث لو لم يحن قتل المحب لقل هو السحر
الحلال :

ان طال لم يملل وان هى اوجزت ود المحدث انها لم توجز
والسعد يطلع نجمه والشمع واقف فى الخدمة ، وعرف الطيب يفوح واعلام
الهنا تلوح ، وشمل الصد يمزق والعود يحرك ويحرق ، يالها ليلة محى ظلامها
ونور الان ابتسامها ، وجلبت عروسها وطلعت خارقة للعادة شمسها ، لم فر فيها
مايشين ويعيب سوى أنها كانت أقصر من جلسة الخطيب ، ولم نزل فى بشروا فر
وسرور متواتر ، نجتللى وجوه الأفراح المتتابعة ونجتنى من الوصل ثماره البانعة ،
الى ان صاح العتران ولاح فى المشرق ذنب السرحان ، فغرمت الجارية على
الذهاب وأمرت باحضار الأزار والنقاب ، فقمنا الى موقف الوداع وتشفت الشمل
بعد الاجتماع .

وكان الدمع لى ذخرأ معدأ فأنفقت الذخيرة حين ساروا

(فصل فى مدح العشق وذمه)

سألنى بعض المائلين الى الهوى ، المصابين بسهم الصيابة والجوى ،
الساهرين فى الليل الطويل من الذوائب ، الذين صرفوا على المحبة حبات
قلوبهم الذوائب ، عن مراتب العشق وضروره وقبائل الحب وشعوبه ، وهزله وجده
وجزره ومده ، وشواهد شاهده وسمه وما قيل فى مدحه وذمه ، فأجبتة الى سؤاله
وجمعت بينه وبين آماله .

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندى بأوصافها علم

يا هذا ان اول العشق استحسان ، من يلائم الطبع من الجوارى والغلمان .
يحدث منه ارادة القرب والمودة ثم يقوى الود فيكون حباً لا يمكن القلب رده ،
فاذا استحكمت المحبة فى القلوب عادت هوى بهوى بصاحبه فى اختار المحبوب ،
ثم يصير عشقاً ثم تقيماً ، ثم يرجع ولها على العقل مخيماً ، وهو طمع فى
القلب يتولد يعظم بالحرص على الطلب ويتأكد ، يخفى عن الابصار ويهيج
بالججاج والتذكار ، كامن كالنار فى الحجر والزهر فى الشجر ، ان قدحته أورى
وان سقيته اخرج نوراً .

العش اول ما يكون مجانة فاذا تحكم صار شغلا شاعلا

فأما اوصافه الممدوحة فانه جليس ممتع بمشاهدته واليق مونس بمنادمة ،
مسالكة لطيفة وممالكة شريفة ، برق لامع ونور ساطع ، تستضى به نواظر العقول
ويفعل فى السمائل ما تفعله الشمول ، ويتصل بجواهر النفوس فيزيل عنها لبوس
البؤس ، فرح يجول فى الروح وارتياح يعذو فى القلب وىروح ، وسانح ينشر
من البشر ما انطوى ، وسرور ينساب فى اجزاء القوى .

اذا انت لم تطرب ولم تدرى ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

يطلق اللسان ويشجع الجبان ويصفى الاذهان ، يولد الاخلاق الجميلة
ويرغب فى اكتساب الفضيلة ويفتح للبليد باب الحيلة، ويرفع لواء الهمم ويبعث
على الحزم والكرم ، يلطف الطباع ويشنف الاسماع ، ويدعوا الى تحسين
اللباس ويستميل بالرياضة أهل الشماس ، لايقع فيه الامن قلبه صاف ولا
يسلم منه الاكل جلف جاف .

فان شئت أن تحيى سعيداً فمت به شهيداً والا فالغرام له أهل
وأما أوصافه المذمومة فانه ملك قاهر وحاكم جابر، هزله جدوراحته تعب
وأوله لعب وآخره عطب ، يعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة ، ويكسف
من الراء شمسها البازغة، ويسوق الى وليه غمام الغم ويهيم به فى وادى الهم،
يذهب العقل ويمرض الجسد، ويقوى الفكر ويضعف الجلد، ترتعد منه الفرائض
وتنفذه نار النقائص ، يستعبد الاحرار ويستأس ذوى الاقدار ، ويصفر الابدان
ويوقع فى الذل والهوان .

وكنت اظن الهوى هيناً فلاقيت منه عذاباً مهيناً

يورث الاسف والحرق ويجلب الوسواس والارق، ويجدد ملابس الوجد
والالم ويمنع عن الاشتغال بالعلوم والحكم، يحالف ارباب الشبهات ويستخدمهم
فى تدبير الشهوات ، ويعطل عن المصالح ويجرح بمديته الجوارح من جنده
الغرام والكلف ومن رفته الهيام والشغف ، يعوق الطالب عن الاستفادة
ويشغل الانسان عما خلق له من العبادة ، جان يفضى الجنون ويدنى أهل المنى
الى المنون .

وما عجب موت المحبين فى الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب
واعلم وقال الله شر الشر ان أقوى اسباب العشق النظر ، رياحه تمشى
سحائب الفكرة ، ومرآته تجلو على القلب محاسن الصور ، فاتق النظرة بعد

النظر ، فانها تزرع حب حب ينبت سنبل الحسرة ، كم سلب النظر قلب عابد ،
 وكم فتن عقل ناسك وحل عقد زاهد ، واجرى آفة وقرن ذلاً بمخافة ، وأثار
 غبار معركة وألقى شهماً الى التهلكة ، وأقام حرباً على ساق وسفك الدماء وأراق ،
 وأوقع فى مصائد المصائب وهشم العظام بأنيث النوائب .
 فمن كان يؤتى من عدو وجاسد فدانى من عيني أنيت ومن قلبى
 فاسلك طريق السلامة لتصل الى دار الكرامة ، واقطع أسباب المطامع
 واشتغل عن المصنوع بالصانع ، فأما من أثر اللذات فقد تورط فى حبال البلوى
 وانتهى من حرم الحرمان الى الغاية القصوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى
 النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى .

(فصل فى الشيب والخضاب)

رأيت بعض مشائخ الاصحاب ، وهو يتعاطى مايتعاطاه الشباب ، فقلت يا من
 وخطه الشيب جاءك النذير بلاريب ، فاصرف عين العيب واتق عالم الشهادة
 والغيب ، نأت الغرائب السود ، ودنت البزاة واثبة كلاسود ، وظهرت غرة القمر
 وأومض البرق فى ليل الشعر ، ورمى فاحم الفود بضده واشتعل المبيض فى
 مسوده ، قدم رائد الهداية وذائد الغواية ، وطلبة العفاف وذريعة الانصاف ،
 ومظنة الوقار ومشرق الانوار ، فعزل الخلال الجانية عليك وأحسن كما أحسن
 الله اليك .

انما تحس الرياض اذا ما ضحككت فى خلالها الانهار
 من شاب غدارة لم تقبل اغداره ، من عزل غيابه والى مصابه ، من لمع ضوء
 فرعه تفرق شمل جمعه ، من كبر ذوى عوده وبانت سعوده وافل نجمه ووهن عظمه
 وضعف بعد القوة جسمه وخمدت منه الانفاس ونفرت عنه طباء الكناس .

لو كان عمر الفتى حساباً كان له شيبه فذلك

يا من ادركه المشيب أترك الغزل والنسيب وارجع الى الله من قريب ،
ولذبا لمتاب واعدل عن الخضاب ، واخش نصول النصول ودع من يزور ثم يزول ،
لا تطمع بوصل الحسان واكتب لهن تسريحاً باحسان ، واحذر منهن العدو
الازرق واسبق الى ممنعهن من قبل أن تسبق .

عذر الكواعب انهن كواكب لا يجتمعن مع الصباح اذا بسدا
فنظر الي ملياً وقال لقد جئت شيئاً فريباً ، يا هذا أنت ناصح امين أم ذابح
بغير سكين ، نكست الاعلام وقتنت الاحلام ، وفخمت الوعيد وجلت في ميدان
التهديد ، وأثرت نيران التلف ووترت عفا الله عما سلف ، وأدנית غمام الغم ومدحت
ما يستحق الدم .

ما رأينا المشيب الا كتلج أبيض بارد قليل المقام

واهاً له من زائر يظهر العدل وهو جائره ، يأتي من الشهب على كل ضامر
والخرب من الاعمال كل عامر لا يرجا لسليبه عوض ولا يقضى لصاحبه غرض ، ناع
ينفض لذة الرقاق وساع يطوف بحرم الفراق ، وملوك لا يعتنى بحفظ ميثاقه ،
ورسول معجزته الخوف من اجتماعه والفرق لفراقه :

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسقع

غرة مرة ونور ليس معه مسرة يبلى الجديد ويصيد الصيد ، ويعتدى على
الشباب ويفرق بين الاصحاب ، ويسود ببياضه اللون وهو عنوان فساد الكون ،
رفعت عند نصحك مقدار ونفيت قاره وأثبت وقاره .

وأي وقار لامن عرى الصبا ومن خلفه شيب وقدامه شيب

ثم انك رثيت وما رثيت ومريض المشيب عن معالجته الخضاب نهيت ،
وضاعفت التعنيف واكثرت الارجيف ، وسقت الشائب الي رسمه ومنعته من
التصرف في نفسه ، وبسطت شقة الشقاق اما سمعت قول الوراق .

للضيف أن يقرا و يعرف حقه والشيب ضيفك فاقره بخضاب
فقلت : الى م يختنى الزامر ويتستر، وحتى م يكتم الكتم شيئاً بعد ثلث
يظهر، وهل يرد التمويه ماضى أو يخدم ماء الصبغ جمر الفضا :

تستر بالخضاب وأي شيء دل على المشيب من الخضاب
فقال : قد أطلت الملام واثخنت بكلام الكلام ، ونشرت رداء الرد وزاد
سيف عدلك فى الحد :

ومع المشيب فبعد عندي صبوة ويبلأ القميص وفيه عرف المندل
يا هذا انى لاعلم أن الخرق يتسع على الراقع ، وان التمادى فى التصابى
سم نافع، لكن العظام صعب وكل أحد لا يمكنه رأب الشعب ، وترك منصب
الامارة شديد على النفس الامارة ، وهى الى خضرة الخضرة تميل وعلى الله
قصد السبيل :

لعمرك ما خضبت بياض شيبى رجاء أن يعود الى الشباب
ولكنى خشيت تراد منى عقول ذوى المشيب فلاتصاب، وانا استغفر الله من
الزلل واستعين به على سد الخلل ، وأتوكل عليه انه جواد كريم ، وأتوب اليه
انه هو التواب الرحيم .

(فصل فى الحكم)

- العلم نعم السمير والعقل بشير بالخير يشير .
- اجتهد فى طلب العلوم تنفرد بما يرفعك الى النجوم .
- المجد ببذل اللهى والفضل بالادب والنهى .
- من صادق العلماء زها بدره ومن رافق السفهاء وهى قدره .
- العلم ثمرته الانصاف والزهد نتيجه العفاف .
- التقوى أفضل حلة والمروة أجل خلة .

الحق سيف قاطع ، والحلم درع مانع .
 الزم الحجى فهو أطف سائس ولا تعدل عن العدل فهو أحفظ حارس .
 العقل أحسن المواهب والجهل أقبح المصائب .
 العقل احسن معقل فاهـرع الى ابوابه العليا تتل كل العلا
 واعلم بأن الشيء يرخص كثرة والعقل ان كثرت حواصله غـلا
 من رضى بالقدر وقى شر الحذر .
 اليأس يعز الاصاغر والطمع يذل الاكابر .
 حاسب نفسك تسلم، ولا تقتمح الا لخطر تندم .
 من سره الفساد فى الارض ساءه طول التعب يوم العرض .
 لا تقل الا ما يطيب عنك نشره ولا تفعل الا ما يسطرك اجره .
 السعيد من اتعظ بماضى امسه والشقى من ظن بخيره على نفسه .
 لا يغر نك صحة بدنك اليسيرة فمدة العمر وان طالت قصيره .
 من لم يعتبر بالمساء والصباح لم ير تدع بقول اللوام والنصاح .
 من قنع برزقه استغنى ومن صبر نال ما يتمنى .
 اذا الرزق عنك نأى فاصطبر ومنه اقتنع بالذى قد حصل
 ولا تتعب النفس فى وصله فان كان ثم نصيب وصل
 من آمن بالآخرة فاز بالملا بس الفاخرة .
 من رفع حاجته الى الله نجحت ، ومن تمسك بغيره خسرت تجارته هو
 ما ربحت .

الدنيا ظل زائل والمشيمة ضيف راحل .
من غالب الحق غلب ومن أستهان بالدين لسب وسلب .
لاتخل نفسك من فكرة تدنى من قلبك وطرفك قراراً وقررة .
عد عن طاعة هواك واحذر من مخالفة مولاك .
لامتابع هواك يا ذا المعاصي واجتنب ذلة الهوى والهوان .
أحمق الناس من أطاع هواه وتمنى على الاله الامانى .
من وثق بالله أغناه ومن خرج عن حكم ربه عناه .
من لزم شأنه دامت سلامته ومن حفظ لسانه قلت ندامته .
الصمت يرفع لك المنار ويخلع عليك ثوب الوقار .
الزمان لا يبقى على حال والدنيا طبعها الغدرة والملال، تفتن بزهرتها الذاوية
وتخدع بزينتها المتلاشيه .

لا تفن عمرك فى المعاصي وخذ حذرک من مالک النواصی .
اياك وكثرة الكلام فانها تنفر عنك الكرام .
ما سعد من شقى صاحبه وما عزم من ذلت أقرابه .
من لزم شكر الاحسان استدام عدم الحرمان .
لاتودع سرک غير صدرك ولاتتكلم بما يحوجک الى اقامة عذرك .
تفرد بحفظ السر وحدك لاتثق الى أحد فيه ولو كان من كانا
فانك ان أودعت سرک عاقل يزل وان أودعته جاهلا خاننا
من بسط يده بالوجود خرج من العدم الى الوجود .
من علا علم شيمته غلا مقدار قيمته .
أستر برأ يظهر من يدك وانشر معروفاً يسدى اليك .
من أحسن الى جاره أطلع قمر الحمد فى داره .

من جاد لطلب الجزاء فليس بكريم ومن صفح لعدم القدرة فليس بحليم .
أحسن الخلق ما حثك على المكارم واوضح الطرق ما كفك عن المحارم .
عي تسلم بميلك اليه خير من نطق تندم عليه .

من قل عقله كثر قوله ، ومن نكا أصله تواتر طوله .
توق جنابة اللسان ولاتأمن من سطوات الزمان ، واستعذ من شرأفعي افعالك
وتحل بالصدق فى جميع احوالك .

الصدق يورث حامله مهابة سر نحوه نعم الطريق طريقه
واحفظ به عهد الصحاب فانه من قل منه الصدق قل صديقه
لاتعج عن سبيل الصواب ولذ بجناب رب الارباب ، وأوسع الى باب من
بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، وأخش من يعلم السر وأخفى ، ان الذين
يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .

(فصل فى السماء والنجوم)

أيقظنى ليلة داعى الهموم فنظرت نظرة فى النجوم ، فاذا السماء كأنها روضة
مزهرة أو صرح كنس جوار مسفرة ، أو غدير تطفو عليه الفواقع او بنفسج
نوراً قاحه لامع ، أو مسح ألقى عليه درغواص ، أو ستر به لعين كل نجم ووصواص
أو جمر فى خلال رماد أو كما قال من أجاد .

بساط زمرد نثرت عليه دنائير تخالطها دراهم

ونهر المجرة يجرى فى سندسها . ويسرى ليسقى ذابل عن حبهها ياله نهرأ
صفها ماؤه وعقد على الافق لواوه ، ينقلب القلب اليه ويقف طرف الطرف عليه
ويقبل نحوه الدبران وينصب على شطه الميزان ، ويحوم حوله النسران ويعوم
فيه الحوت والسرطان .

والثريا كراية أو لجام أو بنان أو طائر او وشاح

او باقة من نرجس او كأس تدار فى مجلس ، أو شمع يتوقد او شمسة من
عسجد، او شذر منضود او كرم او عنقود، او عقد لؤلؤ حسن الاتساق واقراط
خود ترتعدفرقاً من الفراق .

وسهيل كوجنة الحب فى اللون وقلب المحب فى الخفقان
او كمصباح تلعب به ايدي الرياح ، او ظامى يريد ان يرد او فارس فى حمى
الحمى مجتهد، او مشوق يتبع الاثار او غريب لا يزور ولا يزار، او غريق يدعى
قوة السباحة او ماجد أنف من الذل فألف السباحة ، او مغاضب يدعى فلا يجيب
او محب يغض الطرف خوف الرقيب ، والجوزاء النيرة الشجرة المنورة كأنها
منطقة من ذهب قد عقدت على قباء ازرق ، وأفرقدان الهاديان المرشدان .

كأنهما الفان قال كلاهما لشخص اخيه قل فانى سامع

والذراع يذرع شقة الافق والعجبة تقعد على مفارق الطرق، والعيوق يعوقوا عن
السير الاسار والعوانشاوى قد تغشاهم خمار ، والسماك معتقل رمحه والنشرة
منظمة كالسبحة ، والنعائم تحدوها النعامى ، وزهرة الزهرة تضى بين الخزامى
وبهرام بخجل البهرمان والاكليل ليس بكل من مسابرة الاضعان ، والمقدم لا
يتأخر عن الاعتاق والايجاف والصفرة قد همت مع العسكر بالانصراف .

تمدر قومها ليلا وتطوى نهارة مثل ما تطوى الازار

فكم بصقالها صدرى البرايا وما يصدى لها ابدأ غرار

فبيننا انا استرح فى درر الدراري نظرى واروض فى رياضها جواد فكرى ،
واقدس من هى مسخرات بأمره وأنزه من هدى خلقه بها فى بره وبحره ، اذهب
نسيم السحر يروى عن اهل نجد اطيب الخبر ، فعطر الكون بعرفه وملك البرق
برقته ولطفه ، وأهدى الروح الى الارواح وأطرب السمع بأحاديثه الصحاح .

فهو حياة لكل حي كأن انفاسه نفوس

فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده ، وسر بمنساجاته سرى
وقلت له والدموع تجرى .

اعد ذكر من حل الغضايا محدثي وان اضرموه بالاضالع والصدر
ولا تنس سكان العقيق وان هم على وجئى اجره في مدة الهجر
فلما اتممت الانشاء والانشاد وشرعت فى طلب الاسعاف والاسعاد ، تبسم
الفجر ضاحكاً من شرقه ، ونصب أعلامه على منازل افقه ، فانطوى نشر الليل
وكف من عمره الذيل ، وارتفعت الحجب وباخت نار الشهب ، وانقص باز
الضوء غراب الظلام وفض كافور النور من العسق مسك الختام .
وشرد الصبح عنا الليل فاتضحت سطوره البيض فى الواحه السود
وقلت جيوش الدجا ، وحرك النهار منه ماسجا ، وجنح حنجه الى الرحيل ،
وتلا لسان حال التحويل ، « يقرب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة الاولى
الابصار » .

(فصل فى الشمس والقمر)

بكرت يوماً بعد أداء الفرض ، أتفكر فى خلق السماوات والارض ، فلمحت
المشرق بالنظر واذا قرن الغزاة قد ظهر ، كأنه جذوة نار او قطعة من دينار ، او
كأس ستر بعضه بالعجاب او حسناء عظت وجهها بنقاب ، ثم كشفت استارها
وألقت على الأفق أنوارها ، وبرزت كأنها كرة فى ميدان او مجن ضمخ بالزعفران
او امرأة لم تصقل ولم تطرق أو وجه المليحة فى خمار ازرق ، أو سبيكة زجاج
ممتفخة الجوانب . أو بوتقه بحول فيها ذهب ذائب .

وكانها عند انبساط شعاعها بتر يذوب على فروع المشرق
فقلت اهلا بالجارية التى فى طلعتها ما يغنى عن الجارية ، والعين التى
تغار منها العين ، والجونة التى وضح منها الجبين ، والسراج الوهاج التى

تبرجت بها الابراج . أنت المخصوصة بالشرف والرفعة ، أنت واسطة عقد الكواكب السبعة ، أنت للحكمة برهان وللفلك معيار وميزان ، أنت الناطقة فى صمتها التى قصر البليغ عن وصفها ونعتها ، أنت ملك مقدم ، أنت النير الاعظم أنت يوح التى تغدو فى مصالح المسلمين وتروح ، أنت ذكاء التى اذكت ناوها انت الضح التى أعلى الله منارها ، أنت الشمس التى بها تعرف الاوقات الخمس بك ينشر الظل ويطوى ويشتد النبات بعد ضعفه ويقوى ، ويستدل على طريق الصواب ويعلم عدد السنين والحساب ، لما سفرت رافلة فى الحليل المعصفر محيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة ، وناهيك بها منزلة وحسبك ان صفاتك فى الكتاب منزلة . ثم تمشت على بساطها وخطرت فى وشيهاو رباطها ، وسبحت فى فلکها مرشدة الى الحقائق مظهرة أسرار الساعات والدرج والدقائق.

تسمو الى كبد السماء كأنها تبغى هناك دقاع امر معضل

واستمرت سائرة يحدوها من النسيم ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، فلم يزل فكرى يصاحبها وطفى يرهاها ويراقبها .

حتى اذا بلغت الى حيث انتهت وقفت كوقوفه سائل عن منزل

ثم اثنت تبغى الحدود كأنها طير اسف مخافة من اجدل

فلما حجبت عن العيون شخصها وخطف المغرب من يد المشرق قرصها ، واكتحلت جفون الافق بالقاد وطرد رنجى الليل رومى النهار، بزغ الهلال بأمر ذى الجلال كأنه قوس مورتور أو منحدر وفى بحر الديجور ، أو شطر سوار أو مبخل معد لحصاد الاعمار ، أو خنجر مرهف التصلين أونون معرقة من لجين أوشفة كأس مائلة أو مخلب عقاب صائلة ، او قطعة من قيد أوفخ نصب للصيد ، أو حرف الجيم أو عرجون القديم ، او حاجب شيخ ادركه الشمط أو نعل من حافر أدهم الدجا سقط ، أو ذباب سيف خرج من جفنه او راعع يعبد من لا

يحدث امرأ الاباذنة ، فقلت : مرحباً بمن اسباب مناويه رثا ، قرعياً ستعود
قمرأ بعد ثلك ثم تصوير بدرأ ان ذلك لذكري :

واذا رأيت من الهلال نموه أيقنت ان سيكون بدرأ كاملا

أنت الزمهير الذى ليس له فى نصرته نظير ، أنت الزبرقان الذى له فى
كل شهر مهرجان أيها القمر كم معجب طاب له فيك السمر ، أيها الواضح الباهر
ما أنت الا مثل سائر ، أيها البدر الكامل الذى فضله للبرية شامل ، لاتأس على ما
فات من الدرج ولا يكن فى صدرك من الغزاة حرج :

فقد تخمد الشمس الصباح بضوئها تفاوتت الانوار والكل رائق

منازلك معروفة ومحاسنك موصوفة ، وشرفك باذخ وقدمك راسخ ، وآياتك
ظاهرة وسفارتك سافرة ، كم أوضحت من طريق وهديت الرفيق السى الفريق ،
واذكرت محبأ بمحبوبه وبلغت طالبأ غاية مطلوبه ، احسن بضوء ذبالتك وجهلا
بها لتك ، جعلك البادى فى السماوات نورأ وكان امرالله قدراً مقدوراً ، وجلا بمحيالك
حنس الغسق واقسم بك فى قوله والقمر اذا اتسق ، قدرك اثيرأ يثل ومحبك
بنيه نبيل ووجهك يا ثبينة الحسن جميل :

على رسل فمالك من مجار السى رتب العلا ولا رسيل

فتبارك اسم من البسكما احسن الحبر ، وتعالى جد من جعلكما مصباحين
لاهل النظر ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ثم لم يبرح يسرى
وانا لا ابرح ويتجلى وانا أشاهد وجهه الاصبح الى ان غاب واختفى ، وحسبنا
الله وكفى :

(فصل فى السحاب والمطر)

ان لله تعالى حكماً دائم النفوذ وحكماً شفاء النجا لمن بها يلوذ ، واسرارأ
معناها دقيق لا يفهمه الا ارباب التحقيق ، أمسك الغيث عن عبادته فى عام فخاض

كل منهم في مجرد معه وعام ، وساءت الظنون لظن السحاب ، واشتاق البنات الى سماع وقع الرباب ، وظمت الحياض وعبست وجوه الرياض ، واستدنت عيون العيون بالنقع المشار ، وتعطلت من حلى المزن أجياد الازهار، وذهلت العقول لفقد الصوب عن الصواب وقص حناح السرور وطارت الالباب، وطوى بساط الانبساط ووقع القوم في هياط ومياط، وطالت عهود العهاد وتأهبت الارض للبس أثواب الحداد. وصابت نبت الرباعين شمس أورثته مذلة واصفراراً، كلما جال طرفها ترك الناس سكارى وماهم بسكارى . فبينما هم بحرون اذبال الكآبة ويرفعون الدعاء الى مواطن الاجابة ، تداركهم اللطف الخفي وانثال عليهم المن الحفى ، ونظر الله اليهم بعين حكمته وحرك ساكن الرخاء لتجري بنعمته، وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، فمدت أعناقها وجدن اعناقها، وركضت عادياتها وجرت على أحسن عاداتها، وسدات من أرديتها الاردان وأرخت العنان فى طلب العنان :

ورياح نبشر الارض بالقطر كذليل الغلالة المبلول

ووجوه البقاع ينتظر الغيث انتظار المحب رد الرسول

فأقلت سحاباً ثقالاً يستهل كرمأ ونوالا ، مسكى الاوهاب خصيب الجناب فسيح الرحاب ، صادق الوعود متلاحق الوفود كثير الاعوان والجنود ، يؤذن بالموارد الطامية وشفاء الشفاه الطامية، واثرى فقير الثرى وأجرى دمه اسفاً على ما جرى :

اكب على الافاق اكباب مطرق يفكر أو كالنادم المتلهف

ومد جناحيه الى الارض جانحاً وراح عليها كالغراب المرفرف والرعد يزجره ويسوقه بين يديه ، فاذا قصر صاح به وزمجر عليه تارة يترنم كالحمام وطوراً يزأر كالاسد الضرغام :

وكان صوت الرعد خلف سحابه حاد اذا ونست النجائب صاحها

والبرق يلمح ويلمع ويمنح ثم يمنح ، كأنه ثغرا شنبه او قيس يتلهب ،
او حسام يمان أو فؤادجبان ، او سلاسل ذهب او اشقر مال جلته حين وثب .
او انامل بعض الحساب أوحية تلتوى ثم تنساب ، أو كف خضيب يمد ويقبض
أو خد خود تعرض بعد ان تتعرض :

ترى الارض منه وقد فضضت ووجه السماء وقد ذهباً

وقوس الغمام للجو نط-اق ، لابل تاج على مفارق الافاق ، يزهو بلجينه
وعسجده ويفخر بياقوته وزبر جده :

كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

فلما ترا كمت السحائب واجتمعت حولها الكتائب ، واتسع صدرها واستحكمت
امرها ، وحلق بالجو ناهضها واعترض في الأفق عارضها ، ونصبت راياتها وانتهت غاياتها
وآن رحيلها وتفرق شملها وحان وضعها وفصال حملها ، أجرت مدامعها وردت
ودائعها ، وحلت عقدنطاقها وفكت أزرار أطواقها ، وحشت الركائب واسيلت الذوائب ،
وسمحت بطلها وطشها وسكنت رهج الغبراء برشها ، وأروت المحرة برداذاها وهطلها ،
وأذهبت المحرقة بديمها ووبلها ، وأثرت بوجودها وجودها ونثرت على بساط الارض
جواهر عقودها :

تخال بها مسكاً وبارق-ر لؤلؤ وبالروض يا قوتاً وبالوحدل عنبراً

ثم ابدت احساناً وبراً وبردت من كبد حرى راسدت معروفاً واغاثت ملهوفاً
وساقت انصاماً وسنت حرثاً وانعاماً وكفت هماحين وكفت ، وقرطت آذان
الاغصان وشنفت وأنشرت امواتاً واخرجت حباً ونباتاً ، ونشرت مطرفاً بعد الطي
وجعلنا من الماء كل شيء حي ، وكم نفعت غليلا ونفعت عليلا ، وملات حياضاً
ونورت رياضاً ، اذالت درأ مصونا وشرحت صدوراً واقرت عيوننا ، وألبست
الحدائق بروداً عليها طلاوة واهتدت للزهر قطراً ظاهر المحلاوة :

ترى فوائعه فى الارض لائحة مثل الدراهم تبدو ثم تستره
فأمسى الناس فى عيشة راضية يرفلون فى حلال الرفاهية ، امرعوا بعد الضنك
ولشظف واخصبوا بعد الجذب والصفف ، وأصبح محل المختل دارساً ووجه
الارض يضحك وقد كان عابساً ، واخذت الارض زخرفها بعد ان كاد زرعها يهيج
واهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، فنغورها مبتسمة وفرادقلايدها منتظمة ،
ونمارقها مذبحة ورؤوس اشجارها متوجه ، وعذرائها طافحة ومخائل السعادة
عليها لائحة ، والسنة اهلها مشتغله يشكر علام الغيوب وقلوبهم مطمئنة بذكوره
ألا بذكر الله تطمئن القلوب، يبدىء ويعيد ويمتحن العبيد ، ثم يفتح لهم أبواب
جوده الوافر وفضله المديد ، وهو الذى ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر
رحمته وهو الولي الحميد .

(فصل فى الليل والنهار)

أرقت ذات ليلة فى مهادي فسمعت طارقاً ينادي فى النادي :
ان الليالى للانام مناهل تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار
فقلت من مضجعى وقد بل رذني مدمعى ، متحيراً فى امري متأسفاً على ما
فات من عمرى ، وقلت: أيها الطارق فى ظلمة الليل الغاسق هل لك فى المنادمة.
فقال : كم تديم سفك المنى دمه ، ثم سلم وجلس ، وتنفس وما بنس . فقلت :
يا من شنف السمع بدره اذكر لى شيئاً فى طول الليل وقصره ، فقال :
وليل كـواكبـه لا تسير ولا هو منها يطيق البراجا
كيوم القيامة فى طولـه على من يراقب فيه الصباحا
مقيم ليس يبرح وعاجز لا يظعن ، ولا ينزح برد نجومه لا يذوب وغائب ضوؤه
ليس يؤوب ، لا يبلى جديد مسحه ولا يجنح السى الحركة ساكن جنحه ، عليه

مايرجا صلاحه وصباحه لايلوح مصباحه ، قطع الطريق على السجر وعذب اجفان
المحبين بالسهر :

حدثوني عن النهار حديثا اوصفوه فقد نسيت النهارا
كأنه صريع راح او طائر مقصوص الجناح ، أو اسير يتحبط فى قده أو
بحر منع الجزر عن مده ، او كسير ليس له على النهوض اقتدار أو ضريرايسر
طرفه من رؤية النهار ، او هائم غمر يقطع الغلا قد حار لايدرى بمن يهتدى او
جيش زنج بالثوى قد نوى او دارة حيث انتهت تبتدى. واعلم ايها البصير الناقد
انه يطول على المهجور الفاقد ويقصر على المسرور والراقد :

ليلي كما شات فان لم تزد طال وان زادت فليلي قصير
فقلت أيه ايها الامام اسمعنى شيئاً فى وصف الايام ، فقال :

لله ايام تقضت بهمم ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها شىء سوى ان نتمناها

حيث الوقت معين وماء الشبيه معين ، ونشر البشر فائح ، ونور الهنالائح
والحبيب معجب والرقيب غير قريب ، وعضن الصبارطيب ومطرف اللهوتشيب
والعيش غض والدهر غضيض الطرف وسعاد السعد ممنوعة من الصروف ، والشمل
مجتمع والجمع مشتمل ، على الجميل وحسن الخلق والخلق . يا أخوا الادب
الى كم ذا الحرص والداب ، الايام نجمها عزار ومدعى الوفاء منها عذار ، كثير
الملال سريعة الزوال ، تفرق الحبايب وتسترجع المواهب ، ذمامها ذميم ومسالمها
سليم ، تحل العقود ولا تحفظ العهود ، وتكدر والصافى من الشراب وتعد
الظامى بورد السراب ، لقد سقط من تمسك بغراها وتعب من قصد الراحة فى
ذراها :

ومتطلب فى الماء جذوة نار ومكلف الايام ضد طباعها

ثم قال: مضت الجهممة والشفق والفحمة، والغسق والقطع والسدقة والبهرة والزلفة، وآن لنسمات السحر ان تتمخطر ولعيون الفجران تتفجر، وقام للوداع فقلت زورنى بأنعم المتاع، فقال ضع اوزار الاوزار واتق من لاتدركه الابصار وسبحه بالعشى والابكار، وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار. اقول: ان هذا الكتاب كنت قد كتبتة كله فى أيام الشباب، ثم انه ذهب فيما ذهب من الكتب وكان جدي المرحوم المبرور المحقق الحسن ابو منصور قدس الله روحه قد انتخب هذه الفصول منه وهي عندى بخطه الشريف، والترتيب مختلف وكتب فى أولها: هذه فصول أنيعة تشتمل على فقر فى البلاغة عريقة، انتخبتها من الكتاب المسمى بنسيم الصبا للفاضل البارع الاديب الحسن ابن عمر بن الحسن بن حبيب، وقدمت أمامها شيئاً من كلامه فى الدياتجه لانه مما تمس اليه الحاجة.

قال بعد أن حمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وآله: فهذه ثلاثون فصلاً طالت فرعاً وطابت اصلاً، تشتمل على ألفاظ ارق من الشمول ومعان يعينون عقائلها تفنن العقول، انشأتها بعد الافاقة من نشوة الصبا، وسميتها حيث ملكت زمام اللطف (نسيم الصبا)، واودعتها ابياتاً لغيرى على وجه التضمين، محلياً جيد منشورها بالمنظوم من عقدها الثمين، منبهاً عليها بالحمرة مظهرأ مالها على مأمور قولى من الامرة، والله يهدى الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[حديث يود اسكفت]

بلغ ومن ذلك حديث قيل انه فى بصائر الدرجات فى (باب النوادر فى الاتمة عليهم السلام وأعاجيبهم) باسناده عن عفيف بن ابى سعيد قال: كنا فى

اصحاب البرود ونحن شبان، فرجع الينا امير المؤمنين فقال بعضنا بود اسكفت
قد جاء كم . فقال علي : ويحك ان اعلاه علم واسفله طعام .

اقول : معناه انا كنا في الجماعة الذين كانوا لابسى البرود ، ونحن شبان
جمع شباب ، فرجع امير المؤمنين عليه السلام الينا فقال بعضنا بود اسكفت
قد جاء كم ، أي قد جاءكم هذا ، وهذا الكلام غير عربى وقصد المتكلم به ان
لا يفهم امير المؤمنين عليه السلام ما يقوله واعتقد انه لا يعرفه فعبر بهذه اللغة لئلا
ينكر عليه ويتأثر منه أو لغير ذلك، ومعناه قد جاءكم البطين أو كبير البطن ونحو
ذلك ، ومن صفاته عليه السلام الانزع البطين ، فقال له ويحك ان اعلاه -- أي
اعلى بطنى -- علم واسفله طعام، فهو عليه السلام بطين من العلم، فأخبره بأنه يعلم
لغته وهذا من اعاجيبه عليه السلام .

[معنى حاجيتك الوارد في الحديث]

ومن ذلك ما نقله ابن شهر اشوب رحمه الله فى مناقبه قال : كتب معاوية
الى ابى ايوب الانصارى : اما بعد فحاجيتك بما لاتنسى شيئا . فقال امير المؤمنين :
اخبره انه من قتلة عثمان وان من قتل عنده مثل الشيباء ، فان الشيباء لاتنسى قاتل
بكرها ولا اباها مخذرها ابداً .

اقول : قال فى القاموس بانى بليلة شيئا بالاضافة وبليلة الشيباء اذا غلبت
على نفسها ليلة هداها . وقال : الشيباء آخر ليلة من الشهر .
وقال فى الحجى : حاجيته فحجيته قاطنته فغلبته ، وقال الحجى المعاركة ،
وغير ذلك مما يمكن أن يكون له مناسبة بالمقام . فقول معاوية « فحاجيتك بما
لاتنسى شيئا » مأخوذ من ذلك .

وحاصل المعنى انى خاصمتك بما يناسب هذا المثل أو نحو ذلك ، وقد

بينه امير المؤمنين عليه السلام بأن معاوية أخبر أبا ايوب الانصاري بهذا الكلام انه من جملة من قتل عثمان وان من قتل عثمان عند معاوية مثل الشيباء ، فان الشيباء لاتنسى قاتل بكرها وهو أول من تلده .

و« لاتنسى اباها » أى امتناعها « فى مخدرها » اي خذرها ليلة الدخول بها ابدأ . وهذا الالبالة دخل فى عزه الولد ، فالمراد ان هذا القاتل لاينبغى ان ينسى ما فعله ابدأ كالشيباء ، اذ الطالب بشاره مثل معاوية فيكون مما لاينسى ، كما يقال اذا كان مثلى خصمك لم يفارقك الخوف منى ونحو ذلك .

ويحتمل ان يكون المعنى ان معاوية لاينسى قتلة عثمان ، فيكون مثلاً ضربه له فى عدم نسيانه ذلك . والمراد التمثيل بعدم نسيان ذلك لان القاتل كالشيباء .

ولكل قرب من جهة ، وان كان تشبيه القاتل بالشيباء اظهر من كلامه عليه السلام والله اعلم .

[مسألة يعقوب من الصحاح]

ومن ذلك عبارة فى الصحاح وهى على ما نقله السائل: ويعقوب اسم رجل لاينصرف فى المعرفة للعجمة والتعريف لانه غير عن جهته فوقع فى كلام العرب غير معروف المذهب ، واليعقوب ذكر المحجل وهو مصروف لانه عربى لم يغير وان كان مزيداً فى أوله فليس على وزن الفعل ، قال الشاعر :

عال يقصر دونه اليعقوب

اقول : الذى يظهر من معنى هذه العبارة ان يعقوب اذا سمي به رجل كان غير منصرف لانه حينئذ اعجمى وعلم فيه العلمية والعجمة ، ولم يكن منصرفاً لان استعمال العرب له وقع فيه تغيير عن جهته الاصلية التى هى العجمة، فوقع

فى كلامهم غير معروف مذهبهم فيه هل هو بوضع منهم او أنهم استعمالوه فقط، فالاصل فيه البقاء على العجمة أو ان لفظ يعقوب وقع فيه بعض تغيير بالنسبة الى الاسم الاصلى من العرب، ولم يعلم أنهم استعمالوه مع التغيير بالوضع الاصلى أو بوضعهم ، كما فى الالفاظ التى أصلها فارسي فعربت ، بمعنى أنها استعملت فى لغة العرب مع تغيير فى اللفظ لذلك المعنى، فاستعمال العرب لذلك وتغييرهم له لا يعلم منه مذهبهم فى ذلك بأنه وضع او استعمال مع تغيير .

وهذا بخلاف يعقوب الذى وضعه العرب لذكر الحجل ، فانه عربى واقع على مذهبهم حيث وضعوه له وان كان منقولاً، فيكون منصرفاً لانه عربى وان كان علماً لهذا الجنس ، فلهذا كان منصرفاً .

والفرق بين يعقوب اسماً لرجل انه كان اولاً اسماً لرجل ثم استعمل كذلك، ويعقوب الذى هو ذكر الحجل أنه بقى على الوضع الاول بحسب اصطلاح العرب ومذهبهم فى الوضع .

[حديث حسن الخلق]

ومن ذلك مارواه محمد بن يعقوب رضى الله عنه فى الكافى فى باب حسن الخلق باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال : هلك رجل على عهد النبى صلى الله عليه وآله، فأتى الحفارين فاذا هم لم يحفروا شيئاً وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ما يعمل حديدنا فى الارض فكانما نضرب به فى الصغا . فقال : ولم ان كان صاحبكم لحسن المخلوق ايتونى بقدر من ماء ، فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشه على الارض رشاً ثم قال : احفروا . قال فحفر الحافرون فكانما كان رملاً يتهايل عليهم .

اقول : محل الاشكال فى هذا الحديث قوله عليه السلام « ان كان صاحبكم

لحسن الخلق»، وتوضيحه أن هنا مسكورة الهمزة ساكنة النون وهي مخففة من الثقيلة نحو « وان كادوا ليفتنونك »^١ « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين »^٢ قال فى المعنى : وحيث وجدت ان وبعدها اللام المفتوحة فاحكم بأن اصلها التشديد، واذا دخلت على الفعل فالأكثر كون الفعل ماضياً ناسخاً نحو « وان كانت لكبيرة »^٣ ودونه ان يكون مضارعاً نحو « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك »^٤ انتهى .

فان قلت : هل يحتمل أن ان تكون شرطية .

قلت : سياق الكلام وربطه ووجود اللام مع شهادة الذوق السليم يابى ذلك، ومثله كونها نافية مكسورة أو مفتوحة على ما حكى نادراً فى المعنى وتبعه صاحب القاموس ، واستدل صاحب هذا القول بقوله تعالى « ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم »^٥ . ورد بأن المعنى ولا تؤمنوا بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم من الكتاب الا لمن تبع دينكم وبالجمله فلاوجه فى هذا التركيب للشرط والالتفى مع وجود شروط المخففة واستقامة المعنى بها دون غيرها .

اذا تقرر هذا فمعنى الحديث -- والله أعلم -- انه عليه السلام تعجب من ذلك بقوله ولم ومدحه بحسن الخلق ففعل عليه السلام بقبره مافعل ، وهذا اما مع صفة ذميمة اقتضت تعسر الحفر والاجل هذه الصفة فعل به مافعل واما لكون الارض هكذا اتفقت صلابتها وانه لحسن خلقه يستحق مافعل به ، او أن التعجب

-
- (١) سورة الاسراء : ٧٣ .
 - (٢) سورة الاعراف : ١٠٢ .
 - (٣) سورة البقرة : ١٤٣ .
 - (٤) سورة القلم : ٥١ .
 - (٥) سورة آل عمران : ٣٣ .

من حيث أن صاحب الخلق الحسن لا يحصل له مثل هذا ظاهراً .
ويحتمل أن يكون عليه السلام تعجب من صلابة الأرض ثم قال : ان فيه
صفة حسن الخلق ولاجل ذلك فعل عليه السلام ذلك . وقد ورد في الخبر مامعناه
انه أتى عليه السلام بجماعة فعرض عليهم الاسلام فأبوا فأمر بقتلهم ، فلما انتهى
الامر الى رجل منهم أوحى اليه ان لا يقتله لانه يحب اطعام الطعام ، فقال له : لم
لا تقتلني ؟ فأخبره عليه السلام بذلك فقال : ربك يحب من يطعم الطعام؟ فقال:
نعم . فأسلم . ولا يحضرني ألفاظ هذا الحديث .

وفى خبر آخر من طرق العامة أنه مات رجل على عهد عليه السلام فامتنع
من الصلاة عليه حيث أنه كان تارك الصلاة، فجاء رجل وقال : يا رسول الله رأيتك
يوماً يصلي فصلى عليه . فيحتمل أن يكون عليه السلام فعل بقبور هذا الرجل
ذلك من حيث انه كانت فيه هذه الصفة . والله اعلم .

بقي احتمال قريب ، وهو أن يكون لفظ لحسن محرفاً من النساخ وانسه
لخشن بالخاء والشين المعجمتين ، فتعجب عليه السلام من صلابة قبره ثم قال:
ان كان لخشن الخلق وهذا هو السبب في كون قبره هكذا ، ثم أمر عليه السلام
بالماء حتى سهل عليهم ذلك . وهذا يدل على مدح حسن الخلق ، فلا يتوهم عدم
مناسبته لباب حسن الخلق . والله تعالى اعلم .

[رسالة بغية المرید فی الكشف عن أحوال الشهيد]

ومن ذلك نبذة من تاريخ جدي المبرور العالم الرباني زين الملة والدين
الشهير بالشهيد الثاني قدس الله تربته وأعلى في عليين رتبته ، وهو الذي ألفه
الشيخ الفاضل الاجل محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني أحد تلامذته
رحمه الله تعالى ، وهذا الكتاب قد ذهب فيما ذهب من الكذب و وقع في

يدي منه أوراق بقيت من نسخة أحببت ان أنقلها في هذا الكتاب تيمناً بذكر بعض
أحواله ، قال المؤلف رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العلماء الى سماك السما ، وناصب أعلام اجر الشهداء
يوم العرض بين الملا ، وخافض من شك في فضلهم الى ما تحت الثرى ، وجاعل
من جزم بتعظيم قدرهم معهم في الرفيق الاعلى . والصلاة على رسوله محمد خاتم
الانبياء ، وعلى آله الاطهار الاصفيا ، واصحابه الاخيار النجبا .
وبعد : فان أحق ما أودع في الطروس وتوجهت اليه النفوس من فن التواريخ
المحفوظة والسير الملحوظة وتواريخ العلماء الاعلام والفضلاء الفخام ، اذ عليهم
مدار هذا العالم من مبدأ نشو آدم الى يوم المحشر والحساب ، وهم الهداة الى
طريق الصواب والادلة على ما ينجي من العقاب ، فكان الواجب على الخلق
معما يترتب على حفظ تواريخهم وضبط مواليدهم ووفاتهم ونشر سيرهم وما كانوا
عليه من المنهج القويم والخير العميم من المهمات الجليلة والفوائد النبيلة
وانبعاث النفوس على اقتفاء آثارهم والتأسي بصالح افعالهم والاهتداء بمشكاة
أنوارهم والابتهاج بلذيد اخبارهم ، فكان الواجب على الناس عموماً وعلى
التلامذة خصوصاً احياء ذكر مشائخهم بنقل احوالهم من البداية الى النهاية
ليكون ذلك تذكرة على ممر الاعصار ووسيلة الى وقوف من يأتي على ما يتعلق
بهم من محاسن الاخبار وذريعة الى اجرائهم على خاطر داع لهم ومترحم عليهم
بجميل الآثار .

وكان أحق من نظم في عقد هذا الشأن وأولى من نوه بذكره من فضلاء كل زمان
شيخنا ومولانا ومرجعنا ومقتدانا ومنقذنا من الجهالة وهاديتنا ومرشدنا الى الخيرات
ومربيها ، بديع زمانه ونادرة أوانه وفريد عصره وغرة دهره الشيخ الامام الفاضل

والحبر العالم العامل والنحرير المحقق الكامل خلاصة الفضلاء المحققين وزبدة العلماء المدققين الشيخ زين الملة والدين ابن الشيخ الامام نور الدين على بن الشيخ الفاضل احمد بن جمال الدين بن تقي الدين صالح^(١) تلميذ العلامة بن مشرف العاملي أفاض الله على روحه المراحم الربانية واسكنه في جنانه العلية وجعلنا الله من المقتهدين بأثاره والمهتهدين بأنوار بمحمد وآله عليه وعليهم افضل الصلاة واتم السلام .

ولما كان هذا الضعيف الملهوف عليه المحزون على طيب عيش من لديه مملوكه وخادمه (محمد بن على بن حسن العودى الجزينى) ممن حاز على حظ وافر من خدمته وتشرف بمدة مديدة من ملازمته كان ورودى الى خدمته فى عاشر ربيع الاول سنة ٩٤٥ الى يوم انفصالى عنه بالسفر الى خراسان فى عاشر ذى القعدة سنة ٩٦٢ .

فكانها احلام نوم لم تكن
يا ليتها دامت ولم تتصرم
وتمتعت منها القلوب ونارها
من فرقة طغيت ولم لاتتصرم
فواشوقاه الى تلك الاوقات وواأسفاه على ما فات ، وجب أن توجه الهمة الى جمع تاريخ يشتمل على ماتم من امره من حين ولادته الى انقضاء عمره تأدية لبعض شكره وامثالها لما سبق الي من أمره ، فانه قدس سره كان كثيراً ما يشير الي بذلك على الخصوص ويرغب فيه من حيث العموم ، وقد نبه عليه فى (منية المرید فى آداب المفيد والمستفيد) .

فجمعت هذه التبعة اليسيرة وسميتها (بيغية المرید من الكشف عن احوال

(١) رأيت بخط جدى الشيخ حسن طاب ثراه أن تقي الدين ذكره السيد على بن عبد الحميد فى كتاب الرجال ، وبخطه رحمه الله « هذا جدنا رحمه الله » ، ونقل معه جماعة من فضلاء ذلك الزمان من الكتاب المذكور « منه » .

الشيخ زين الدين الشهيد) ورتبتها على مقدمة وفصول وخاتمة :

(أما المقدمة) ففي وصفه بالكمال على الاطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق ووصف خلقته وشكله وهيئته ونبله ، واما الفصول :

(فالاول) في مولده وما عقبه من ختم كتاب الله وترتيب شروعه في تحصيل العلوم والمشائخ الذين استفاد منهم واخذ عنهم واجازوه ومهاجراته للتحصيل وما يتبع ذلك على التفصيل .

(والثاني) في ظهور اجتهاده وتعداد مصنفاة وما أفاده من التحقيقات في المسائل الفائقة والمباحث الرائعة .

(والثالث) في تعداد اصحابه وفضلاء تلامذته الذين قرؤا عليه وترددوا اليه واخذوا عنه واستفادوا منه من العرب وغيرهم .

(والرابع) في ذكر أمره في الكتابة وماله فيهما من الايات ومحاسن الكرامات .

(والخامس) في تعداد زوجاته وعدد اولاده ومن بقي ومن مات منهم ومن رثى ومن رثاه .

(والسادس) في محاسن الرسائل البليغة والانشاءات الفصيحة التي برزت منه الى الغير ومن الغير اليه .

(والسابع) في ذكر القصائد التي مدح بها في الزمان ومن مدحه من أهل هذا الشأن .

(والثامن) في ذكر ما عرض له من الاخاويف وما نزل به من الارجيف وما يتبع ذلك من التستر واخفاء نفسه في النازلات من الاعداء واهل السعيايات وما وقع في خلال ذلك بيننا وبينه من المراسلات .

(والتاسع) في مقتلته وخاتمة اجله بنيل درجة الشهادة وتحصيل غاية السعادة وسبب القبض عليه ومن سعى في تعجيل الحتف اليه واين وقع وكيف اتفق وما

يتيح ذلك من الكتابات المشتملة على الشفاعات من أعيان علماء اهل الشام وفضلاء الاسلام .

(والعاشر) فى اضطراب الاخبار فى تحقيق الاحوال بعد أخذه من الحجاز الى الروم وما انتهى اليه الحال حتى صار من المعلوم .
(واما الخاتمة) ففى المراثى والندب وما وقع بعد فقده من الكرب وبيان من رثاه وأسأل الدمع على مصرعه وبلواه .
ولنرجع الى تفصيل ما اجملناه وترتيب ما اسلفناه ونقول .

المقدمة

(فى وصفه بالكمال على الاطلاق وما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق)
حاز من خصال الكمال محاسنها وآثرها، وتردى من اصنافها بأنواع مفاخرها كانت له نفس عليه تزهى بها الجوانح والطلوع وسجية سنية يفوح منها الفضل ويضوع ، كان شيخ الامة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها ، ملك من العلوم زماماً وجعل العكوف عليها الزاماً فأحى رسمها واعلى اسمها ، لم يصرف لحظة من عمره الا فى اكتساب فضيلة ووزع أوقاته على ما يعود نفعه فى اليوم والليلة، اما النهار ففى تدريس ومطالعة وتصنيف ومراجعة ، وأما الليل فله فيه استعداد كامل لتحصيل ما يبتغيه من الفضائل .

هدامع غاية اجتهاده فى التوجه الى مولاه وقيامه بأوراد العبادة حتى بكل قدماه ، وهو مع ذلك قائم بالنظر فى احوال معيشته على احسن نظام وقضاء حوائج المحتاجين بأتم قيام ، يلقى الاضياف بوجه مسفر عن كرم كانسجام الامطار وبشاشة تكشف عن شميم كالتسيم المعطار يكاد يبرح بالروح وترتاح اليه النفوس كالغض المروح ، ان رآه الناظر على اسلوب ظن انه ما تعاطى

سواه ولم يعلم أنه بلغ من كل فن منتهاه ووصل منه الى غاية أقصاه ، فجاء نظامه أرق من النسيم للعليل وآنق من الروض البليل .

اما الادب فاليه كان منتهاه ورقى فيه حتى بلغ سماه ، وأما الفقه فقد كان قطب مداره وفلك شموسه واقماره وكان هوي نجم سعوده فى داره ، وأما الحديث فقدمد فيه بأعطويلا وذلل صعاب معانيه تديلا وشعشع القول فيه وروقه ومدفى ميدان الاعجاز مطلقة حتى صار نصب عينه عباناً وجعل للسالكين فى طرقه تبياناً أدب نفسه فى تصحيحه وابرازه للناس حتى فشا ، وجعل ورده فى ذلك غالباً ما بين المغرب والعشاء وما ذاك الا لانه ضبط أوقاته بتمامها ، وكانت هذه الفترة بغير ورد قرين الاوراد بختامها ، واما المعقول فقد أتى فيه من الابداع ما أراد وسبق فيه الانداد والافراد ، ان تكلم فى علم الاوائل بهج الاذهان والالباب وولج منها كل باب . وأما علوم القرآن العزيز وتفاسيره من البسيط والوجيز فقد حصل على فوائدها وحازها وعرّف حقائقها ومجازها وعلم اطالته وابعازها ، واما الهيئة والهندسة والحساب والميقات فقد كانت له فيها يدلاله تقصر عن الايات ، واما السلوك والتصوف فقد كان له فيه تصرف وأي تصرف .

وبالجملة فهو عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشفه بتأليف كأنها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد، وضعها فى فنون مختلفة وأنواع واقطعها ما شاء من الاتقان والابداع وسلك فيها مسلك المدققين وهجر طريق المتشدين ، ان نطق رأيت البيان منسرباً من لسانه وان احسن رأيت الاحسان منتسباً الى احسانه ، جدد شعائر السنن الحنيفية بعد اخلاقها وأصلح للامة ما فسد من أخلاقها وبه اقتدى من رام تحصيل الفضائل واهتدى بهداه من تحلى بالوصف الكامل ، عمر مناجد الله وأشاد بنيانها وربت وظائف الطاعات فيها وعظم شأنها ، كم امر بالمعروف ونهى عن المنكر وكم أرشد من صلى وصام وحج واعتمر .

كان لآبواب الخيرات مفتاحاً وفي ظلمه عمى الامة مصباحاً ، منه تعلم الكرم كل كريم وبه استشفى من الجهالة كل سقيم واقتفى أثره فى الاستقامة كل مستقيم لم تأخذه فى الله لومة لائم ولم يثن عزمه عن المجاهدة فى تحصيل العلوم الصوارم ، أحلصت لله أعماله فأثرت فى القلوب اقواله .

اعز ما صرف همته فيه خدمة العلم واهله ، فحاز الحظ النوافر لما توجه اليه بكله .

ولقد كان مع علو رتبته وسمو منزلته على غاية من التواضع ولين الجانب ويبدل جهده مع كل وارد فى تحصيل ما يبتغيه من المطالب ، اذا اجتمع بالاصحاب عد نفسه كواحد منهم ولم تمل نفسه الى التميز بشيء عنهم ، حتى انه كان يتعرض الى ما يقتضيه الحال من الاشغال من غير نظر الى حال من الاحوال ولا ارتقاب لمن يباشر عنه ما يحتاج اليه من الاعمال .

ولقد شاهدت منه سنة ورودى الى خدمته انه كان ينقل الحطب على حمار فى الليل لعياله ويصلى الصبح فى المسجد ويشغل بالتدريس بقية نهاره ، فلما أشعرت منه بذلك كنت أذهب معه بغير اختياره وكنت أستفيد من فضائله وأرى من حسن شمائله ما يحملنى على حب ملازمته وعدم مفارقتة .

وكان يصلى العشاء جماعة ويذهب لحفظ الكرم ويصلى الصبح فى المسجد ويجلس للتدريس والبحث كالبحر الزاخر ، ويأتى بمباحث عقل عنها الاوائل والواخر .

ولعمرى لقد اشتمل على فضيلة جميلة ومنقبة جلييلة تفرد بها عن ابناء جنسه وحباه الله بها ترقية لنفسه ، وهى أنه من المعلوم البين أن العلماء رحمهم الله لم يقدروا على ان يروجوا امور العلم وينظموا أحواله ويفرغوه فى قالب التصنيف والترصيف حتى يتفق لهم من يقوم بجميع المهمات ويكفيهم كل ما يحتاجونه

من التعلقات ويقطع عنهم جميع العلائق ويزيل عنهم جميع الموانع والعوائق
إيمان ذى سلطان يسخره الله لهم أو ذى مروة وأهل خير يلقى الله فى قلبه قضاء مهماتهم
لثلا يحصل الاخلال باللطف العظيم ويتعطل السلوك الى المنهج القويم، ومع
ذلك كانوا فى راحة من الخوف بالامان وفى دعة من حوادث الزمان، ولكل
منهم وكلاء قوامون بمصالح معيشتهم ونظام دنياهم بحيث لا يعرفون الا العلم
وممارسته ولم يبرز عنهم من المصنفات فى الزمان الطويل الا القليل ومن التحقيقات
الا اليسير وان كان بعضهم خارجاً عما ذكرنا فلاغر ومما كان فيه من تمام التوفيق
الموصل الى غاية مدارك تحقيق .

وكان شيخنا المذكور روح الله روحه معما عرفت يتعاطى جميع مهماته
بقلبه وببدنه حتى لو لم يكن الامهمات الواردين عليه ومصالح الضيوف المترددين
اليه مضافاً الى القيام بأحوال الاهل والعيال ونظام المعيشة واتقان أسبابها من غير
وكيل ولا مساعد يقوم بها ، حتى انه ما كان يعجبه تدبير أحد فى أمور ولا يقع
على خاطره ترتيب مرتب لقصوره عما فى ضميره ، ومع ذلك كله فقد كان غالب
الزمان فى الخوف الموجب لاتلاف النفس والتستر والاختفاء الذى لا يسع
الانسان معه أن يفكر فى مسألة من ضروريات البديهة ولا يحسن أن يعلق شيئاً
يقف عليه من بعده من ذوى الفطن النبيهة ، وسيأتى انشاء الله تعالى فى عدة
تصانيفه مظهر عنه فى زمن الخوف من غزارة العلوم المشبهة بنفائس الجواهر
المنظوم .

وقد برز عنه مع ذلك من التصنيفات والابحاث والتحقيقات والكتابات
والتعليقات ما هو ناش عن عين فكر صاف وعارف من بحار علم واف، بحيث
اذا فكر من تفكر فى الجمع بين هذا وبين ما ذكرنا تحير ، وهذه فضيلة تشهد
له بها كل من كان له به أدنى مخالطة ولا يمكن أحداً فيها مغالطة .

ومن الشاهد الواضح البين أن الواحد منا مع قلة موانعه وتعلقاته وتوفر دواعيه وأوقاته بذل الجهد في استقصاء كتابته مصنفاً له وما برز من تحقيقاته فما رأينا أحداً من أصحابه استقصاها ولا بلغ منتهاها ، وكفاه بذلك نيلاً وفخراً .
 وأما شكله فقد كان ربة من الرجال في القامة معتدل الهامة ، وفي آخر امره كان إلى السمّن أميل بوجه صبيح مدور وشعر سبط إلى الشقرة ما هو مع سواد العينين والحاجبين ، وكان له خال على أحد خديه وآخر على أحد جبينيه وبياض اللون ولطافة الجسم عبل الذراعين والساقين ، كان اصابع يديه أقلام فضة إذا نظر الناظر في وجهه وسمع عدوبة لفظه لم تسمح نفسه بمفارقة وتسلمى عن كل شيء بمخاطبته ، تمتلى العيون من مهابته وتتهيج القلوب لجلالته . وأيم الله انه لفوق ما وصفت وقد اشتمل من حميد الخصال على اكثر مما ذكرت .

الفصل الاول

(في مولده وما اعقبه من ختم كتاب الله وترتيب شروعه في تحصيل العلوم والمشائخ الذين استفاد منهم واخذ عنهم واجازوه ومهاجراته)
 وقد وجدت بخطه الشريف قطعة من تاريخ يتضمن مولده وجملته من احواله أوزع على كل فصل من الفصول ما يليق به منها ، وأذكر ما أثبتته من حفظي عنه أو عن غيره مما لم يذكره هو بحسب ما يليق بالحال وباللّه التوفيق .
 قال قدس الله نفسه وطهر رسمه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف المرسلين . وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

هذه جملة من احوالي وتصرف الزمان بي في عمري وتاريخ بعض المهمات

التي اتفقت لي .

كان مولدي في يوم الثلاثاء ثالث عشر شوال سنة احدى عشرة وتسعمائة من الهجرة النبوية ، ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعلم .

قلت : ذكر لي انه لشدة صغره ، وكان ابوه عطوفاً عليه جداً رؤوفاً به متفرساً فيه الخير والنجابة ، حتى أنه ماضر به قط ، كان يقول للمعلم هذا الولد لا تضربه أصلاً بل اتركه برأيه فاني اعلم انه لا يحتاج الى الضرب .

وكان الامر كما ذكر ، فانه كان في غاية الرشد لا يلتفت الا الى ما يعود نفعه ولا يشتغل باللعب ولا بما يلهي مما هو مركز في جيلة الاطفال .

قال قدس سره : لكن كان ختمى لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية وسني اذ ذاك تسع سنين ، واشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقهاء على الوالد قدس الله سره الى ان توفي في العشر الاوسط من شهر رجب يوم الخميس سنة خمس وعشرين وتسعمائة .

وكان من جملة ما قرأته عليه من كتب الفقه النافع مختصر الشرائع واللمعة الدمشقية .

قلت : حكى لي أنه من جملة لطفه به أنه كان يقرأ تصريف الزنجاني على بعض الاعاجم وكان يقول له كلما صرفت صيغة فلك كذا من الدراهم وكان يفي له بما يجعل له .

قال نظر الله وجهه : ثم ارتحلت في تلك السنة مهاجراً في طلب العلم الى ميس ، وكان ابتداء الانتقال في شهر شوال من السنة المذكورة ، واشتغلت على شيخنا الجليل الشيخ علي بن عبد العالي قدس الله سره من تلك السنة الى اواخر سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكان من جملة ما قرأته عليه شرائع الاسلام والارشاد واكثر القواعد .

ثم ارتحلت فى شهر ذى الحجة الى كرك نوح عليه السلام وقرأت بها على
المرحوم المقدس السيد حسن بن السيد جعفر جملة من الفنون ، وكان مما قرأته
عليه قواعد ميثم البحرانى فى الكلام والتهذيب فى أصول الفقه والعمدة الجليلة
فى الاصول الفقهية من مصنفات السيد المذكور والكافية فى النحو ، وسمعت
جملة من الفقه وغيره من الفنون .

ثم انتقلت الى جبع وطنى الاول زمن الوالد فى شهر جمادى الاخر سنة
اربع وثلاثين ، وأقيمت بهامشغلا بمطالعة العلم والمداكرة الى سنة ٩٣٧ .

ثم ارتحلت الى دمشق واشتغلت بها على الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف
شمس الدين محمد بن مكى ، فقرأت عليه من كتب الطب شرح الموجز النفيسى
وغاية القصد فى معرفة القصد من مصنفات الشيخ المبرور المذكور وفصول
الفرغانى فى الهيئة وبعض حكمة الاشراق للسهروردي ، وقرأت فى تلك المدة
بها على المرحوم الشيخ احمد بن جابر الشاطبية فى علم القراءات وقرأت عليه
القرآن بقراءة نافع وابن كثير وابى عمرو وعاصم .

ثم رجعت الى جبع سنة ٩٣٨ وبها توفى شيخنا الشيخ شمس الدين المذكور
وشيخنا المتقدم الاعلى الشيخ على فى شهر واحد وهو شهر جمادى الاولى ، وكانت
وفاة شيخنا السيد حسن سادس شهر رمضان سنة ٩٣٣ ، وأقيمت بالبلدة المذكورة
الى تمام سنة ٩٤١ .

ورحلت الى مصر فى أول سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكن من العلوم واجتمعت
فى تلك السفر بجماعة كثيرة من الافاضل ، فأول اجتماعى بالشيخ شمس الدين
ابن طولون الدمشقى الحنفى وقرأت عليه جملة من الصحيحين وأجازنى روايتهما
مع ما يجوز له روايته فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة .

قلت : وكانت قراءته عليه فى الصالحية بالمدرسة السليمية وكنت انا اذ

ذاك في خدمته أسمع الدرس واجازنى الشيخ المذكور الصحيحين المذكورين ،
ورآه بعض الاخوان الصالحين وهو الشيخ زين الدين الفقعانى تلك السنة فى
المنام فى قرية يقال لها البصة على ساحل البحر مع جماعة فدخل عليهم رجل
ذوهيئة ومعه جرة فيها ماء فألقم باب الجرة شيخنا الشيخ زين الدين وجعل يكرع
من الماء وهو قابضها معه ، فسأل الرائي عنه فقيل له هذا الشيخ على بن
عبد العالى الكركي وهذا الشيخ يروى عنه شيخنا بواسطة (١) توفي مسموماً ثانى
عشر ذى الحجة سنة ٩٤٥ وهو فى الغري على مشرفه السلام ، وكنت أريد
صحبته الى مصر فأرسلت اليه الوالدة أنه يمنعنى من السفر فمنعنى وما كان ذلك
الا لسوء حظى ، وكان القائم بامداده وتجهيزه بهذه السفارة الحاج المحترم
الخير الصالح شمس الدين محمد بن هلال رحمه الله ، عمل معه عملا قصد به
وجه الله وقام بكل ما يحتاج اليه مضافاً الى ما اسدى اليه من المعروف وأجرى عليه
من الخيرات فى مدة طلبه العلم قبل سفره .

هذا واصبح هذا الحاج محمد مقتولا فى بيته هو وزوجته وولدان له احدهما
رضيع فى السرير فى سنة ٩٥٢ ، وكان مع كونه من اهل الدنيا على غاية من
الصلاح ، وكان فى القافلة التى سافر معها رجل من اهل الشام يخاف من شره
وعناده وغدره ، وكان الحاج محمد المذكور يحذره منه حتى بالغ وقال : لو
كنت أنا اريد السفر وهذا الرجل فى القافلة لتركت السفر وسيجىء ما اتفق له مع
هذا الرجل فى الطريق وكفاية الله شره .

(١) اقول انه يروى عنه بغير واسطة لما اجتمع معه فى الجملة ، واجازته له عندى بخطه
فى اول شرح الجعفرية ، وكان الشيخ زين الدين قدس سره فى أوائل السن ، وتاريخ الاجازة
فى ثالث شهر رجب من سنة أربع وثلاثين وتسعمائة . ويظهر مما يأتى انه لم يكن فى هذه
السنة مسافراً ، ويمكن أن تكون الاجازة المشارك له فى الاسم وفيهما الشيخ زين الدين
العالمى « منه » .

ثم ودعناه وسافر من دمشق يوم الأحد نصف ربيع الأول سنة ٩٤٢ واتفق
فى الطريق الطاف الهية وكرامات جليلة حكى لنا بعضها :

منها ما أخبرنى به ليلة الأربعاء عاشر شهر ربيع الأول سنة ستين وتسعمائة
أنه فى الرملة مضى الى مسجدنا المعروف بالجامع الأبيض لزيارة الانبياء الذين
فى الغار وحده ، فوجد الباب مقفولا وليس فى المسجد أحد ، فوضع يده على
القفل وجذبه فانفتح فنزل الى الغار واشتغل بالصلاة والدعاء وحصل له اقبال على
الله بحيث ذهل عن انتقال القافلة وسيرها ، ثم جلس طويلا ودخل المدينة بعد
ذلك ومضى الى مكان القافلة فوجدها قد ارتحلت ولم يبق منها أحد ، فبقى متحيراً
فى أمره مفكراً فى اللحاق مع عجزه عن المشي وأخذوا أسبابه ومحافته ، فأخذ
يمشي على اثرها وحده ، فمشى حتى اعياه التعب فلم يلحقها ولم يرها من البعد
فبينما هو فى هذا الضيق اذ أقبل عليه رجل لاحق به وهو راكب بغلا ، فلما وصل
اليه قال له : اركب خلفى ، فردفه ومضى كالبرق ، فما كان الا قليل حتى لحق
به القافلة وأنزله وقال له اذهب الى رفقتك ، ودخل هو فى القافلة . قال :
فتحريته مدة الطريق انى أراه ثانياً فما رأيتُه اصلاً ولا قبل ذلك ، وهذه كرامة
ظاهرة وعناية باهره لا ينكرها الامن غطى هواه على عقله واعتقد أن الله لا يعتمى
بمن هو من أهله .

ومنها انه لما وصل الى غزة واجتمع بالشيخ محي الدين عبدالقادر بن ابى
الخير الغزى وجرت بينه وبينه احتجاجات ومباحثات واجازه اجازة عامة وصار
بينهما موادة زائدة وادخله الى خزانة كتبه فقلب الكتب وتفرج فى المخزانة ،
فلما أراد الخروج قال له : اختر لنفسك كتاباً من هذه الكتب . فوضع يده على كتاب
من غير تأمل ولا انتخاب ، فظهر كتاب لا يحضرنى اسمه من كتب الشيعة من مصنفات
المرحوم الشيخ جمال الدين بن المطهر . وهذه كرامة واضحة ومنقبة راجحة .

ومنها انه لما وصل الى قطية وكان معه شيء من الشريط بضاعة ، فجاء جماعة الحاكم يطلبون المكوس من القافلة وأخذوهم الى عند الحاكم وكان هو من الجملة فمر ، فرأى الرجل الشامي الذي كان الحاج محمد بن هلال المذكور يحذره منه جالساً عند باب الوالي ، فلما رآه مقبلاً قال للحاضرين : هذا هو الذي قلت لكم عنه . فقال له ما الذي قلت لهم عنى؟ قال : قلت لهم انك رائح الى مصر تطلب العلم وان الحاج محمد بن هلال أرسلك وامدك فحصل في نفسه بعض ريبة ، فلما دخلوا على الوالي وجعلو يحاسبون التجار على ما معهم حتى وصلت النوبة اليه ، فلما نظر اليه تفرس فيه الخبر وكتب بخطه رقعة فيها جمال فلان سماح ، فلما خرج من عنده مر على الرجل الشامي المذكور فقال له : لاشك ان معك لجمالاً تلجو به الناس ، فكأنه لما كان في قلبه عليه دغالة وغيرها الله تعالى وكفاه ذلك قال له ذلك ، والذي كان معه من البضاعة نصف حمل فجعل جمال بعض رفقته له وخرجها .

قال نفع الله ببركاته: وكان وصولي الى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الآخر من السنة المتقدمة ، واشتغلت بها على جماعة .

(منهم) الشيخ شهاب الدين احمد الرملی الشافعی، قرأت عليه منهاج النووي في الفقه واكثر مختصر الاصول لابن الحاجب وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه منها السعدية والشريفية ، وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما ، فمنها شرح التلخيص المختصر في المعاني والبيان لملا سعد الدين ومنها شرح تصريف العربي ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات امام الحرمين الجويني في اصول الفقه ومنها اذكار النووي وبعض شرح جمع الجوامع المحلى في اصول الفقه وتوضيح ابن هشام في النحو وغير ذلك مما يطول ذكره، وأجازني اجازة عامه بما يجوز له روايته سنة ٩٤٣ .

(ومنهم) الملا حسين الجرجاني، قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملا
على القوشجي مع حاشية ملاجلال الدين الدواني وشرح اشكال التأسيس في
الهندسة لقاضي زاده الرومي وشرح الجغميني في الهيئة له .

(ومنهم) الملا محمد الاسترابادي، قرأنا عليه جملة من المطول مع حاشية
السيد الشريف والجامي شرح الكافية .

(ومنهم) الملا محمد الكيلاني ، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق .
(ومنهم) الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ، قرأت عليه جميع شرح
الشافية للجمار بردي وجميع شرح الخ. زرجية في العروض والقوا في للشيخ
زكريا الانصاري وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون والحديث منها الصحيحان ،
واجارني جميع ما قرأت وسمعت ومايجوز له روايته في السنة المذكورة .

(ومنهم) الشيخ ابوالحسن البكري ، سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه
والتفسير وبعض شرحه على المنهاج .

قلت كثيراً ما كان قدس الله سره يطري علينا احوال عذر الشيخ ويشي
عليه ، وذكر أنه كان له حافظة عجيبة كان التفسير والحديث نصب عينيه ،
وكان اكثر المشائخ المذكورين أبهة ومهابة عند العوام والدولة ، وكان على
غاية من حسن الطالع والحظ الوافر من الدنيا واقبال القلوب عليه ، وكان من
شدة ميل الناس اليه اذا حضر مجلس العلم أو دخل المسجد يزدحم الناس على
تقبيل كفيه وقدميه حتى منهم من يمشي حبواً حتى يصل الى قدميه يقبلهما .

صحبته شيخنا نفع الله به من مصر الى الحج وذكر أنه خرج في مهيع
عظيم من مصر راكباً في محفة مستصحباً ثقلاً كثيراً بعزم المجاورة بأهله وعياله ،
وكان شأنه انه اذا حج يجاور سنة ويقوم بمصر سنة ويحج ، وكان معه من الكتب
عدة أحمال ، ذكر شيخنا عددها ولكن ليس في حفظي الان ، حتى انه ظهر

له منه التعجب من كثرتها ، فروى له أن الصاحب بن عباد رحمه الله كان اذا سافر يصحب معه سبعين حملاً من الكتب بحيث صار ما صحبه قليلاً في جنب ذلك .

وذكر أنه حكى له في أول منزل برز اليه الحاج خارج مصر أنه اخرج حتى صار في ذلك المنزل ألف دينار من المال ، وكان محبباً لشيخنا مقبلاً عليه متلطفاً به ، ولما رآه اول مرة راكباً في المحارة وهو كان في السحفة سلم عليه وتواضع معه وقال له : يا شيخ أنا اول حجة حججتها ركبت في موهية عبارة عن وعاء من الخوص ، وانت الحمد لله من أول حجة ركبت في المحارة ، وكان شيخنا يتحرى ان لا يراه وقت الاحرام ، فاتفق انه صادفه حال السير محرماً فقال له بصوت عال : ما أحسن هذا ما احسن هذا تقبل الله منك ، وكانت له معه محاورات ولطائف في تضاعيف المباحثات .

سأله يوماً في الطريق : ما تقولون في أمر هؤلاء العوام والرعاع الذين لا يعرفون شيئاً من الدلالات المنجية من الهلكات ، ما حكمهم عند الله سبحانه وهل يرضى منهم مع هذا التقصير ، بل تنقل الكلام الى العلماء الاعلام والفضلاء الكرام الذين جمد كل فريق منهم على مذهب من المذاهب الاربعة ولم يدبر ما قيل فيما عد المذهب الذي اختاره مع قدرته على الاطلاع والتفحص وادراك المطالب ووقع بالتقليد للسلف وجزم بأنهم كفوه مؤونة ذلك ومن المعلوم ان الحق في جهة واحدة ، فان قالت احدى الفرق الحق في جانبنا اعتماداً على فلان وفلان فكذلك الاخرى تقول اعتماداً على محققهم واعيان مشائخهم ، لان ما من فرقة الاولها فضلاً ترجع اليهم وتعول عليهم ، فالشافعية مثلاً يقولون نحن الامام الشافعي وفلان وفلان كفونا ذلك ، وكذلك الحنفية يستندون الى الامام ابي حنيفة وغيره من محققى المذهب ، وكذلك المالكية والحنابلة يستندون الى فضلائهم ومحققهم

وكذلك الشيعة يقولون نحن السيد المرتضى والشيخ الطوسي والخواجانصير الدين والشيخ جمال الدين وغيرهم بذلوا الجهد وكفونا مؤونة التفحص ونحن على بصيرة وثقة من أمرنا ، فكيف يكتفى مثل هؤلاء الفضلاء بالافتصار على احد هذه المذاهب ولم يطلع على حقيقة المذاهب الاخر بل ولا وقف على مصنفات أعله ولا عرف اسماءهم ، فكون الحق مع الجميع لايمكن ومع البعض ترجيح من غير مرجح .

فاجاب الشيخ ابو الحسن : اما ما كان من العوام فمرجو من عفو الله انه لا يؤاخذهم بتقصيرهم ، وأما العلماء فيكفيهم كون كل منهم محققاً في الظاهر .
فقال شيخنا: كيف يكفيهم معما ذكر من تقصيرهم في النظر وتحقيق الحال؟
فقال له : يا شيخ جوابك سهل ، مثال ذلك من ولد مختوناً خلقة فانه يكفيه عن الختان الواجب شرعاً .

فقال له شيخنا : هذا المختون خلقة لايسقط عنه الوجوب حتى يعلم أن هذا هو الختان الشرعي ، بأن يسأل ويتفحص من اهل الخبرة والممارسين لذلك وان هذا القدر الموجود خلقة هل هو كاف في الواجب شرعاً ام لا ، اما انه من نفسه يقتصر على ما وجدته فهذا لاكفيه شرعاً في السقوط .

فقال له : يا شيخ ليست هذه أول قارورة كسرت في الاسلام .
توفى سنة ٩٥٣ بمصر ودفن بالقرافة ، وكان يوم موته يوماً عظيماً بمصر لكثرة الجمع ودفن بجانب قبة الامام الشافعي وبنوا عليه قبة عظيمة .
قال روح الله روحه الزكية : ومنهم الشيخ زين الدين الحري المالكي ، قرأت عليه الفية ابن مالك .

(ومنهم) الشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي محقق الوقت وفاضل تلك البلدة ، لم أربالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية، سمعت

عليه البيضاوى فى التفسير وغيره من الفنون .

(ومنهم) الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعى ، قرأت عليه القرآن بقراءة
ابى عمرو ورسالة فى القراءات من تأليفاته .

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد ابى النجما النحاس ، قرأت عليه الشاطبية
فى القراءات والقرآن العزيز للائمة السبعة ، وشرعت ثانياً اقرأ عليه للعشرة ولم
اكمل الختم بها .

قلت : كثيراً ما كان ينعت هذا الشيخ بالصلاح وحسن الاخلاق والتواضع
وكان فضلاء مصر والاكابر يترددون اليه القراءة فى فنون القرآن العزيز لبروزه
فيها ، وكان هذا الفن نصب عينه حتى أن الناس كانوا يقرأون عليه وهو مشغول
بالصنعة لايرمى المطرقة من يده الا اذا جا- أحد من الفضلاء الكبار فيفرش له
شيئاً ويجلس هو على الحصير .
قال : اعاد الله علينا من بر كاته .

(ومنهم) الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهودى ، قرأت عليه جملة
صالحة من الفنون وأجازنى اجازة عامة .

قلت : وهذا الشيخ ايضاً كان شيخنا قدس سره كثير الثناء عليه بالجمع بين
فضيلتى العلم والكرم ، وانه كان فى رمضان لايدعهم يفطرون الا عنده ، حتى أنهم
غابوا عنه ليلة فلما جاؤا بعدها تلتطف بهم كثيراً .

وقال : كل من فى البيت استوحش لكرم البارحة حتى لطيفة اسم بنت
صغيرة كانت له ، وكان له جارية اذا جاء أحد بطلبهم للضيافة يقول اعلمى سيدك
بالخبز أن فلاناً يطلب الجماعة ليكونوا عنده الليلة ، تقول هذا الخبز لا أعلمه به
ولا اقول له عن ذلك .

قال قدس سره (ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرصى الشافعى

قرأت عليه كتباً كثيرة في الحساب الهموائى والمرشدة فى حساب الهند الغبارى
والياسمينية وشرحها فى علم الجبر والمقابلة وشرح المقنع فى علم الجبر والمقابلة
وسمعت عليه بعض شرح الوسيلة واجازنى اجازة عامة .

وسمعت بالبلد المذكور من جملة متكثرة من المشائخ يطول الخطب
بتفصيلهم، ومنهم الشيخ عميرة الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق والشيخ شهاب
الدين البلقينى والشيخ شمس الدين الديروطى وغيرهم .

قلت ، وكل هؤلاء المشائخ لم يبق منهم أحد وقت انشاء هذا التاريخ ،
فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون .

ثم ارتحلت من مصر الى الحجاز الشريف سابع عشر شهر شوال سنة ٩٤٣ ،
ورجعت الى وطنى الاول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة والتمتع بزيارة
النبي وآله واصحابه صلوات الله عليهم .

وكان قدس سره قد رأى النبي صلى الله عليه وآله فى منامه بمصر ووعده
بالخير ولا أحفظ صورة المنام الآن، فلما وقف على القبر المقدس وزاره خاطبه
وأنشده وقال :

ومن فضله ينبوعى الحد والحصر
وعوضه الله البراق عن المهر
شفاهاً ولم يحصل لعبد ولاحر
يكل لسانى عنه فى النظم والنثر
مدائحہ الغراء فى محكم الذكر
بعبء ذنوب جملة أثقلت ظهري
وروح الجامع ضعف نفسى ومع فقرى
اعادته بالخير والجبر والوفر

صلاة وتسليم على اشرف الورى
ومن قدرقى السبع الطباق بنعله
وخاطبه الله العلى بحجبه
عدولسى عن تعداد فضلك لايق
وماذا يقول الناس فى مدح من اتت
سعبت اليه عاجلا سعى عاجز
ولكن ربح الشوق حرك همتى
ومن عادة العرب الكرام يوفدهم

وان يك وقد قد وفوا لنزيلهم فكيف وقد اودعتني الخير في مصر
 فحقق رجائي سيدي في زيارتي بنيل منائسي والشفاعة في حشري
 قال طاب مثواه : ووصلت رابع عشر شهر صفر سنة ٩٤٤ . قلت : وكان
 قدومه الى البلاد كرحمة نازلة وغيوث هائلة أحببى بعلومه نفوساً امانها الجهل
 وازدحم عليه أو لوا العلم والفضل ، كان ابواب العلم كانت مقفلة ففتحت وسوقه
 كانت كاسدة فربحت ، وأشرفت انواره على ظلمة الجهالة فاستنارت وابتهجت
 قلوب اهل المعارف واضاعت ، اشهر ما اجتهد في تحصيله منه واشاع وظهر من
 فوائده ما لم يطرق الاسماع ، رتب الطلاب ترتيب الرجال وأوضح السبيل لمن
 طلب الكمال . وفي هذه السنة توشح ببرود الاجتهاد وافاض مولاة عليه من
 السعادة ما اراد الا انه بالغ في كتمان امره ، وسيأتي تفصيل ذلك في باب
 انشاء الله .

قال روح الله وروحه الزكية : وأقمت بها الى سنة ست واربعين . قلت : وفي
 خلال هذه المدة عمر داره التي انشأها بجمع وقلت ابدحها .

فيالك بقعة قد نلت خيرا	وشرفك الاله بمن وطيك
لقد أصبحت تفتخرين بشرا	بزين الدين اذ قد حل فيك
فكيف ولافتخار وصرت ظرفاً	ونبع العلم مسكوت بفيك
تمنى الواردون بأن يكونوا	مكانك في سمار مسامريك
ليقتضوا غرايب كل فن	من الاقطار قد جمعن فيك
فلا زال السرور بكمل يوم	يخاطب بالتحية ساكنيك

وكان يحصل له هذه الابيات غاية الابتهاج، وشرع ايضاً في عمارة المسجد
 المجاور للدار المذكورة وانتهى في سنة ٩٤٥ .

قال نفعنا الله بعلومه : وسافرت الى العراق لزيارة الائمة عليهم السلام

وكان خروجي سابع عشرى شهر ربيع الآخر سنة ٩٤٦ هـ ورجوعي خامس عشر شهر شعبان منها .

قلت : وكنت فى خدمته مع جماعة من الاصحاب وأهل البلاد تلك المرة وكانت من أبرك السفرات بوجوده ، واتفق انه رافقنا من حلب رجل اخو بعض سلاطين الازيك كان قد جاء من الحج ومعه جماعة من جملتهم رجل شيعى أعجمى ومنهم آخر من بلاده فى غاية البغض للشيعه والبعد عنهم ، وكان شيخاً كبيراً طاعماً فى السن واخر لا يصلى به اماماً ، وكان يظهر من الشيخ الكبير بعد زائد عن الشيخ ورفقته ، فلم يزل ذلك العجمى يقرب خاطره حتى ألف بينه وبين الشيخ وما بقى يصلى الا معه ، واذا نزلت القافلة حال نزوله عن الفرس يجىء الى عنده ، وألقى الله سبحانه حبه فى قلبه وترك الصلاة مع صاحبه الملا وجعله قائداً لكلاب كانت معه ، فحصل فى نفسه نفس ذلك الشيخ على شيخنا من الغل والحمد ما حصل وعزما على السعاية عليه فى بغداد ، وكان شيخنا فى فكر لذلك حتى انه عزم على الرجوع ان لم يمكنه الزيارة حضييه علما وصلنا الى الموصل ضعف ذلك الشيخ جداً وعجز عن السفر مع القافلة وانقطع هناك وكفاه الله شره ، وزار الشيخ قدس سره الائمة عليهم السلام مستعجلاً ورجع واجتمع عليه فضلاء العراق ، وكان منهم السيد شرف الدين السماك العجمى احد تلامذة المرحوم الشيخ على بن عبد العالى ، وأخذ عليه العهد عند قبة الامام امير المؤمنين عليه السلام الا ما اخبره ان كان مجتهداً واقسم له انه لا يريد بذلك الاوجه الله سبحانه، ثم بعد رجوعه الى البلاد جاء منه سؤالات ومباحث وايرادات ، فأجابه عنها بما تقتضيه الحال وحقق فيها المقال .

قال أعلى الله شأنه فى الجنة : وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصفاً ذى الحجة سنة ٩٤٨ هـ ، واجتمعت فى تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن ابى اللطف

المقدسى وقرأت عليه بعض صحيح البخارى وبعض صحيح مسلم واجازنى اجازة عامة ، ثم رجعت الى الوطن الاول المتقدم وأقمت به الى أواخر سنة احدى وخمسين مشتغلا بمطالعة العلم ومذاكرته مستفراً وسعى فى ذلك ، ثم برزت الى الاوامر الالهية والاشارات الربانية بالسفر الى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من اهل الفضائل والعلوم والمتعلق بسطان الوقت والزمان السلطان سليمان ابن عثمان ، وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع وساق الفهم لكن ما قدر لانتصل اليه الفكرة الكليية والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق واحوال العواقب، والكيس الماهر والمستسلم فى قبضة العالم الخبير القاهر الممثل لاوامره الشريفة المنقاد الى طاعته المنيفة ، كيف لا وانما يأمر بمصلحة تعود على المأمور مع اطلاعه على دقائق عواقب الامور وهو الجواد المطلق والرحيم المحقق ، والحمد لله على انعامه واحسانه وامتنانه ، والحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يهمل من غفل عنه ولا يؤاخذ من صدق عن طاعته بل يقوده الى مصلحته ويوصله الى بغية . 4 .

وكان الخروج الى السفر المذكور بعد بواذر الاوامر به والنواهي عن تركه والتخلف عنه وتأخيره الى وقت آخر ثانى عشر شهر ذى الحجة الحرام سنة ٩٥١ ، واقمت بمدينة دمشق بقية الشهر ثم ارتحلت الى حلب ووصلت اليها يوم الاحد سادس عشر شهر المحرم سنة ٩٥٢ ، وأقمت بها الى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة .

ومن غريب من اتفق لنا بحلب انا أزمعنا عند الدخول اليها على تخفيف الإقامة بها بكل ما أمكن ولم ننو الإقامة ، فخرجت قافلة الى الروم على الطريق المعهود المار بمدينة أذنة ، فاستخرنا الله على مرافقتها فلم يخزلنا ، فكان قدتهياً بعض طلبية العلم من اهل الروم الى السفر على طريق ملوقات وهو طريق غير

مسلوك غالباً لقا صدق سطنطنية، وذكروا أنه قد تهيأ قافلة للسفر على الطريق المذكور فاستخرونا الله تعالى على السفر معهم فأخاربه فتأخر سفوهم وساءنا ذلك، فتأملت بكتاب الله تعالى على الصبر وانتظارهم فظهر قوله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم »^(١) فاطمأنت النفس لذلك وخرجت قافلة أخرى من طريق اذنة و اشار الاصحاب برفقتهم لما يظهر من مناسبتهم ، فاستخرت الله تعالى على صحبتهم فلم يظهر خيره وتأملت بكتاب الله تعالى على انتظار الرفقة الاولى وان تأخروا كثيراً فظهر قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره » الى قوله تعالى « فقد باء بغضب من الله »^(٢) ثم خرجت قافلة اخرى على طريق اذنة فاستخرت الله تعالى على الخروج معها فلم يظهر خيرة ، فضقت لذلك ذرعاً وسمت الاقامة وتأملت بكتاب الله تعالى فى ذلك فظهر قوله تعالى « واتبع ما يوحى من ربك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين »^(٣) ثم خرجت قافله رابعة على الطريق المذكور فاستخرت الله تعالى على رفقتها فلم يظهر خيرة ، وكانت القافلة التى أمرنا بالسفر معها تسوفنا بالسفر يوماً وتكذب كثيراً فى اخبارنا ، ففتحت المصحف صبيحة يوم السبت وتأملت به فظهر قوله تعالى « وتلقاهم الملائكة هـذا يومكم الذى كنتم توعدون »^(٤) فتعجبنا من ذلك غاية العجب وقلنا ان كانت القافلة تسافر فى هذا اليوم فهو من أعجب الامور وأغربها وأتم البشائر بالخير والتوفيق ، فأرسلنا بعض أصحابنا يستعلم الخبر فقالوا له اذهب الى اصحابك وحملوا ففى هذا اليوم يخرج ،

(١) سورة الكهف : ٢٨ .

(٢) سورة البقرة : ٦١ .

(٣) سورة يونس : ١٠٩ .

(٤) سورة الانبياء : ١٠٣ .

فحمدنا الله تعالى على هذه النعم العظيمة والمنن الجسيمة التي لا نقدر على شكرها .

ثم بعد ذلك ظهر لاقامتنا بحلب تلك المدة فوائد واسرار لا يمكن حصرها ، وظهر لسفرنا على الطريق المذكور ايضاً فوائد وأسرار وخيرات لا تحصى ، واقلها انه بعد ذلك بلغنا ممن سافر على تلك الطريق التي نهينا عنها أن عليق الدواب وزاد الناس كان في غايصة القلة والصعوبة والغلاء العظيم ، حتى أنهم كانوا يشترون العليقة الواحدة بعشرة دراهم عثمانية ، واحتاجوا مع ذلك الى حمل الزاد أربعة ايام لعدم وجوده في الطريق للدواب ولا للانسان ، فلو سافر في تلك الطريق لاتجه علينا ضرر عظيم لا يوصف ، بل لا يفى جميع ما كان بيدنا من المال بالمصرف في الطريق خاصة لكثرة مامعنا من الدواب والاتباع ، وكانت العليقة في طريقنا اكثر الاوقات بدرهم واحد عثمانى وقل الى ان وصلنا ، ولم نفتقر الى حمل شيء بل جميع طريقنا تمر على البلاد العامرة والخيرات الوفيرة فالحمد لله على نعمه الغامرة .

وكان وصولنا الى مدينة طوقات صبيحة يوم الجمعة ثاني عشر شهر صفر ونزلنا بعمارة السلطان بايزيد ، وهي مدينة كثيرة الخيرات عامرة آهلة بحلب اليها ومنها اكثر الامتعة والارزاق كثيرة المياه والجبال محيطة بها من كل جانب ويليهما الى الشمال واد طويل متسع فيه نهر كبير جداً يشتمل هذا الوادي على ما قيل على نحو أربع مائة قرية شاهدنا كثيراً منها ومررنا فيه يومين بعد خروجنا من طوقات ، وهذه القرى المذكورة كلها عامرة جداً كثيرة الخير والفواكه متصلة بعضها ببعض لا يفصل بينها شيء ، وربما يعد الانسان منها في نظر واحد ما يزيد عن عشر قرى الى عشرين قرية ، وكان خروجنا من طوقات يوم الاحد عند الظهر ووصلنا يوم الاربعاء الى مدينة امامية ، وبها ايضاً عمارة السلطان بايزيد

عظيمة البناء محكمة غاية الاحكام فى بقعة متسعة جداً حسنة تشتمل على مطابخ عظيمة وصدقات وافرة لكل وارد، وفيها مدرسة عظيمة حسنة وحاكم المدينة مع باقي تلك الجهات يؤمئذ السلطان مصطفى ابن السلطان سليمان ، وهذا السلطان مصطفى قتله ابوه خوفاً على الملك فى سنة ستين وتسعمائة ، وهي السنة التى خرج فيها الى حرب الفرس وكان قتله وفيها كان موت ولده امر الزمان بحلب وقيل ان اباه قتله ايضاً .

واقمنا بهذه المدينة ستة عشر يوماً ثم توجهنا منها نحو قسطنطينية . ومن غريب ما رأينا فى الطريق بعد مفارقتنا اماسية بأيام انا مررنا بوادى عظيم لم تر احسن منه وليس عمارة طوله مسيرة يوم تقريباً ، وفيه من سائر الفواكه والثمار بغير ما لك بل هو نبات من الله سبحانه كغيره من الاشجار البرية ، وكذا فيه معظم أنواع المشمومات العطرة والازهار الارجة، فمما رأينا فيه الجوز والمان والفندق والعتاب والعتب والتفاح وانواع من الخوخ وأنواع من الكمثرى والزعرور والقراصيا حتى ان بعض اشجار القراصيا بقدر شجر الجوز الكبير بغير حرث ولا سقي، وفيه البر باريس بكثرة . ورأينا من المشمومات الورد الابيض والاحمر والاصفر والياسمين الاصفر والبلسان والزيرقون والبان ، وكان ذلك الوقت أو انزهرها وفيه من الاشجار الجيدة العظيمة شجر الصنوبر والدلب والصفصاف والسنديان والملول شجر البلوط، وهذه الاشجار كلها مختلطة بعضها ببعض ورأينا فيها أنواعاً كثيرة من الفواكه قد انعدقها ولا نعرف اسماءها ولأرأيناها قبل ذلك اليوم ابداً .

ثم سرنا منه اياماً كثيرة ، ثم وصلنا الى أرض اكثر شجرها الفواكه سيما الخوخ والتفاح واكثر ما اشتمل عليه ذلك الوادى يوجد فيها وسرنا فى هذه الارض خمسة أيام وهي من اعجب ما رأينا من أرض الله تعالى وأحسنها واكثرها فاكهة مجتمعة بعضها ببعض كأنها حدائق مقصودة بالغرس لا يدخل بينها اجنبى

وفيهما أشجار عظيمة طولاً وعرضاً وربما بلغ طولها مائتي شبراً فصاعداً ودور بعضها يبلغ ثلاثين شبراً فصاعداً ، ومررنا في جملة هذا السير على مدن حسنة وقرى جيدة .

وكان وصولنا الى مدينة قسطنطينية يوم الاثنين سابع عشر من شهر ربيع الاول من السنة السابعة وهي سنة ٩٥٢ ، ووفق الله تعالى لنا منزلاً حسناً وقفاً من أحسن مساكن البلد قريباً الى جميع اغراضنا ، وبقيت بعد وصولي ثمانية عشر يوماً لا أجمع بأحد من الاعيان ، ثم اقتضى الحال ان كتبت في هذه الايام رسالة جيدة تشتمل على عشرة مباحث جليلة كل بحث في فن من الفنون العقلية والفقهية والتفسير وغيرها ، وأوصلتها الى قاضي العسكري وهو محمد بن قطب الدين ابن محمد بن محمد بن قاضي زاده الرومي ، وهو رجل فاضل أديب عاقل لبيب من أحسن الناس خلقاً وتهذيباً وأدباً ، فوعدت منه موقعاً حسناً وحصل لي بسبب ذلك منه حظ عظيم ، واكثر من تعريفي والثناء علي فاضل ، واتفق في خلال المدة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من الحقائق .

قلت : ومن قواعد الاروام المقررة في قانونهم بحيث لا يمكن خلافه عندهم ان كل طالب مهم منهم لا بد له من عرض قاضي جهته بتعريفه وانه اهل لمطالب الا شيخنا قدس سره فانه استخار الله سبحانه أن يأخذ عرضاً من قاضي صيدا وكان اذ ذاك القاضي معروف الشامي فلم يظهر خيره وكانت بينه وبينه صحبة ومداخلة ، فبقى متحيراً في أنه يسافر ولا يعلمه ولا يطلب منه عرضاً ، فاقضى الرأي ان ارسلنى اليه لاسوق معه سياقاً يفهم منه الاعلام بالسفر ولا أطلب منه عرضاً ، فمضيت الى عنده وأعلمته بذلك ، فقال نكتب له عرضاً . فقلت : هو ما قال لي من جهة العرض . فقال : رواحه بلاعرض لايمكن لانه لايقضى له مهم الا به البتة لان من عادة هؤلاء الاروام وقانونهم انه لو مضى اليهم مذهبهم ابو

حنيفة وطلب منهم غرضاً من الاغراض يقولون له أين عرض القاضي فيقول لهم
أنا أمامكم ولا احتاج الى عرض القاضي فيقولون له لا بد من ذلك نحن لانعرف
الا القانون .

وحكى لنا قدس سره انه اجتمع ببعض الفضلاء في قسطنطينية فسأله هل معك
عرض القاضي ، فقال لا . فقال : اذا أمرك مشكل يحتاج الى تطويل زائد ،
فأخرج له الرسالة المذكورة التي ألفها وقال : هذا عرضي . فقال : ما تحتاج
معه شيئاً .

قال طاب ثراه : ففي اليوم الثاني عشر من اجتماعي به أرسل الي الدفتر
المشتمل على الوظائف والمدارس وبذل لي ما أختاره وأكد في كون ذلك في
الشام أو حلب ، فاقترض الحال أن اخترت منه المدرسة النورية ببعليكم لمصالح
وجدتها وظهور أمر الله تعالى بها على الخصوص ، فأعرض لي بها الى السلطان
سليمان وكتب لي بها براءة وجعل لي لكل شهر ما شرطه واقفها السلطان
نور الدين الشهيد ، واتفق من فضل الله سبحانه ومنه لي في مدة اقامتي بالبلدة
المذكورة من الاطاف الالهية والاسرار السربانية والحكم الخفية ما يقصر عنه
البيان ويعجز عن تحريره البنان ويكل عن تقريره اللسان فله الحمد والمنة
والفضل والنعمة على هذا الشأن ونسأله ان يتم علينا منه الاحسان انه الكريم
الوهاب المنان .

ومن غريب ما اتفق لي من نعم الله تعالى وفضله وكرمه وجوده زمان اقامتي
بمدينة قسطنطينية أن خرجت يوماً من الاصحاب وكان ذلك اليوم في شهر جمادى
الاولى لزيارة مشهد شريف هناك يسمونه أبا ايوب الانصارى الصحابي قدبني
عليه سلطان محمد مشهداً خارج البلد، فلما كنت في المشهد تخلوت وقرأت جزءاً من
القرآن وأخذت المصحف وتآملت به ان يكشف لي عن حال حمل كنت قد فارقت به بالزوجة
قبل سفري وميعاد ولادته أوائل شهر جمادى المذكور، فظهر لي في أول القاتحة «وبشرناه

بغلام حلیم»^(١) فسجدت لله شكراً ورجوت من الله تعالى أن يحقق لى ذلك وان يكون قد رزقنى ولداً ذكراً مباركاً ميموناً حميد العاقبة ، فكتبت صورة الفال والتاريخ فى تلك الساعة فى رقعة ، واستمر الحال الى ان خرجت من المدينة المذكورة الى مدينة اسكدار وهى قريبة منها بينها وبينها قطعة يسيرة من البحر سيرها نحو ميل ، فجاءنى وانا مقيم بها فى يوم ثلاث تساع عشرى شهر رجب من السنة المذكورة كتب من أصحابنا بالبلاد فى بعضها بشارة بولد ذكر ولد فى المدة المذكورة .

قلت : البشارة كانت فى بيتين انشأتهما فى رسالة كتبتهما اليه فى تاريخ ولادة المولود المذكور وستأتى الرسالة وهما .

وقد من مولانا الكريم بفضله عليكم بمولود غلام من البشر

فيا رب متعنا بطول بقائه واحيى به قلياله الوصل قدهمجر

وكان هذا المولود من زوجته الكبرى ابنة الشيخ على الميسى وبنت خالته واسمه محمد مات صغيراً فى غيبة والده المقدس .

قال طاب مثواه: فالحمد لله الذى حقق رجائنا ونسأل من فضله الكريم وجوده العميم ونتمسك اليه بأشرف خلقه عليه محمد وآله ان يجعله ولداً صالحاً وعقباً ناجحاً راجحاً ويرينى فيه ماتقربه عينى ويجعله لى وارثاً وذويه صالحه ويرزقه خيرى الدنيا والاخرة ، ويجمع له بين العمر السعيد والعيش الرغيد والعلم النافع والعمل بطاعته فانه على كل شىء قدير وباغائة دعاء عباده جدير .
وكانت مدة اقامتى بمدينة قسطنطينية ثلاثة اشهر ونصفاً .

قلت لم يذكر اجتماعه فيها بالسيد عبد الرحيم العباسى ، فقد كان قدس سره كثيراً ما يطري ذكره علينا وانه من أهل الفضل التام وله مصنفات منها شرح

(١) سورة الصافات : ١٠١ .

شواهد التلخيص سلك فيه مسلكاً واسعاً سماه كتاب معاهد التنصيص في شرح أبيات التلخيص ، نقل شيخنا منه جملة بخطه وذكر انه اذا تعلق بشرح بيت من الابيات أتى على غالب احوال منشده راشعاره وما يتعلق به واطنّب ، ولهذا السيد اشعار في غاية الجودة موجودة منها شيء بخط شيخنا في بعض المجاميع .

قال روح الله روجه: وخرجت منها يوم السبت حادى عشر شهر رجب فى السنة المذكورة وعبرت البحر الى مدينة اسكدار ، وهى مدينة حسنة جيدة صحيحة الهواء عذبة الماء محكمة البناء ، يتصل بكل دار منها بستان حسن يشتمل على الفواكه الجيدة العطرة على شاطئ البحر مقابلة لمدينة قسطنطينية بينهما البحر خاصة. وأقامت بها انتظرو وصول صاحبنا الشيخ حسين بن عبد الصمد لانه احتاج الى التأخر عن تلك الليلة .

ومن غريب ما اتفق لى بها حين نزلت بها انى اجتمعت برجل هندي له فضل ومعرفة بفقون كثيرة منها الرمل والنجوم ، فجرى بينى وبينه كلام فقلت له: ان قاضى العسكر أشار علي بأن اسافر يوم الاثنين وخالفته وجئت في هذا اليوم وهو يوم السبت حذاراً من نحس يوم الاثنين بسبب كونه ثالث عشر الشهر ، وكان قد ذكر لى قاضى العسكر المذكور أن يوم الاثنين يوم جيد للسفر لا يكاد يتفق مثله بالنسبة الى أحكام النجوم وان سعهه يغلب نحسه بسبب كونه ثالث عشر . فقال لى ذلك الرجل الهندي على البديهة : صدق القاضى فيما قال ، وأما يوم السبت الذى خرجت فيه فانه يوم صالح لكن يقتضى انك تقيم فى هذه البلدة اياماً كثيرة ، واتفق الامر كما قال فان الشيخ حسين بعد مفارقتى بحث عن أمر المدرسة التى كان قد اعطاه اياها القاضى ببغداد ، فوجد أوقافها قليلة فاحتاج الى ابدالها بغيرها ، فتوقف لاجل ذلك احدى وعشرين يوماً ، وظهر صدق

ذلك الفاضل الهندي فيما اخبر به على البديهة .

ثم اتفق لي أن رقت له شكلاً رملياً وطلبت البحث عنه ، ففكر فيه ساعة ثم أظهر لي منه اموراً عجيبة كلها رأيتها موافقة للواقع بحسب حالي ، وكان مما اخرجني من بيت العاقبة انها في غاية الجودة والخير والتوفيق ، فالحمد لله على ذلك ، ومن بيت السفران هذه سفرة صالحة حميدة جداً والعود فيها سعيد صالح ، لكن فيه طول خارج عن المعتاد بالنسبة الى العود الى الوطن ، وكان الامر في الباطن على ما ذكر لاني كنت قد عزمت على التوجه الى العراق لتقبيل العتبات الشريفة في طريق العود ثم ارجع منها الى الوطن ، وذلك بعد تأكد الامر الالهي لنا بذلك ونهينا عن تركه .

وكان خروجنا من اسكدار متوجهين الى العراق يوم السبت لليلتين خلتنا من شهر شعبان ، واتفق ان طريقنا اليها هي الطريق التي سلكناها من سيواس الى اصطنبول ، ووصلنا الى مدينة سيواس يوم الاثنين لخمسة بقين من شعبان وخرجنا منها يوم الاحد ثاني شهر رمضان متوجهين الى العراق ، وهو أول ما فارقتنا من الطريق الاولى وخرجنا في حال نزول الثلج وبتنا ليلة الاثنين أيضاً على الثلج وكانت ليلة عظيمة البرد .

ومن غريب ما اتفق لي تلك الليلة ان نمت يسيراً فرأيت في تلك الليلة كأنني في حضرة شيخنا العجيب محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله ، وهو شيخ بهي جميل الوجه عليه أبهة العلم ونحو نصف لفته بياض ، ومعى جماعة من أصحابي منهم رفيقي وصديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد ، فطلبنا من الشيخ ابي جعفر الكليني المذكور نسخة الاصل لكتابه الكافي لنسخه ، فدخل البيت واخرج لنا الجزء الاول منه في قالب نصف الورق الشامي ففتحته فاذا هو بخط حسن معرب مصحح ورموزه مكتوبة بالذهب ، فجعلنا نتعجب من كون نسخة الاصل بهذه

الصفة ، فسررنا بذلك كثيراً لما كنا قبل ذلك قد ابتلينا به من رداءة النسخ . فطلبت منه بقية الاجزاء فجعل يتألم من تقصير الناس في نسخها ورداءة نسخهم وقال انى لأعلم اين بقية الاجزاء ، وكان ذلك صدر منه على وجه التألم لتقصير الناس فى نسخ الكتاب وتصحيحه وقال : اشتغلوا بهذا الجزء الى ان أجد لكم غيره . ثم دخل الى بيته لتحصيل باقى الاجزاء ثم خرج الينا وبيده جزء بخط غيره على قالب الورق الشامي الكامل وهو ضخيم غير جيد الخط، فدفعه الي وجعل يشتكى الينا من كتابة كتابه بهذه الصورة ويتألم من ذلك ، وكان فى المجلس الاخ الصالح الشيخ زين الدين الفقعانى نفعنا الله ببركته فقال : أنا عندي جزء آخر من نسخة الاصل على الوصف المتقدم ودفعه الى فسررت كثيراً ، ثم فتش البيت واخرج جزءاً آخر الى تمام اربعة اجزاء أو اكثر بالوصف المتقدم فسررنا بها وخرجنا بالاجزاء الى الشيخ الجليل المصنف وهو جالس فى مكانه الاول، فلما جلسنا عنده أعدنا فيما بيننا وبينه ذكر نسخ الكتاب وتقصير الناس فيه ، فقلت : ياسيدنا بمدينة دمشق رجل من أصحابنا اسمه زين العابدين الغرايملى قد نسخ كتابك هذا نسخة فى غاية الجودة فى ورق جيد وجعل الكتاب فى مجلدين كل واحد بقدر كتاب الشرائع ، وهذه النسخة فخر على المخالف والمؤلف ، فتهلل وجه الشيخ رحمه الله سروراً وأظهر الفرح وفتح يديه ودعاه بدعاء خفى لم احفظ لفظه ، ثم انتهت .

وانتهيما بعد اربعة ايام من اليوم المذكور الى مدينة ملطية ، وهى مدينة لطيفة كثيرة الفواكه تقرب من أصل منبع الفرات ومررنا بعد ذلك بمدينة لطيفة تسمى أزغين ، وهى قريبة من منبع الدجلة .

وكان وصولنا الى المشهد المقدس المبرور المشرف بالمسكرين بمدينة سامراء يوم الاربعاء رابع شهر شوال ، وأقمنا به ليلة الخميس ويومه وليلة الجمعة .

ثم توجهنا الى بغداد ووصلنا الى المشهد المقدس الكاظمي يوم الاحد ثامن الشهر وأقمنا به الى يوم الجمعة وتوجهنا ذلك اليوم لزيارة ولي الله تعالى سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما .

ورحلنا منه الى مشهد الحسين عليه السلام ووصلنا يوم الاحد منتصف الشهر المذكور ، وأقمنا به الى يوم الجمعة .

وتوجهنا منه الى الحلة وأقمنا بها الى يوم الجمعة ، وتوجهنا منها الى زيارة القاسم ثم الى الكوفة ومنها الى المشهد المقدس الغروي، ووصلنا اليه يوم الاربعاء ثالث شهر ذي القعدة الحرام وأقمنا به بقية الشهر .

واتفق لنا من فضل الله تعالى وكرمه ورأفته وعنايته من التوفيقات الالهية والخيرات الربانية والتأييدات السبحانية والنعمة الشاملة والرحمة الواصلة ما لا يقتضي الحال ذكره ومفيضة سبحانه اعلم به ، ونسأل من فضله العميم وكرمه الجسيم أن يمدنا بفضله ويجود علينا بستره وكفايته كما عودنا ذلك فيما سلف، وان يعصمنا فيما بقي من كل ما يخالف رضاه ويبعد عن جواده ويحرسنا بعين عنايته ، وقد أظهر الله سبحانه لجماعة من الصالحين بالمشهدين وغيرهما آيات باهرة ومنامات صالحة وأسراراً خفية أوجبت كمال الاقبال وبلوغ الامال ، فله الحمد والمنة على كل حال .

قلت ، مما اخبرني به من الكرامات بعد رجوعه من هذه الزيارة في صفر سنة ست وخمسين وتسعمائة انه لما حرر الاجتهاد في قبلة العراق وحقق حالها واعتبر محراب جامع الكوفة الذي صلى فيه امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ووجد محراب حضرته المقدسة مخالفاً لمحراب الجامع واقام البرهان على ذلك وصلى فيه منحرفاً نحو المغرب بما يقتضيه الحال وقرر ما أدى اليه اجتهاده في ذلك المجال وسلم طلبية العلم ذلك لما اتضح الامر لهم هنا لك ،

وتخلف رجل عن التسليم أعجمى يقال له الشيخ موسى وانقطع عن ملاقاته
لاجل ذلك ثلاثة ايام وانكر عليه غاية الانكار لما قد تردد الى تلك الحضرة من
الفضلاء الاعيان على تغاير الزمان خصوصاً للمرحوم الشيخ على وغيره من الافاضل
الذين عاصروهم هؤلاء الجماعة، وهذا الموجب لنفورهم عما حققه الشيخ قدس سره،
فلما انقطع الرجل المذكور عنه هذه المدة رأى النبي صلى الله عليه وآله في
منامه وانه دخل الى الحضرة المشرفة وصلى بالجماعة على السمت الذي صلى
عليه الشيخ منحرفاً كانحرافه فانحرف معه أناس وتخلف آخرون ، فلما فرغ
النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة التفت الى الجماعة وقال : كل من صلى
ولم ينحرف كما انحرفت فصلاته باطلة . فلما انتبه الشيخ موسى طفق يسعى
الى شيخنا قدس سره وجعل يقبل يديه ويعتذر من الجفاء والانكار والتشكيك
فى امره ، فتعجب شيخنا من ذلك وسأله عن السبب فقص عليه الرؤيا كما ذكر .
قال احسن الله جزاه وطيب مثواه : ومما اتفق لى انى كنت جالساً عند
رأس الضريح المقدس ليلة الجمعة وقرأت شيئاً من القرآن وتوجهت ودعوت
الله أن يخرج لى ما اختبر به عاقبة امرى بعد هذه السفره مع الاعداء والحساد
وغيرهم ، فظهر لى أول الصفحة اليمنى « ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى
ربى حكماً وجعلنى من المرسلين »^(١) فسجدت الله شكراً على هذه النعمة والتفضل
بهذه المشاره السنیه .

وكان خروجنا من المشاهد الشريفة بعد أن ادركنا زيارة عرفه بالمشهد
الحائري والغدير بالمشهد الغروي والمباهلة بالمشهد الكاظمى سابع عشر شهر
ذى الحجة الحرام من السنة المتقدمة ولم يتفق لنا الاقامة لادراك زيارة عاشوراء
مع قرب المدة لعوارض وقواطع منعت من ذلك والحمد لله على كل حال .

(١) سورة الشعراء : ٢١ .

واتفق وصولنا الى البلاد منتصف شهر صفر سنة ٩٥٣ ووافق من الحروف
بحساب الجمل حروف « خير معجل » ، وهو مطابق للواقع أحسن الله خاتمتنا
بخير كما جعل بدايتنا الى خير بمنه وكرمه .

ثم أقمنا ببعلبك ودرسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثير من الفنون،
وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم احسن صحبة وعاشرناهم أحسن عشرة، وكانت
أياماً ميمونة وأوقات ابهجة ما رأى اصحابنا في الأعصار مثلها .

قلت : كنت في خدمته في تلك الايام ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع
الانام وملاذ الخاص والعام ومفتى كل فرقة بما يوافق مذهبها ويدرس في المذاهب
كتبها ، وكان له في المسجد الاعظم بها درس مضافاً الى ما ذكر وصار اهل البلد
كلهم في انقياده ومن وراء مراده بقلوب مخلصه في الوداد وحسن الاقبال والاعتقاد
وقام سوق العلم بها على طبق المراد ورجعت اليه الفضلاء من أقاصى البلاد
ورقى ناموس السادة والاصحاب في الازدياد، وكانت عليهم تلك الايام من الاعياد
وقلت انا في محاسن تلك الاوقات وصفائها واعيان تلك الرجال وحسن وفائها
ما دحساً :

اببعلبك تروم فرقة صحبة	كانت ليالى و صلهم أياما
سادوا الانام بفضلهم وبجودهم	فلذالك صاروا للورى اعلاما
حازوا السيادة والمكارم والتقى	فتجنبوا ما يوجب الاثام

قال روح الله روحه : ثم انتقلنا عنهم الى بلدنا بنية المفارقة امتثالاً لامر
الالهى سابقاً في المشاهد الشريفة ولاحقاً في المشهد الشريف مشهد شيث عليه
السلام ، وأقمنا في بلادنا الى سنة خمس وخمسين مشتغلين بالدرس والتصنيف .

اخر ما وجدته بخطه الشريف مما نسبه اليه من التاريخ المنيف ، وهذا
التاريخ كان خاتمة أوقات الامان والسلامة من الحداث ، ثم نزل به ما نزل وستقف

عليه ان شاء الله الى خاتمة الاجل ، ولنكمل ما وعدنا به من اتمامه وما اطلعنا عليه في تضاعيف مخالطته وبلغنا من ثغرات تلامذته ، ولنرجع الى ترتيب الفصول
فئة-ول :

الفصل الثاني

(في ذكر اجتهاده ومتى كانت بدايته وتعداد مصنفاته وما افاده من

التحقيقات في الرسائل الفائقة والمباحث الرائقة)

اخبرني قدس الله لطفه وكان في منزلي بجزين متخفياً من الاعداد ليلة الاثنين
حادى عشر شهر صفر سنة ٩٥٦ ان مولده كان في ثالث عشر شوال سنة ٩١١
وان ابتداء امره في الاجتهاد كان سنة ٩٤٤ وان ظهور اجتهاده وانتشاره كان في
سنة ٩٤٨ ، فيكون عمره لما اجتهد ثلاثاً وثلاثين سنة .

وكان في ابتداء امره يبالي في الكتمان وشرع في شرح الارشاد ولم يبدئه
لاحد ، فكتب منه قطعة ولم يره أحد ، فرأيت في منامي ذات ليلة ان الشيخ على
منبر عال وهو يخطب خطبة ما سمعت مثلها في البلاغة والفصاحة ، فقصصت
عليه الرؤيا فدخل الى البيت وخرج ويديه جزء فناولني اياه ، فنظرته فاذا هو
شرح الارشاد وقد اشتمل على خطبته المعروفة التي أخذت بمجامع البراعة
والفصاحة وتردت بحسن الترصيع والبلاغة، سيما باشتمالها على براعة الاستهلال
المفهمة لموضوع الكتاب وتعداد جملة من كتب الفقه بأوجز عبارة وارشف اشارة
وقال اعلى الله درجته: هذه الخطبة التي رأيتها . وامرني ان اطالع الجزء خفية وكان
كلما فرغ من جزء يأتيني به فأطالعه ، وهذا الكتاب ما صنف للشيعنة مثله، مزج
المتن بالشرح ولم يسبق الى هذه الطريقة من اصحابنا ، خرج منه مجلد ضخيم
كتاب الطهارة والصلاة لو يتم لتم به المراد ولكن حكمة الله تقتضى غالباً عكس

ما يظهر لعقول العباد .

ثم اكب على المطالعة والتأليف واستفراغ الوسع في التدريس والتصنيف الى سنة ثمان وأربعين وتسعمائة ، حتى اراد الله اظهار ما أراد كتمانها واعلى في البرية شانها وألقي في قلوب ذوي العلم الانقياد اليه والتسليم لما اعتمد عليه ، ودخل معه كل من له بالشرعية المطهرة تقييد في ربة الرجوع اليه بالتقليد ، وظهرت عنه التصانيف الفائقة والمباحث الرائقة ورجعت اليه الفضلاء بالاذعان واطلق في ميدان السبق العنان ، وصارت فضائله مشاهدة بالعيان .

فأول ما افرغه في طالب التصنيف الشرح المذكور لارشاد الامام العلامة جمال الدين الحسن بن المطهر قدس الله روحه يعرف فضله من وقف عليه من أولى الفضل ورفع حجاب الهوى عن بصيرة العقل ، خرج منه مجلد ضخيم ، ثم قطع عنه على آخر كتاب الصلاة والتفت الى التعلق بأحوال الالفية والمقلدين في الصلاة اليومية ، وكتب عليها حاشية وسطى تتعلق بمهمات ، واخرى مختصرة تكتب على الهامش لتقيد الفتوى وغالب العبادات ، وشرحاً مطولاً مجلداً كاملاً مزج فيه المتن بالشرح ايضاً واشتمل على مباحث شريفة وتحقيقات لطيفة . ومن مصنفاته شرح الرسالة النقلية للامام السعيد ابي عبد الله الشهيد مزجاً مجلد .

وسنها الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية للشيخ المبرور المحبور الشهيد المذكور مجلدان مزجاً ايضاً ، سلك فيه مسلكاً لطيفاً وحرره تحريراً معروفاً^(١) . ولما علم الله النسبة بينه وبين الشهيد من المشاركة في نيل درجة السعادة بخاتمة الشهادة ألقى في قلبه الميل الى احياء آثاره والتعليق بشرح مصنفاته واظهار

(١) كتب في أول المجلد الاول ابتداء تصنيفه ، ومع تاريخ آخره يكون مدة ذلك ثلاثة اشهر واياماً « ع ل » .

تحقيقاته، ولقد كانت نفسه كأنها ممزوجة بنفسه، وكثيراً ما كان يبني على مباحثه ويرجع الى عباراته ويصوب ما اعتمده من ترجيحاته. كان من انسه به كأنه معاصره ومن اطلاعه على شريف أنفاسه كأنه معاشره قدس الله روحهما الزكية وأفاض عليهما المراحم الربانية. واما رغبته في الشروح المزج فانه لما رآها للعامة وليس لأصحابنا منها حملته الحمية على ذلك ومع ذلك فهي في نفسها شيء حسن.

ومنها شرح الشرائع الذي تفجرت منه ينابيع الفقه وأخذ بمجامع العلم سلك فيه اولا مسلك الاختصار على سبيل الحاشية حتى كمل منه مجلد، وكان قدس سره كثيراً ما يقول نريد نضيف اليه تكلمة الاستدراك مافات، ثم أخذ في الاطناب حتى صار بحرأ يسلك فيه سفن اولى الالباب، فكمل سبعة مجلدات ضخمة من احزره فقد أحرز تمام الفقه مما حواه واستغنى بمطالعه عن غيره من كل كتاب سواه.

ومنها كتاب تمهيد القواعد الاصولية والعربية لتفريع فوائد الاحكام الشرعية مجلد سلك فيه مسلكاً بديعاً ومنهجاً غريباً ما سبق اليه، رتبته على قسمين احدهما في تلخيص القواعد الاصولية وتفريع ما يلزمها من الاحكام الفرعية والثاني في تقرير المطالب العربية وترتيب ما يناسبها من الفروع الشرعية، واختار من كل قسم منهما مائة قاعدة متفرقة من أبواب مضافة الى مقدمات وفوائد ومسائل لانظير لها في رد الفروع الى اصولها المقيد بالملكة القدسية التي هي العمدة في المسائل الاجتهادية، ووضع له فهرساً مشتملاً على جدول لطيف يستخرج منه الطالب أي مسألة أرادها، ولقد وصفنا هذا الكتاب لبعض فضلاء العجم بقزوين فقال مثل قواعد الشهيد قلنا احسن فقال دعوى عظيمة فقلنا الشاهد حاضر، ودفعنا اليه الكتاب فأخذه الى منزله وفي اليوم الثاني أرسل يستأذن منا في تقطيع أجزاءه

وتفريقتها على الكتاب ليكتبوه عاجلاً ، فكتبه في أيام قلائل ومدحه .
ومنها حاشية على قطعة من عقود الارشاد للعلامة مشتملة على تحقيقات مهمة
ومباحث محررة .

ومنها حاشية على قواعد الاحكام للعلامة ايضاً حقق فيها المهم من المباحث
ومشي فيها مشي الحاشية المشهورة بالبخارية للمولى السعيد الشيخ الشهيد ، وغالب
المباحث فيها بينه وبينه ، برز منها مجلد لطيف الى آخر كتاب التجارة .

ومنها كتاب منية المرید في آداب المفيد والمستفيد ، مجلد مشتمل على
مهمات جليلة وفوائد نبيلة ، تحمل على غاية الانبعاث في الترغيب في اكتساب
الفضائل واجتناب الرذائل والتحلى بشيم الاخيار والعلماء الابرار .

ومنها حاشية مختصرة على الشرائع خرج منها قطعة صالحة .

ومنها جزء لطيف يشتمل على فتوى خلافيات الشرائع .

ومنها حاشية على مختصر النافع تشتمل على تحقيق المهم منه .

ومنها رسالة في أسرار الصلاة القلبية رتبها على ترتيب الالفية وذكر
وظائف كل باب باعتبار ملاحظة القلب للاسرار الباطنية حسب ترتيب الواجبات
الظاهرة .

ومنها رسالة في احكام نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها ، جمع فيها الاقوال
وحرر فيها الحال .

ومنها رسالة فيما اذا تيقن الطهارة والحدث وشك في السابق منهما .

ومنها رسالة فيما اذا أحدث المجنب في اثناء غسل الجنابة حدثاً اصغرو وتحقق
المحل على أتم وجه .

ومنها رسالة في تحريم طلاق الحائض الحائض الحاضر زوجها عندها
المدخول بها .

ومنها رسالة تشتمل على حكم صلاة الجمعة في حال الغيبة وتحقيق الخلاف فيها وبيان ما اعتمد عليه وساقه البرهان .

ومنها رسالة في الحث على صلاة الجمعة .

ومنها رسالة نفيسة في بيان حال حكم المسافر اذا نوى اقامة عشرة أيام في غير بلده وتقسيم المسألة الى اقسامها المشهورة ، وفيما اذا خرج ناوى المقام عشرة الى ما دون المسافة وتقسيمها ايضاً الى اقسامها ، وبيان جميع أحكامها ، جليلة الفروع غريبة الوقوع سماها « نتائج الافكار في حكم المقيمين في الاسفار » .
ومنها منسك الحج والعمرة .

ورسالة لطيفة في نياتهما .

ومنها رسالة في احكام الحبوّة وتحقيق المقام على أتم نظام .

ومنها رسالة في تحقيق ميراث الزوجة غير ذات الولد وتحرير الاقوال وبيان سائر الاحوال .

ومنها رسالة في أجوبة ثلاثة عن ثلاث مسائل لبعض الافاضل احداها في شخص على بدنه مني واغتسل في ماء كثير ومعك بدنه لازالة المخبث فلما انصرف تيقن أن تحت اظفاره شيئاً من وسخ البدن المختلط بالمني فهل يطهر الوسخ الذي له جرم مخالط للمنّي بنفوذ الماء في اعماقه ام لا ، والثانية قطعة الجسد المنفصلة عن بدن الانسان هل هي طاهرة ام نجسة ، والثالثة في شخص مرض مرضاً بالغاً اراد الوصية فعرض عليه بعض أصحابه ان يجعل عشرين توماً من ماله خمساً فقال اجعلوا - الى آخر السؤال .

ومنها رسالة في عشر مباحث في عشرة علوم صنفها في اصطنبول وعقد في كل مبحث اشكالا يعجز عن حله الراسخون في العلم .
ومنها كتاب مسكن الفؤاد في فقد الاحبة والاولاد .

ومنها رسالة في الغيبة وتحقيق احكامها .
ومنها رسالة في عدم جواز تقليد الاموات من المجتهدين ووجوب تقليد
الاحياء منهم على المكلفين، صنفها برسم الصالح الفاضل المرحوم السيد حسين
ابن ابي الحسن قدس الله روحه .

ومنها البداية في علم الدراية وشرحها .
ومنها كتاب غنية القاصدين في معرفة اصلاحات المحدثين ، وهذا العلم
لم يسبقه أحد من علمائنا الى التصنيف فيه وهو أول من فتح بابه وذلك صعبه .
ومنها كتاب منار القاصدين في أسرار معالم الدين .
ومنها رسالة في شرح قوله صلى الله عليه وآله « الدنيا مزرعة الآخرة » .
الى هنا كلام جامع الكتاب .

واقول : وانا الفقير الى الله تعالى على بن محمد بن الحسن بن زين الدين
عفا الله عنهم أني عثرت له قدس الله روحه على كتب ورسائل غير ما ذكره هنا .
وهي : كتاب الرجال والنسب ذكره في بعض مصنفاته .
وكتاب في تحقيق الاسلام والايمان عندي بخطي .
ورسالة في تحقيق النية عندي بخطي .
ورسالة في الولاية وان الصلاة لايقبل الا بها ذكرها في شرح الارشاد .
ورسالة في طلاق الغائب .

ورسالة في المختار من مواضع الخلاف من اللمعة .
ورسالة في تحقيق الاجماع عندي بخطه .
وكتاب الاجازات ذكره في بعض فوائده .
وحاشية على الارشاد الى آخره .
ومنظومة في النحو وشرحها رأيت بعضها بخطه .

ورسالة في شرح « بسم الله الرحمن الرحيم » عندى بخط والدي رحمه الله.
وسؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها ، وسؤالات الشيخ احمد واجوبتها.
ورأيت في تفصيل لمصنفاته زيادة عما ذكر وهي : فتاوى الارشاد ، بغية
المريد مختصر منية المريد، مبرد الاكباد مختصر مسكن الفؤاد، مختصر الخلاصة
فتاوى المختصر ، رسالة في تحقيق قوله تعالى « والسابقون الاولون » الآية ،
رسالة في تحقيق العدالة ، جواب المباحث النجفية ، جواب المسائل الهندية
المسائل الشامية ، الرسالة الاصطنبولية في الواجبات العينية ، البداية في سبيل
الهداية، فوائد خلاصة الرجال ، رسالة في دعوى الاجماع في مسائل من الشيخ
ومخالفة نفسه .

وسمعت من بعض مشائخنا ان مصنفاته بلغت ستين مصنفاً .

ورأيت بخط جدى المبرور الشيخ حسن قدس الله روحه ما صورته : هو ولد
الوالد قدس الله نفسه في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوال سنة احدى عشرة
وتسعمائة ، واستشهد في سنة خمس وستين وتسعمائة - انتهى .

وللشيخ بهاء الدين قدس الله روحه تاريخ وفاته وهو قوله :

تاريخ وفاة ذلك الاواه الجنة مستقرة والله

أقول : ومما سمعته في بلادنا مشهوراً ورأيته أيضاً مشهوراً في غيرها انه
قدس الله روحه لما سافر السفر الاول الى اصطنبول ووصل الى المكان الذى قتل
به تغير لونه، فسأله اصحابه عن ذلك فقال مامعناه : انه يقتل في هذا المكان رجل
كبير أو عظيم له شأن، فلما اخذ قتل في ذلك المكان .

ورأيت نسخة لشرح اللمعة عند بعض الاكابر أن الشيخ حسين بن عبدالصمد
رحمه الله سأل عن هذا وكان رفيقه في ذلك السفر ، فأخبر بان ذلك حق سؤاله

او سؤال غيره^(١).

وفى آخر المجلد الثالث من شرح الشرائع بخط السيد علي الصائغ رحمه الله ما صورته : هذا آخر كلامه بلغه الله أعلى مراتبه وحشره مع نبيه وامامه وانتقم ممن كان سبباً فى سفك دمائه ولا جعل له نصيباً فى دمائه ، فانه كان اخذاً بالحق قابضاً بزمامه ولم يعطفه عنه خوف سلامه ، وناهيك بكيفية شهادته دلالة على فضله واعضامه وتجيله واکرامه ، فانه أسر وهو طائف حول البيت، واستشهد يوم الجمعة فى رجب تالياً للقرآن على محبة اهل البيت ، والمحال انه غريب ومهاجر الى الله سبحانه الذى هو على كل شىء رقيب ، وختم له بحج بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه افضل الصلاة واكمل السلام ، ليت نفسى كانت له الفدا ومهجتي تقيه من الردى ، قدس الله نفسه وطهر رسمه ونفعنا به وجعلنا من خلص اصحابه انه جواد كريم - انتهى كلام السيد علي قدس الله نفسه نقلته حيث لم يوجد بقية هذا التاريخ .

(١) وجد بخط المرحوم المبرور الشيخ حسين بن عبد الصمد رحمه الله بعد سؤاله

وصورة السؤال والجواب :

سئل الشيخ حسين بن عبد الصمد « ره » : ما يقول مولانا شيخ الاسلام فيما روى عن الشيخ المرحوم المبرور الشهيد الثانى انه مر بموضع فى اصطنبول ومولانا الشيخ سلمه الله معه فقال : يوشك ان يقتل فى هذا الموضع رجل له شأن ، او قال شيئاً قريباً من ذلك ، ثم انه استشهد رحمه الله فى ذلك الموضع ، ولاريب ان ذلك من كراماته رحمه الله واسكنه جنان الخلد .

نعم هكذا وقع منه قدس سره ، وكان الخطاب للفقير ، ويقال انه استشهد فى ذلك الموضع ، وذلك مما كشف لنفسه الزكية حشره الله مع الائمة الطاهرين . كتبه حسين بن عبد الصمد الحارثى ثامن عشر ذى الحجة سنة ٩٨٣ فى مكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً - انتهى « ع ل » .

ومن ف كلام الشيخ جامع كتاب رحمه الله قال :

الفصل الثالث

(فى ذكر اصحابه وفضلاء تلامذته الذين قرؤا عليه وترددو اليه واخذوا عنه واستفادوا منه من العرب وغيرهم).

اول من قرأ عليه فى اوائل امره وتصديه للتدريس الشيخ الفاضل العالم الكامل عز الدين حسين بن عبدالصمد الحارثى الهمدانى ، صحبه مدة مديدة وقرأ عليه كتباً عديدة : منها قواعد الامام العلامة من اولها الى آخرها وباقى مفرداته المذكور فى اجازة مطولة اجازه اياها مشتملة على محاسن جميلة وفوائد جميلة ، وكان رفيقه الى مصر فى طلب العلم والى اصطنبول فى المرة الاولى ، وفارقه الى العراق وأقام بها مدة ثم ارتحل الى خراسان واستوطن هناك الان ادام الله توفيقه .

(ومنهم) الشيخ علي بن زهرة الجبعي ابن عم الشيخ حسين المذكور، قرأ عليه جملة من العلوم ، وكان غاية من الصلاح والتقوى والخير والعبادة ، كان شيخنا يعتقد فيه الولاية وكان رفيقه الى مصر وتوفي بها رحمه الله .

(ومنهم) الشيخ الجليل العالم الفاضل الشيخ محمد بن الشيخ محمد الحر أبقاه الله تعالى والد زوجته المتوفاة فى حياته بمشعر ، من اول المدعين باجتهاده المخلصين معه ، قرأ عليه جملة من الكتب وأخذ عنه شرائع دينه وأجازه اجازة عامة، وكانت له به خصوصية ومحبة صادقة وعلاقة متصلة بتمام المودة وصدق المحبة .

(ومنهم) السيد الجليل الكبير المعظم خلاصة الاخيار وعمدة الابرار وزين الافاضل وعمدة الاوان ونادرة الزمان صاحب الشيم المرضية والاخلاق السنية

السيد نورالدينيا والدين ابن المرحوم السيد فخر الدين عبد الحميد الكرسي القاطن بدمشق الان اُدام الله أيامه وأعلى الله مقامه ، وانه من أكابر خاصة وأوائل العاكفين على ملازمته، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية وغيرها واخذ عنه وأجازه وكان له قدس سره عليه مزيد اعتماد ومحكم استناد .

(ومنهم) السيد الامام العلامة خلاصة السادة الأبرار وعين العلماء الاخيار وسلامة الأئمة الاطهار السيد العالم الفاضل الكامل ذو المجد بن علي بن الامام السيد البديل أوحد الفضلاء وزبدة الاتقياء السيد المرحوم المبرور عز الدين حسين بن ابي الحسن العاملي اُدام الله شريف حياته، ربه كوالد لولده ورفاه الى المعالي بمفرده وزوجه ابنته رغبة فيه وجعله من خواص ملازميه ، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية والعقلية والادبية وغيرها واجازه اجازة عامة .

(ومنهم) السيد الجليل الفاضل العالم الكامل فخر السادة الاعلام وأعلم العلماء الفخام وأفضل الفضلاء في الانام السيد علي بن السيد الجليل النبيل حسين الصائغ العاملي اُدام الله توفيقه ، قرأ عليه وسمع من جملة نافعة من العلوم في المعقول والمنقول والادب وغير ذلك ، وكان قدس الله لطيفه له به خصاصة تامة وكان غالباً^{١)} .

ومن الكتاب المذكور من جملة منام سقط من أوله ما سقط والموجود منه هذا : رأيت في المنام قائلاً يقول لي : ما لي أراك ملولاً ؟ فقلت : وكيف لا أكون كذلك وأنا على هذه الحالة في بلاد غربة . فقال : لا تخف فانك بين اثني عشر بيتاً في كل منها ماء جاري ، ففتحت عيني في النوم فرأيت كما قيل لي فانتهيت وحمدت الله تعالى على ذلك ووجدت بعض التخفيف مما كنت فيه ،

١) الى هنا انتهى ما وجدنا من الكتاب متصلاً ، وبعده ما يأتي من أوراق من جملة منام سقط من أوله ما سقط « منه » .

فلما كانت ليلة الثلاثاء الثامن والعشرون من الشهر المذكور رأيت العجب العجيب
والامر الغريب ، وهو انى اول ليلتى تلك فكثرت فى أمرى وقلت لو مت فى
مرضى هذا ما يكون عاقبة أمرى أمن اهل الجنة اكون أم من اهل النار ، ثم
التفت الى نفسى وأزريت عليها وقلت بأى عمل حسن ترجو الجنة وأنت قد
قضيت اكثر عمرك فى الاسفار فى طهارة غير جيدة وأوقات غير محمودة
وليس لك عمل تستحق به الجنة ، اللهم الا الايمان وحب أهل البيت عليهم
السلام .

ثم قلت فى نفسى لاشك ان الايمان علة تامة فى دخول الجنة وانا مؤمن
بحمدالله تعالى ولى ذنوب كثيرة فأعاقب عليها ثم أدخل الجنة ، ولكن العذاب
فى مقابلة الذنوب خطر خطير وبلاء كبير ان لم يحصل مسقط من عفو الله تعالى
وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وانى لى بالمسقط مع
كثرة ذنوبى ، ثم امتد هذا الفكر برهة من الليل وأنا ازرى على نفسى واعاتبها
فأخذنى النوم على تلك الحال فرأيت فى المنام كأنى واقف فى أرض مقفرة
موحشة ليس فيها حشيش ولا أنيس ولا علي من الثياب الا مئزر من السرة الى
الركبة وأرى جسدي مشوهاً فيه مثل الدماميل السود البشعة ، فطار عقلي وحوار لى
لما رأيت وحشة المكان وقبح منظر بدنى ، فبينما انا كذلك اذ جاءنى شخص
وقال: أجب . فقلت: ما الخبر؟ فقال: هذا يوم القيامة وقد طلبت للعرض والحساب ،
فسرت معه ساعة فأوقفنى فى أرض خالية واذاً قد اقبل شخص آخر وقال لى: سر .
فقلت : الى أين ؟ فقال : قد امر بك الى النار فسرت معهما حزين القلب منكسر
المخاطر وكان مسيرنا ذات الشمال . فقلت لهما: ألا تمران بى على النبي صلى الله
عليه وآله والأئمة عليهم السلام لعل شفاعة . فقالا : لم نؤمر بذلك . فقلت : مرا
بى قريباً منهم صلوات الله عليكم كأنكم غير قاصدين لذلك .

فبينما انا معهما فى الخطاب واذاً بالنبي وامير المؤمنين صلوات الله عليهما جالسان عن يميننا وعندهما ثلاثة اشخاص متأخرون عنهما فى المجلس قليلاً فلما رأونا طلبونا فلما قربنا منهم سلمت عليهم بقلب منكسر ورأس مطرق من الحياء من سوء المنظر ومن انى أمور بى الى النار، فنظر الي النبي صلى الله عليه وآله وأنا منكس رأسى وتأمل طويلاً ثم قال : اذهبوا به الى الجنة . فقالوا: يا رسول الله ليس فى صحيفته شىء من الحسنات وصحيفة سيئاته مملوءة، فأشار الي النبي صلى الله عليه وآله وكان معي صحيفتان فأعطيته صحيفة الحسنات واذاً فى الصفحة الثانية من الورقة الاولى سطر واحد مكتوب فيه بخط واضح الايمان وحب أهل البيت والباقي بياض ليس فيه شىء اصلاً، ثم اشار الى الاخرى فأعطيته صحيفة السيئات واذا هى مملوءة ليس فيها موضع كلمة ، فوضعها صلى الله عليه وآله تحت ركبته ثم قال : اذهبوا به الى الجنة . فقالوا : يا رسول الله قد رأيت صحيفته ، فأخرج صلوات الله عليه الحسنات فنشرها فاذا هى مملوءة من الحسنات من اولها الى آخرها ، ثم نشر صحيفة السيئات واذا هى خالية الا قليلاً فقال لهما : انظرا . فقالا : الامر اليك يا رسول الله ، فأشار بيده صلى الله عليه وآله ذات اليمين وقال : اذهبوا به الى الجنة . فقالا : يا رسول الله لسنا ممن يودى الى الجنة . فقال لي صلوات الله عليه وآله : اذهب انت الى الجنة فقلت يا رسول الله وأين الجنة . فقال : سر هكذا - وأشار ذات اليمين - سترى باباً عالية نورانية فادخل . فقلت : يا رسول الله ويكون الباب مفتوحاً . فقال : يكون مفتوحاً انشاء الله تعالى .

فقلت : يا رسول الله كيف أدخل الجنة بهذه الحلقة المشوهة . فقال صلى الله عليه وآله : اذا دخلت تجد نهر الكوثر عند باب الجنة فاغتسل منه يزل ما بك من سوء المنظر ثم اعبر الى الجانب الاخر تجد ثياباً معدة فلبس منها حاجتك

ثم اجلس واسرح و كل مما هناك . فقلت : وما هناك يا رسول الله . فتبسم وكأنه قال مليمح تسأل هناك رطب وعنب ولبن . فقلت له : وحقك يا رسول الله اني أحب الرطب مع اللبني ، فكأنه قال : نعم هما ما كول اهل بلادك . فقلت : ثم ما أفعل يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وآله : اجلس هناك حتى يجيء اليك من يأخذك الى موضعك الذي أعده الله تعالى لك .

فسرت من عنده قليلا فرأيت باباً عالية نورانية واذا هي مفتوحة وليس هناك أحد ، فدخلت واذا بنهر الكوثر يجري ، فنزلت فيه واغتسلت فذهب عني ما في من تشويه البدن ، وعبرت الى الجانب الاخر واذا هناك ثياب بعضها في صنديق كبار وبعضها في اسفاط صغار فلبست بعضها ، ونظرت فاذا أشجار كثيرة وأرض حسنة مأنوسة واذا بالثمار دائية والرطب واللبن والعنب كما قال صلى الله عليه وآله ، فأكلت كفايتي ثم جلست ساعة واسترحت مما كنت فيه من كرب الموقف والرعب الذي كان في قلبي .

فبينما انا كذلك اذ أقبل شخصان فسلما وقالوا قم لتنظر ما وعد ربك سبحانه وتعالى ، فسرت معهما قليلا فأدخلاني باباً حسناً متوسطاً بالعلو ، واذا بأشجار مثمرة وانهار جارية وارض حسنة خضراء انيسة ، فقالا هذا ابتداء محلك ، وسرنا قليلا فوصلنا الى قبة على أعمدة ليس لها حيطان وانهار تجري حولها فقالا لي اجلس ، فجلست فقالا ألا تأكل شيئاً فقلت لا بأس ، فأحضر مائدة فيها ألوان من الاطعمة يفوح فيها الرائحة الزكية يحملها شبان حسان الوجوه ومعهم امرأة متوسطة في العمر ، فوضعوا المائدة وقالوا اكل فقلت ألا تأكلون معي قالوا نحن ملائكة وهؤلاء خدمة ، فقلت للمرأة الا تأكلين معي فقالت بلى وسيأتي اليك من يأكل معك احب اليك مني .

فبينما نحن كذلك في الكلام اذ أقبلت امرأة جميلة فلم ير الراؤن مثلها ،

فلما قربت سلمت وقبلت ركبتى وجلست عن يمينى فقلت لها: بسم الله كلي ثم اشرت الى المرأة الاولى من هذه؟ فقالت: هذه من المحور العين التى أعدها الله لك، فأكلنا حتى اكتفينا وانا انظر اليها وأتحير فى حسن منظرها، ثم قال الملكان اللذان كانا معي أولاً قم حتى تنظر ما اعطاك الله، فقمتم معهما فسرنا قليلاً واذأ قد أقبل ثلاثة اواربعة نفر حسان الوجوه ومعهم دابة بين الفرس والبغل حسنة المنظر وعليها سرج فقالوا اركب، فركبت وساروا بين يدى وانا أتفرج فى تلك البساتين والانهار الجارية ساعة فقالوا لي: تدرى كم سرت؟ قلت: لا. قالوا: مائة فرسخ تقريباً وبقي لك مثلها مراراً الى هذه الجهة التى نحن عليها. ثم اخذوا بى يميناً وسرنا ساعة طويلة حتى انتهينا الى حائط فقلت لهم ما هذا الحائط، قالوا هذا حد ملك الشيخ زين الدين، فقلت واين الشيخ، فقالوا هو جالس فى الموضع الذى اعطاه الله تعالى، فقلت وتلك الجراحات التى كانت فى بدنه من أهل البغي والعدوان اندملت، قالوا نعم لم يبق منها الأثر واحد على عاتق كالنجم المضىء بقي علامة، فقلت ومن عنده قالوا أجمع اصحابه وذكروا على الخصوص الشيخ محمد الحر والسيد على والشيخ بهاء الدين وجماعة لم يحضرنى اسماؤهم. فقلت: أريد ان ارى السيد على بن الصائغ، قالوا سيجىء.

فبينما نحن فى الكلام واذا برجلين جالسان عليهما الهيبة والوقار، فقلت من هؤلاء قالوا هذا موسى الكاظم وابنه على بن موسى الرضا صلوات الله عليهما، فسارعت اليهما وسلمت عليهما فردا على السلام وكأنهما يهنيانى بما انعم الله تعالى به علي وسائرتهما ساعة ثم فارقانى صلوات الله عليهما، فبينما نحن كذلك واذأ أنا بالسيد على المذكور قد أقبل، فاستقبلته واستبشر كل منا بصاحبه وسألته عن الشيخ والجماعة فقال هم بخير، واذا هو يقول لابأس ان

نعين مواضع لبعض من سيأتي، فقلت من هم فذكر ابن عمه السيد زين الدين
وجماعة لم أحفظ اسماءهم وهو يعين لهم مواضع ثم انتبهت على تلك
الحالة مسرور الخاطر منشرح البال وعرفت بقية ليلتي تلك ومن الله تعالى علي
بالعافية .

ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى ان لا يجعل ما رأيناه في المنام اضغاث احلام،
بل يجعله موصولاً بلطفه العام مباشراً بالوصول الى دار السلام ، لما ورد عنهم
عليهم الصلاة والسلام من رأنا فقد رأنا ، فان الشيطان لا يتمثل بنا وان يختم
لنا ولسائر المؤمنين خاتمة خير ويدفع عنا وعنهم الضير ، وان يجعل سعيئنا
فيما يحبه ويرضاه ويمنعنا عما سواه انه سميع مجيب والى داعيه قريب، والحمد
لله وحده وصلى الله على محمد وآله اجمعين .

(ومن الكتاب) ومما سمح به الخاطر الفاتر والفكر القاصر ، وذلك عند
النظر الى تلك المعالم والرسوم فشاهدناها كما سيغرب عنه المقال ويترجم بلسان
الحال فقال :

مخبرات بأن القوم قد رحلوا
فاليوم لاعوض عنهم ولا بسدل
وكلما جئت ربعاً قبل لي رحلوا
يتلو الزبور وجنح الليل منسدل
ياراهب الدير هل مرت بك الابل
عن الركاب التي في حيكم نزلوا
وقال لي يا فتى قلت بك الحويل
بالامس قد نزلوا واليوم قدرحلوا
وانه ليس لى في وصلهم أمل

هذى المنازل والاثار والطلل
ساروا وقد بعدت عنا منازلهم
فسرت شرقاً وغرباً في طلبهم
حتى وصلت الى دير وراهبة
شبكت عشري على رأسي وقلت له
ياراهب الدير بالانجيل تخبرني
فرق لي وبكى من رحمة وشكا
ان الركاب التي عنهم تسائلني
فحين أيقنت ان الذكر منقطع

رجعت والعين عبرى والفؤاد شج
وجئت ناديهم الفيته قفرا
وعاينت أعينى الاصحاب فى وجل
فقلت ما لكم لا خاب قالكم
هل نالكم غير بعد الالف عن وطن
أتى من الروم لا اهلا بمقدمه
يقول ان أولى العدوان قد شهروا
لما سمعت كلام القوم خامرنى
وصار حزنى أنيسى والبكاسكنى
لهفى له نازح الاوطان منجدلا
مضر جأ بالدماء لا غسل ولا كفن
لا بلغ الله عينى طيب رؤيته
اشكو الى الله رزأ ليس يشبهه
قد كنت املت آمالا اسر بها
لكن تسدت همومى مذراً يتهم
منعمين مع الاصحاب قاطبة
هذا جزائى لهم مما جرى لهم
هذا وحزنى عليهم لانقضاء له

والحزن بى نازل والصبر مرتحل
والطير تندبه والسهل والعجل
والعين منهم بميل الحزن تكتحل
قد حال حالكم والضر مشتمل
قالوا فجننا بزین الدين يارجل
ناع ناع فثار الحزن تشتعل
سيف الضلال وللمذكور قد قتلوا
وجد وحل بقلبي المبتلى وجل
والنوح دأبى ودمع العين ينهمل
فوق الصعيد عليه الترب مشتمل
لا قبر فيه يوارى ذلك البطل
ان حل فى خاطرى يوماً له بدل
الا مصيبة من فى كربلا قتلوا
فخاب ظنى وقد ضاقت بى السبل
فى النوم فى حنة الفردوس قد نزلوا
فى حنة الخلد لا بؤس ولا وجل
قد وصلوا بالقرب قد حصلوا
حتى اراهم عياناً حيثما نزلوا

هذا آخر ما وجد من التاريخ المذكور ، ونرجو من الله تعالى الظفر بالتممة
فان الساقط منه كثير بمقتضى الفصول المتقدمة .

يقول جامع اصل الكتاب على بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملى
تجاوز الله عن سيئاته: انه لما اقتضى الحال نقل ما نقلته فى هذا الكتاب من بعض

احوال جدي العالم الرباني الشيخ زين الملة والدين الشهيد الثاني قدس الله تربته واعلى في علمين رتبته ، أحببت ان اتبعها بنبذة من احوال ولده المبرور المحقق الحسن جمال الدين أبي منصور قدس الله روحه الزكية وافاض عليه المرحم الربانية ونبذة من احوال ولده فخرالدين ابى جعفر والد هذا الفقير قدس الله روحه ونور ضريحه ، فأقول :

[ترجمة الشيخ حسن صاحب المعالم]

ان الشيخ حسن رحمه الله كان فاضلاً محققاً ومتقناً مدققاً وزاهداً تقياً وعالمياً رضيعاً وكاملاً ذكياً بلغ من التقوى والورع اقصاهما ومن الزهد والعبادة منتهاهما ومن الفضل والكمال ذروتها وأسناهما ، وحق على ابن الصقر ان يشبه الصقرا ، كان لا يحوز قوت اكثر من أسبوع أو شهر الشك منى فيما نقلت عن الثقات، لاجل القرب الى مساواة الفقراء والبعد عن التشبه بالاغنياء ، وشاهدي على حاله وفضله ما حرره من المصنفات وحققه من المؤلفات ، فمن عرفها حـق المعرفة أذعن بثبوت دعوى هذه الصفة ، كان ينكر كثرة التصنيف مع عدم تحريره ويبدل جهده في تحقيق ما ألفه وتحبيره ، فتطلع من العلوم الحديث والرجال والفقه والاصول مستغنياً بما يحتاج اليه مما سواها من المعقول والمنقول .

كان هو والسيد الجليل السيد محمد ابن اخته قدس الله روحيهما في التحصيل كفرسي رهان ورضيعي لبنان ، وكانا متقاربين في السن ، وبقي بعد السيد محمد بقدر تفاوت ما بينهما في السن تقريباً ، وكتب على قبر السيد محمد « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظروا وما بدلوا تبديلاً » ورثاه بأبيات كتبها على قبره ، وهى قوله :

لهفى لرهن ضريح صار كالعلم للجود والمجد والمعرف والكرم

قد كان للدين شمساً يستضاء به محمد ذو المزايأ طاهر الشيم
سقى نراه وهناه الكرامة والريحان والروح طراًبارىءالنسم

والحق ان بينهما فرقاً فى دقة النظر يظهر لمن تأمل مصنفاتهما ، وان الشيخ حسن كان أدق نظراً واجمع من انواع العلوم ، وكانا مدة حياتهما اذا اتفق سبق احد منهما الى المسجد وجاء الآخر بعده يقتدي به فى الصلاة ، وكان كل منهما اذا صنف شيئاً يرسل اجزائه الى الآخر وبعده يجتمعان على ما يوجب البحث والتحرير رحمهما الله تعالى . ومثل هذا عزيز وقوعه من ابناء الزمان .

وكان اذا رجح احدهما مسألة وسئل عنها الآخر يقول ارجعوا اليه فقد كفانى مؤونتها ، استشهد والده قدس سره فى سنة خمس وستين وتسعمائة كما تقدم نقله .

وبخطه الشريف عندي ما صورته : مولد العبد الفقير الى عفو الله وكرمه حسن بن زين الدين بن على بن احمد بن جمال الدين بن تقي الدين عفا الله عن سيئاتهم وضاعف حسناتهم فى العشر الاخير من شهر الله الاعظم شهر رمضان سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، اللهم اختم بخير انك ولي كل خير .

وبخطه ايضاً ما لفظه : وبخط والدي رحمه الله بعد ذكر تواريخ اخوتي ما هذا لفظه : ولداخوه حسن ابو منصور جمال الدين عشية الجمعة سابع عشري شهر رمضان المعظم سنة تسع وخمسين وتسعمائة والشمس فى ثالثة الميزان والطالع زایل اللهم خاتمتمنا الى خير يامن بيده كل خير .

وقد تقدم عن السيد على الصائغ رحمه الله ان وفاة والده كانت فى شهر رجب ، فيكون سنه ذلك الوقت اربع سنين واشهرأ ، وقد كان والده قدس الله روحه على ما بلغني من جماعة من مشائخنا وغيرهم لة اعتقاد تام فى المرحوم المبرور العالم العامل السيد على الصائغ وانه كان يرجو من فضل الله ان رزقه الله ولداً أن يكون مربيه ومعلمه السيد علي المذكور ، فحقق الله رجاءه وتولى

السيد علي الصائغ والسيد علي بن الحسن رحمها الله تربيته الى أن كبر وقرأ
عليهما خصوصاً على السيد علي الصائغ هو والسيد محمد أكثر العلوم التي استفادها
من والده من معقول ومنقول وفروع وأصول وعربية ورياضية ، ولما انتقل
السيد علي الى رحمة الله ورد الفاضل الكامل مولانا عبد الله اليزدي تلك البلاد
فقرأ عليه في المنطق والمطول وحاشية الخطائي وحاشيته عليها وقرأ عنده
تهذيب المنطق ، وكان يكتب عليه حاشية في تلك الاوقات وهي عندي بخط
الشيخ حسن .

وبلغني ان ملا عبد الله كان يقرأ عليهما في الفقه والحديث ، ثم سافر هو
والسيد محمد الى العراق الى عند مولانا احمد الاردبيلي قدس الله روحه ، فقالا
له : نحن ما يمكننا الاقامة مدة طويلة ونريد أن نقرأ عليك على وجه تذكرة ، وان
رأيت ذلك صلاحاً . قال : ما هو ؟ قال : نحن نطالع وكل ما نفهمه ما نحتاج
معه الى تقرير بل نقرأ العبارة ولا نقف وما يحتاج الى البحث والتقرير يتكلم
فيه ، فأعجبه ذلك وقرأ عنده عدة كتب في الاصول والمنطق والكلام وغيرها
مثل شرح المختصر للعضدي وشرح الشمسية مع الحاشية وشرح المطالع وغيره
وكان قدس الله روحه يكتب شرحاً على الارشاد ويعطيها اجزاء منه ويقول انظروا
في عبارته وأصلحوها منها ما شئتم فاني أعلم ان بعض عباراته غير فصيح فانظر
الى حسن هذه النفس الشريفة .

وكان جماعة من تلامذة ملا احمد يقرأون عليه شرح المختصر للعضدي وقد
مضى لهم مدة طويلة وبقي منه ما يقتضي صرف مدة طويلة اخرى حتى يتسم ،
وهما اذا قرءا يتصفحان اوراقاً حال القراءة من غير سؤال وبحث ، وكان يظهر
من تلامذته يتسم على وجه الاستهزاء بهما على هذا النحو من القراءة ، فلما
عرف ذلك منهم تألم كثيراً منهم وقال لهم عن قريب يتوجهون الى بلادهم ويأتونكم

مصنفاتهم وانتم تقرأون في شرح المختصر، وكانت اقامتهما مدة قليلة لا يحضرني قدرها ، ولما رجعا صنف الشيخ حسن المعالم والمنتقى والسيد محمد المدارك ووصل بعض ذلك الى العراق قبل وفاة ملا احمد رحمه الله .

وطلب الشيخ حسن من مولانا احمد شيئاً من خطه ليكون عنده تذكراً ، فكتب له بعض أحاديث في الصحيفة التي عندي بخطه قدر ورقة ، وكتب في آخرها كتبه العبد احمد لمولاه امتثالا لامره ورجاء لتذكرة وعدم نسيانه اياه في خلواته وعقب صلواته ، وفقه الله لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه بمحمد وآله صلى الله عليه وآله - انتهى .

وفي تلك الصحيفة صفحة بخط الشيخ الجليل الشيخ بهاء الدين قدس الله روحه كتب فيها كلمات حكمية، وفي آخرها كتب هذه الكلمات امتثالا لامر سيده صاحب الكتاب حرس مجده وكبت ضده اقل العباد بهاء الدين الجباعي أصلح الله شأنه سائلا منه اجراءه على خاطره الخطير وعدم محوه عن لوح ضميره المنير ، سيما في محال الانابات ومظان الاجابات وذلك سنة ٩٨٣ - انتهى .

وكان اجتماعهما في كرك نوح عليه السلام لما سافر الشيخ بهاء الدين السبي تلك البلاد ، ولما رجع من العراق اشتغل بالتدريس والتصنيف وقرأ عليه والذي جملة من كتب العلوم معقولا ومنقولا وفروعا واصولا حتى انه قرأ عليه شرح الشرائع من أوله الى آخره على ما بلغنى والمنتقى والمعالم وغيرهما، وتخرج عليه وقرأ مدارك السيد محمد وشرح مختصره عليه وغير ذلك، واستفاد من جدى المرحوم جماعة كثيرة من الفضلاء مثل السيد نور الدين والشيخ نجيب الدين والشيخ حسين ابن الظهير وغيرهم وذكروهم جميعاً يحوج الى التطويل. جده من جهة أمه الشيخ الكامل الفاضل صاحب الذهن الوقاد والفكر النقاد والفطرة السليمة الشيخ محي

الدين قدس الله نفسه .

ولقد بلغنى عن بعض فضلاء اكابر العجم وهو خليفة سلطان قدس اللّروحه
وكان منصفاً ومتصدياً لتدريس المعالم وشرح اللمعة ومطالعة كتب مصنفيهما ،
وكان له فيهما اعتقاد حسن انه قال يوماً ما معناه : كنت أسمع ان الشيخ حسن
توفى في اثناء تصنيف المنتقى والمعالم ، ومن كان هكذا فكره وتحقيقه ليس
عجبا وفاته فى مثل هذا التصنيف والفكر فيه .

وله قدس سره مصنفات وفوائد ورسائل وخطب اطلعت منها على : كتاب
منتقى الجمان فى الاحاديث الصحاح والحسان مجلدان ، وكتاب معالم الدين
وملاذ المجتهدين مقدمته اصول وبرزمن فروعه مجلد ، وحاشية على مختلف
الشيعة مجلد عندي بخطه ، وكتاب مشكاة القول السديد فى تحقيق معنى الاجتهاد
والتقليد ذهب فيما ذهب من الكتب ، وكتاب الاجازات ، والتحرير الطاووسى
فى الرجال مجلد ، ورسالته الاثنا عشرية فى الطهارة والصلاة ، وله ديوان شعر
كان فى بلادنا بخطه سمعت أنه باق عند اولاد الشيخ نجيب الدين مجلد ،
ومجموع جميعه بخطه يحتوى على نفائس الشعر والفوائد له ولغيره وهو عندنا
بخطه ، ومجموع آخر بخطه انتخب فيه من فصول نسيم الصبا عشرة فصول وفيه
فوائد وحكايات وأشعار وكان عندنا بخطه كتب كثيرة بقي منها القليل .

انتقل الى جوار الله فى سنة احدى عشرة وألف ، ولا يحضرنى خصوص
الشهر واليوم ودفن فى بلدة جبج قدس الله روحه ونور ضريحه ، فيكون سنه
اثنين وخمسين سنة وشيئاً .

واقول : جزى الله عنا سوء الجزاء من حرماننا من الكتب التي كانت عندنا
اجتمعت فى زمن الشيخ زين الدين والشيخ حسن ووالدي رحمهم الله وأضيف
اليها كتب الشيخ محى الدين رحمه الله ، وقد وقع عليها الفتور غير مرة منها

قريب ألف كتاب احترقت وانا اذ ذاك ابن نحو سبع سنين أوثمان حرقها اهل
البيغي ، ولما سافرت الى العراق كان الباقي لنا في الجبل ودمشق وغيرهما ما
يقرب من ألف كتاب واكثرها منه ماأخذه الناس ومنه ماثلف من النقل والوضع
تحت الارض ، والباقي نحو مائة كتاب وصلت الي بعد السعى التام .

ومن العجب اني لما فارقت ما فارقت من الكتب كان فيما بقي بعد الفتور
الاول ما يريد عن مائة كتاب بخط جدي الشيخ زين الدين رحمه الله وما كان بخطه
فيما تلف واحترق لايعلم مقداره ، ومما تواتر عنه رحمه الله انه كان اذا غمس القلم
في الدواة ربما يكتب عشرين سطرأ أو ثلاثين سطرأ ، وهذا من جملة التأييدات
الالهية ، ولهذا جعل كاتب التاريخ فصلاً في ذكر أمره في الكتابة وماله فيها
من الايات ومحاسن الكرامات كما تقدم . وبالجملة فبذهاب هذه الكتب ذهب
كثير من فوائده وفوائد جدي ووالدي رحمهم الله تعالى وحرماننا الاطلاع عليها
والانتفاع منها .

ولنرجع الى تنمة ما يتعلق بجدي المرحوم الشيخ حسن فأقول : انه كان
ذا شعر رائق واسلوب فيه فائق كالماء الزلال والسحر الحلال ، بلفظ حسن رقيق
ومعنى جدير شيق ، ما بين مواعظ وألغاز وغزل ومراثي ومدائح لا لغرض دنوي
وقد تقدمت قطعة من شعره في الكلمات المنشورة ومنه قوله :

واعجباً منى وما ان أرى	تـعـجـبـى مـنـى يـحـدـىـنى
أطيع نفسي ان دعتنى الى	امر به توذى وتوذىنى
وحيث أدعوها الى مطالب	تمجـدو به حقاً وتمجىنى
تلقي دعايها على غرة	بأى اعراض وتعصىنى
فمن عذبرى أو شيفعى اذا	ناديتها يوماً تلبىنى
او من معبرلى نفساً بها	اعتاض عن نفسى وتكفىنى

ومن شعره قدس الله روحه :

قف بالديار وسلمها عين اهاليها
واستفهمن من لسان الحال ما فعلت
فسوف تنبيك أن القوم قد رحلوا
وغادرتها صروف الدهر خالية
وأصبحت بالنوى والبين في ظمأ
وأظلمت بعدهم ايامها ولقد
وناب عن عزلها ذل الكآبة اذ

ومن شعره لما كان بالعراق وقد شاهد ركباً متوجهاً من العراق الى الشام:

فؤادى ظاعن اثر النيباق
ومن عجب الزمان حياة شخص
وحل السقم في جسمي فأمسى
وصبري راحل عما قليل
وفرط الوجد أصبح لى حليفاً
وتعبت ناره بالروح حينما
واظمأنى النوى وأراق دمعى
وقيدنى على حال شديد
ابى الله المهيمن أن ترانى
ابيت مدى الزمان لنار وجدى
وما عيش امرء في بحر غم
يود من الزمان صفاء يوم
سقتنى نائبات الدهر كأساً

لفرط الجهل ان الدهر ساقى
لعمري قد جرت منه سواقى
يؤمل نفعه الا التلاقى

ولم يخطر ببالي قبل هـ...ذا
وفاض الكأس بعد البين حتى
فليس لداء ما القى دواء

ومن شعره وهو بالعراق متمشوقاً الى وطنه :

والبين فى غمرات الوجد القانى
اليك عنى فقد هيجت اشجانى
الا وذكرتنى اهلى واوطانى
فى الايك الا وشبت منه نيرانى
أرعى النجوم بطرفى وهى ترعانى
عن ناظرى كحلت بالسهد اجفانى
فى طيها نشر ذاك الرند والبان
وفى العراق لم تخيل جنمان
ما ذاك اول احياء ولا الثانى
على الشباب فشيبنى قبل ابانى
وربع قرب التلاقى ماله بانى
دعنى فلومك قد والله أقرانى
تصفوا لمشارب لى الا بلبنان
تمايمى وبه صحبى وخلانى
اخوان صدق لعمري أي اخوانى
على المسرة فى كرم وبستان
فغمرتى من وقوعى قبل عرفانى
هلا جنحت لتسريح باحسان

طول اغترابى بفرط الشوق اضنانى
يا بارقاً من نواحي الحى عارضنى
فما رأيتك فى الافاق معترضاً
ولا سمعت شجى الورقاء نائحة
كم ليلة من ليالى البين بت بها
كأن ايدى خطوب الدهر منذناؤا
ويابليلاً سرت من حيهم سحرا
أحييت ميتاً بأرض الشام مهجته
وكم حبيت وكم قدمت من شجنى
شابت نواصي من وجدى فوا أسفى
والهف نفسي حصون البين عامرة
يالائى كم بهذا اللوم تزعجنى
لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا
فى ربع أنسى الذى حل الشباب به
كم قد عهدت بهاتيك المعاهد من
وكم نقضت لنا بالحى آونة
لم أدر حال النوى حتى علقت به
حتى مدهرى على ذا الهون تمسكنى

اقسمت لولا رجاء القرب يسعفنى
لكدت اقضى بها نحبي ولا عجب
يا حيرة الحي قلبى بعد بعدكم
يمضى الزمان عليه وهو ملتزم
باق على العهد راع للذمام فما
فان يرانى سقامى أو نأى رشدى
وان بكت مقلتى بعد الفراق دماً

وله قدس سره فى صدر كتابه :

سلام عليكم لارى العيش والنوى
هل البين الا شرداء اذا اعترى

وله قدس الله روحه :

سقونى فى الهوى كاساً
فلى فسى مهجتى اصل

وله قدس الله روحه :

قد كنت أحسب قلبى قبل مارحلوا
ومن بقائى وقد بانواتيين لسى

وله قدس الله روحه :

عرج على الاحباب ياذا الحادى
وقل الكئيب لبعدهم غادرتيه
ذا مقلة اجفانها قد كحلت
ويقول من ظمأ به واحسرتى
بعدت ديار أحبتى قلنا بهم

فكلما مست بالاشواق أحيانى
كم أهلك الوجد من شيب وشبان
فى حيرة بين أوصاب فاشجان
بعجبكم لم يدنسه بسلوان
يسوم عهدكم يوماً بنسيان
فلا عج الشوق او هانى والهانى
فمن تذكركم يا خير جيران

يجاذبنا ثوب الحياة يطيب
فليس له غير اللقاء طيب

معانى حسنهم راحه
لوجد اين شراحه

مبرءاً ويحه من قسوة الناس
انا سواء وانى مثلهم قاسى

انبههم انى على الميعاد
كالميت ملقى بين اهل البادى
بعد التفريق والقلا بسهاد
حتى متى يروى غليل الصادى
قدح الزناد مسعر بفؤادى

ولقد نذرت صيام يوم لقاتهم
روحي الفدا لاجبة من وصلهم
اشكوا الزمان واهله فكأنما
لكمنى متمسك بهدايتي
اهل النبوة والرسالة والهدى
أعنى النبي المصطفى المبعوث من
الطاهر الحبر الامام المرتضى
والبضعة الزهراء والحسين سا
ومحمد وبجعفر وبكاظم
والعسكري ونجله المهدي من
تنجوا اذا وضع الكتاب ولا نرى
يا آل احمد حبيكم لى منهج
أرجو به عند النزول بحفرتي
وله قدس الله روحه :

صد دلالاتى واثنتى معرضاً
لئن ابى عن ان نراه فقد

وله قدس الله روحه :

اختلاف الاصحاب فى محتى
فقبل طول النساى والبعد عين
وقيل لابل صدغه لم يزل
وقيل سهماً لحظه أذرننا
وقيل ضعف الطرف والخصر اذ

مع انه من أكبر الاعياد
ذهب الزمان وما بلغت مرادى
خلق الزمان واهله لعتادى
لولاء اصحاب الكسا الامجاد
للخلق بعد الشرك والاحاد
ام القرى بالحق للارشاد
زوج البتول اخا النبي الهادى
دات الورى فيهم وبالسجاد
ثم الرضا ومحمد والهادى
نرجوه يروى غلة الاكباد
نفعياً من الاموال والاولاد
خلف عن الاباء والاجداد
انساً وذخري انتم لمعادى

فأرسل الصدغ على خاله
انبأنا المرسل عن حاله

وما الذى أوجب لى البلوى
نيل المنى من وصل من اهوى
بالسحر يرمى القلب بالاسوا
لم يخطئا من جدى عضوا
عليه قلب الصب لا يقوى

وقيل بل كل له مدخل فيها وعندى انه أقوى
 اقول : انى اکتفیت بهذا القدر من شعره قدس الله روحه خوف الاطالة ،
 ومن اراد الاطلاع على غيره طلبه من ديوانه .
 وسمعت من بعض مشائخنا وغيرهم انه لما حج كان يقول لاصحابه نرجسو
 من الله سبحانه ان نرى صاحب الامر عليه السلام فانه يحج في كل سنة ، فلما
 وقف بعرفة امر أصحابه ان يخرجوا من الخيمة ليمتفرغ لادعية عرفة ويجلسوا
 خارجها مشغولين بالدعاء ، فبينما هو جالس اذ دخل عليه رجل لا يعرفه ، فسلم
 وجلس قال : فبهت منه ولم أقدر على الكلام ، فكلمنى بكلام نقل لى ولا يحضرنى
 الان وقام ، فلما قام وخرج خطر ببالى ما كنت رجوته ووقمت مسرعاً فلم أره وسألت
 اصحابى قالوا : ما رأينا احداً دخل عليك . وهذا معنى ما سمعته والله اعلم .

[ترجمة الشيخ محمد العاملى]

وأما والدي الشيخ محمد قدس الله روحه فقد كان عالماً عاملاً وفاضلاً كاملاً
 وورعاً عادلاً وطاهراً زكياً وعابداً تقيماً وزاهداً رضيعاً يفر من الدنيا وأهلها فرارك
 من الاسد ويتجنب الشبهات وذوياً فلا يركن منهم الى أحد ، جمع بين جيد
 المحافظة والذكاء حتى كان يكاد لا ينسى ما رأى . وحاز من الفكر الدقيق والغور
 فى المسائل العميق ما اذا أرسله لم يصل الى حد ومنتهى .

كانت افعاله منوطة بقصد القرية وأقواله مربوطة بمراعاة ما لا يخالف فيه
 خالقه وربّه ، صرف عمره فى التصنيف والعبادة والتدريس والافادة والاستفادة .
 كان اشتغاله أولاً عند والده والسيد محمد قدس الله روحيهما ، فقرأ عليهما
 وأخذ عنهما الفقه والحديث والاصول وغير ذلك من العلوم ، وصار له معهما
 أبحاث شريفة يتعرض لذكرها فى مصنفاته ، ومما قرأ المنتقى والمعالم وشرح

الشرائع بتمامه عند والده والمدارك بتمامه وما كتبه السيد محمد على المختصر
النافع ، وكتب غالب ما قرأه من ذلك بخطه ولهما عليها بلاغات واجازات وكذا
الاستبصار .

ولما انتقلا الى رحمة الله ورضوانه بقي مدة مشغلا بالمطالعة والتدريس ،
ثم سافر الى مكة المشرفة وجاور بها سنين اظنها خمساً ، وكان اذ ذاك بمكة
مرزا محمد الاستر ابادي رحمه الله وكان بينهما اختصاص زائد ومحبة وافية ، وقابل
عنده بعض الحديث وكان يفيد اكثر مما يستفيد وهذب له كتاب الرجال الكبير
وبوبه احسن تبويب ورتبه احسن ترتيب وكتبه بخطه .

ثم رجع الى البلاد واقام بها مدة قليلة وسافر الى العراق خوفاً وفرقاً
وفراراً ممن نصبوا له العداوة حسداً منهم وحنقاً والجمال مظنة للحسد وصاحب
الكمال لا يكاد يصفو عيشه من الضيق والنكد ، واقام بكر بلاء مدة طويلة وقرأ
عنده جماعة من العرب والعجم في علوم شتى خصوصاً الحديث والفقه والاصول .
وكان مع التدريس مشغلاً بالتصنيف ، فصنف هناك كتباً يأتي تفصيلها
انشاء الله مضافة الى ما صنفه في البلاد ، وكان يوماً يصلي في كربلاء على السطح
فرماه رجل بسهم فمرتجاه صدره ووقاه الله منه ، فسافر الى مكة المشرفة واقام
بها مدة ثم رجع الى العراق فأقام بها مدة ، ثم عرض له ما يقتضي الخروج
منها فسافر الى مكة وبقي الى ان اختار الله سبحانه له دار البقاء .

وكان وهو في البلاد يذهب الى دمشق ويقيم بها مدة بعد مدة ، واختلط
بفضلاء العامة وصاحبهم وعاشرهم أحسن عشرة وقرأ عندهم في علوم شتى ،
وكانت الشيعة بها تختلف اليه وتستفيد منه ، وكان من جملة من قرأ عليهم رجل
فاضل في علوم العربية والتفسير والاصول اسمه الشيخ شرف الدين الدمشقي ،
وكان يجتمع في درسه خلق كثير رأيتهم انا وشاهدت حلقة درسه وهو طاعن في

السن، وكان اذا جرى بحث فى مجلسه وتكلمم والدي فى مسألة بكلام وبحث معه يعارضه اهل ذلك المجلس عناداً أو لسؤفهم فيقع البحث بينهم والشيخ ساكت ، فاذا انتهى الامر اليه ليحكمم بينهم يقول يا اخوان لا يغير فى وجوه الحسان يعنى به والدي رحمه الله ، فاذا سمعوا هذا سكتوا .

سمعت هذا من شيخنا الشيخ محمد الحرفوشى رحمه الله لانه كان يحضر مجلس درس هذا الشيخ وقرأ على والدي واستفاد منه .

ولو والدي رحمه الله أشعار رائقة تشتمل على مواعظ وحكمم وألغاز ومراسلات بينه وبين فضلاء ذلك العصر من المؤلف والمخالف وغزل ومديح وغيره ، وله مراسلات وانشاءات نثر، وكان مصاحباً للفريقين بحسن الخلق وبسط اليد . ومن جملة احتياطه وتقواه انه بلغه ان بعض اهل العراق لا يخرج الزكاة ، فكان كلما اشترى من القوت شيئاً زكويماً زكاه قبل أن يتصرف فيه ، وأرسل اليه الامير يونس بن الحرفوش رحمه الله الى مكة المشرفة خمسمائة قرش، وكان هذا الرجل له أملاك من زرع وبساتين وغير ذلك يتوقى أن يدخل الحرام فيها ، وارسل اليه معها كتابة مشتملة على آداب وتواضع ، وكان له فيه اعتقاد زائد والتمس منه أن يقبل ذلك وانه من خالص ماله الحلال وقد زكاه وخمسه، فأبى أن يقبل ، فقال له الرسول: ان اهلك وأولادك فى بلاد هذا الرجل وله بك تمام الاعتقاد وله على أولادك وعيالك شفقة زائدة فلا ينبغي أن تجبه بالرد . فقال : ان كان ولا بد من ذلك فابقها عندك واشتر فى هذه السنة بمائة قرش منها شيئاً من العود والقماش وغيره ونرسله اليه على وجه الهدية وهكذا نفعل كل سنة حتى لا يبقى منها شىء ، فأرسل له ذلك تلك السنة وانتقل الى رحمة الله ورضوانه .

وطلبه سلطان ذلك الزمان عفا الله عنه مرة من العراق فأبى ذلك ، وطلبه من مكة المشرفة فأبى ، فبلغه انه يعيد عليه امر الطلب وهكذا صار فانه عين له مبلغاً

لخرج الطريق ، وكان يكتب له ما يتضمن تمام اللطف والتواضع .
وبلغنى انه قيل له اذا لم تقبل الاجابة فاكتب له جواباً فقال : ان كتبت شيئاً
بغير دعاء له كان ذلك غير لائق وان دعوت له فقد نهينا عن مثل ذلك ، فألح
عليه بعض أصحابه وبعد التأمل قال : ورد حديث يتضمن جواز الدعاء لمثله
بالهداية . فكتب له كتابة وكتب فيها من الدعاء هداه الله لا غير .

وأخبرتنى زوجته بنت السيد محمد بن ابى الحسن رحمه الله وأم ولداه انه
لما توفي كن يسمعن عنده تلاوة القرآن طول تلك الليلة . ومما هو مشهور انه
كان طائفاً فجاء رجل واعطاه ورداً من ورود شتى ليست فى تلك البلاد ولا فى
ذلك الاوان ، فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : من هذه الخرابات . ثم أراد أن
يراه بعد ذلك السؤال فلم يره .

ورأيت فى شرحه على الاستبصار وهو عندى الان بخط الشيخ حسين المشغرى
رحمه الله وكان ممن صاحبه واستفاد منه فى مكة المشرفة ما لفظه : انتقل مؤلف
هذا الكتاب وهو الشيخ السعيد الحميد بقية العلماء الماضين وخلف الكملاء
الراسخين ، أعنى شيخنا ومولانا ومن استفدنا من بركاته العلوم الشرعية من
الحديث والفروع والرجال وغيرها الشيخ محمد بن ابن الشهيد الثانى من دار
الغرور الى دار السرور ليلة الاثنين عاشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ثلاثين
من هجرة سيد المرسلين ، وقد سمعت منه قدس الله روحه قبيل انتقاله بأيام
قلائل مشافهة وهو يقول لى : انى انتقل فى هذه الايام عسى الله أن يعينى عليها
وكذا سمعه غيرى وذلك فى مكة المشرفة ودفنناه برد الله مضجعه فى المعلى
قريباً من مزار خديجة الكبرى ، حرره الفقير الى الله الغنى حسين بن الحسن
العاملى المشغرى عامله الله تعالى بلطفه الخفي بالنبي والولى والصاحب الوفي
فى التاريخ المذكور -- انتهى كلام الشيخ حسين رحمه الله بلفظه .

وقال له بعض أصحابه : انه بعد هذا يرسل اليك السلطان على وجه لا
يمكنك الا السفر الى بلاده، فكان يدعو الله سبحانه أنه ان كان يعلم ان هذا الامر
يلزمه وان وفاته خير له بحسب الآخرة ان يتوفاه، وبعد ذلك كان يقول انى انتقل
قريباً وقد استجيب دعائى .

وله مصنفات جليمة دقيقة وتحقيقات عظيمة أنيقة وتدقيقات منيفة رشيقة :
فمنها شرح الاستبصار برزمنه ثلاث مجلدات كبار سلك فيه مسلكاً عجيباً ومنهجاً
غريباً مستوفياً احوال السند والرجال والمتن واللغة على وجه لم يسبق اليه فى
هذا الفن، ومنه يعلم سعة اطلاعه وتتبعه للرجال واحوالهم مما فاق به على اهل
هذا الفن الاعلى والده وجد طاب ثراهما وربما زاد عليهما وذلك كتبه على كتاب
الطهارة والصلاة .

ومنها حاشية على شرح اللمعة مجلدان وصل فيها الى كتاب الصلح ، وله
مع جده وغيره فيها أبحاث طويلة وفوائدها جليمة .

ومنها حاشية دقيقة على أصول معالم الدين لوالده مجلد متوسط .

ومنها حاشية على عبادات من لا يحضره الفقيه مجلد .

ومنها حاشية على تهذيب الحديث مجلد .

ومنها شرح اثنى عشرية والده مجلد ، وهو شرح مبسوط استوفى فيه
ما يليق به .

ومنها حاشية على مختلف الشيعة ذهبت فيما ذهب من الكتب .

ومنها حاشية على مدارك السيد محمد رحمه الله سوى الحواشى التى علقها
على حاشية المدارك الذى كتبه وقرأه على مصنفه ذهبت ايضاً .

ومنها حاشية على المطول شرح التلخيص ، وهذه ايضاً غير موجودة عندى
وذكرها فى بعض فوائده .

ومنها كتاب روضة الخواطر ونزهة النواظر رأيت منه المجلد الثاني والثالث، وهو كتاب مشتمل على فوائد ومسائل وأشعار له ولغيره وحكم وغيرها ملتقطة من كتب شتى .

ومنها الرسالة المتقدمة في هذا الكتاب في المفاخرة بين الغنى والفقر .

ومنها رسالة في تزكية الراوي .

ومنها رسالة في التسليم في الصلاة حقق فيها ما ترجح عنده .

ومنها رسالة في التسييح والفاحة فيما عدا الركعتين الأولتين وترجيح ما

ترجح عنده من اختيار التسييح .

ومنها كتاب مشتمل على مسائل وبعض أحاديث من الكافي نقلتها في كتاب

الدر المنظوم وفيه فوائد متفرقة .

ومنها كتاب نقل فيه مسائل من كتب شتى وفوائد كذلك .

ومنها كتاب مشتمل على اشعار له ولغيره ومراسلات بينه وبين من عاصره .

ومنها كتاب جامع لاكثر اشعاره مشتمل على مواعظ ونصائح وحكم ومراثي

وألغاز ومدائح ومراسلات شعرية بينه وبين شعراء اهل العصر واجوبة منه لهم

في المدائح والألغاز وغيرها ، وهذا كان عندي وذهب فيما ذهب .

ولقد كان رحمه الله جيد الشعر كثير النظم سريعه يشتمل شعره على معان دقيقة

وألفاظ رشيقة ومواعظ شريفة وفوائد منيفة ، ولم يكن الان يحضرني من شعره

الا القليل النزر، فمما هو حاضر قوله يرثي شيخه السيد محمد رة :

صحبته الشجا مادمت في العمر باقيا	وطلقت ايام السها والليالي
وفلت عرى صبري مدى الوجد	سرورى وأمست الى المنايا امانيا
وغنى تجافى صفو عيشي كما غدا	يناطر منى الناظر السحب باكيا
ونومي نأى من حين امسى مسامري	عظيم جوى قد أرسل الدمع جاريا

ولم يبق منى السقم الابقية
فلى ضر ايوب واحزان آدم
وكم فى فؤادى من فم الفكر لسعة
وقد قل عندي كل ماصرت واجداً
فتى زانه فى الدهر فضيل وسؤدد
حليم كريم شرف العصر شأنه
هو السيد المولى الذى تم بدره
مضى فاكنت ثوباً من الحزن بعده
وشقت عليه الشمس جيباً واعلنت
وكادت به الاطواد تعفو رسومها
وكم للمعانى ماتم حين شاهدت
وللفقه نوح يترك الصلداً ذابياً
فويح المنايا حيث لم ترع قدره
ولله رزه جبل حتى لقد غدا
فقد تابه النور الذى لم يزل به
امام بكاه الغيث اذ صار فى الورى
لقد كان شمس الدين مغنى وبدره
فهل من معز للعلى فى مصابه
وهل مخبر للخطب من أم بالردى
ومن الليتامى بعد فقدان كامل
فلا خير فى الدنيا اذا لم يدم بها
وهيات ان تصفو حياة لطالب

على هلكها قد أصبح الخطب واليا
وبى فرط وجد غادر الجسم باليا
لها لم أجد مادمت فى العمر راقيا
بفقد الذى أشجى الهدى والمعاليها
الى ان غدا فوق السماكين راقيا
كما شرفت منه الايادى الاياديا
فأضحى الى نهج الكرامات هاديا
ليالى كان العيش فيهن صافيا
ببوح الاسى والبدر قد صار خافيا
بما حملت والبحر قد بات شاكيا
سباسبها قد أفقرت والقيافيا
كما سال دمع الحق يحكى الغواديا
وشلت يمين الخطب اذ صار راميا
به كل ذى حزن لشكواه ناسيا
طريق الهدى للناس فى الدهر باديا
شقيقاً له والماء قد عاد صاديا
كما كان فيه مشرب الفضل صافيا
بفقد جليل كان فى العسر كافيا
فقد كان حين الرمى لاشك ساهيا
كفيل ومن امسى عن النكر ناهيا
سرور لما يأت ما كان ماضيها
وللدهر احوال تشيب النواصيها

وما نافع الانسان فيه سوى الرضا
وله رحمه الله من قصيدة اولها من الكتاب :

ولدنا على هول نطول بأنفس
فسر اذا ما كان محض غذائنا
نعم شان منا الشان بعد مهذب
كريم رفيع المجد مصدر بغية
تخذناه درعاً للزمان منيعة
نأى البخل عنه حيث كان دعاً
سأنشر فيه طي بعض حقوقه
همام له رب الفضائل خادم
متى رام امرأ أو تخيل موعداً
مديحي له فوق المدايح مثل ما
غروس ابيه دام بعض فنونها
لافنانها الفضل المبين ثمارها
يسير وأهل الارض تحت ركابه
سرور الندامى ذكره ونعوته
له المدح مادام السماك مؤيد
لاطفاله مهد السرور موبد
اتانا كتاب من رقوم يمينه
له عمل الصهبا فى العقل كلما
فهذا الذى احبى السماع و اطرب
اساود مسك فى لجين صحائف

تضييق احتمالاً عند موقعه الاكم
هيبد البرادى حيث لذنا الطعم
همى الشان من اشواقه وسرى السقم
حميد سما فاشتق من فعله الاسم
تقى البأس مافى مثلها نفذ السهم
الى راحتيه البذل واتضح القسم
واذكر فيه ما يقوم به النظم
وبين يديه يسجد البأس والحرم
مضى قبل ان يلقي على فعله الجزم
سما فوق هام النجم وانخفض النجم
وقد سقيت من فيض نعمائه العلم
بيان المعانى فقه تصريفها المعلم
يفيض عليهم من فواضله القسم
على صفحات القلب اثبتها الرقم
واعداؤه فى الارض لازمها الرغم
واطفال من ناواه يخدمها اليتيم
هو الدر القاه الى نحونا اليم
تلاه امر اوشامه الماهر القرم
المحافل لاما احدث الناي والبسم
لملئسوعها تسرى المسرة لا السم

نسبنا به كرب الزمان وأحدث
إشار إلى صدق العهود وصحة
أثار اشتياقاً كامناً لمؤيد
وله رحمه الله في مدح بعض امراء الشيعة وكان شاعراً اذا شعر جسده وقد
مدحه بقصيدة فأجابه بهذه وذلك في اوائل سن الشباب :

جادت بسكت الحيا من مائها الحب
والارض حاكت لها الانواع اطالة
والطير غنت على الافنان من طرب
والجو هبت به ريح الصبا فغدا
واكؤس البشر دارت وهي صافية
والعيش قد حفه صفو فعادله
وراية العدل في الافاق قد نشرت
وعسكر الهم ولى وهو منهزم
والدهر ذو السن بالمدح ناطقة
موسى ابي الجود قد حاز الكمال كما
الوارث المجد والافضال عن سلف
مولى اباد العدا لما الم بهم
لم ترم بالسحر آيات له شهدت
وقد حكاه لدى الهيجاء قسورة
بالجود والعدل قد احبب الانام كما
فالشاة والذئب في مرعاهما اصطحبا

واستبشرت بالحيا الارضون والحقب
اثواب وشى حكمتها الانجم الشهب
فاهتز من لحنها الاغصان والقضب
بعطرها تهتك الاستار والحجب
على الورى فاحتساها والمعجم العرب
نضارة وانقضى الطالب الارب
والجور احشاؤه قدمسها الوصب
وموطن الغم منه دائر خرب
لكامل ذاته الافضال والحسب
يحاز بالسبق فى ميدانه القصب
له كما في البرايا يورث النسب
كأنه مدنشا فى حتفهم سبب
بأنه الان فى فلك العلى قطب
لكن اظفاره الهندية القضب
يحببى الثبات اذا ما عمت السحب
كما به اصطحب الاحسان والادب

ضرباته علة في الحتف كاملة
ان كان موسى له الطاعون معجزة
و لم يشاور سوى نفس مؤيدة
مولى به الحق امسى و هو مبتهج
وقد اتى ساير العافين نائله
به سمت بعلبك الشام وافتخرت
لولم يكن ذكره في النطق ما حسنت
كذاك لولم يكن في بدله ذهب
مولى له البشر داب والسرور فلا
في كل قلب له بالحس منزلة
لو رام حاسده يخفى مكارمه
فما عسى أن يفى مثلى بمدحتـه
لازال في سائر الازمان محتفظاً
ماهب في ساير الاقطار ريبح صبا
وكتبه رحمه الله جواباً لبعض معاصريه عن قصيدة ارسل بما اليه من البحر
والقافية :

اذا اتت لم تكن البيض واليلب
فهلك اعداه من سطواته العجب
في امره ان بدا في نفسه الطلب
لما غدا منه دمع الشرك ينسكب
بذلك الاجر في اخراه يحتمسب
اذ لم تحز مثله مصر ولا حلب
الفاظه وهى مع ذكر له ضرب
حال الندى في الورى لم يكمل الذهب
يلغى له ساعة في عمره غضب
فان نأى ظاهراً معنى له كتب
أبانها الشكر والاشعار والخطب
اذ حط فكرى بذاك العجز والتعب
وعيشه واسع في دهره خصب
وما تداولت الاقلام والكتب
وكتبه رحمه الله جواباً لبعض معاصريه عن قصيدة ارسل بما اليه من البحر

يا خليلي باللطيف الخبير
وبعهد ما بيننا وولا
وبحق الاخا وعيشي هنى
وزمان زهى بكم اذ نعمنا
وبوجد اشجى الفؤاد أمسى
خصصا بالثنا اماماً جليلاً
وبودأضحى لكم في ضميري
ليس ينسى على ممر الدهور
قد خلا صفوه من التكدير
بلقاكم في ظل صفو السرور
ذالهب ضاماه حر السعير
وخليلاً أمسى عديم النظير

حائز السبق جابراً كل كسر	فى المعانى بحسن لفظ نصير
اروع بارع اديب اريب	حازم الرأى فى جميع الامور
حاد عما يشينه بعد ان جاد	بيدل قضى بشأن خطير
ماجرى و ابن الخطيب وقس	ان يقاسوا به وما ابن الخبير
بدر علم عفت به ظلم الجهل	وكالشمس فضله فى الظهور
مفرد فى الانام اذ جمع الفضل	اتفاقاً مع كامل التدبير
لفظه شامل له عدل الجرم	على قدرة الجليل الكبير
هاكشمس الاسلام نظاماً و قصى	بث عذرى لكم عن التقصير
لا برحتم فى نعمة وسرور	ما حدا منشد بركب المسير

وكتب طاب ثراه الى بعض الفضلاء من معاصريه جواب لغز كتب به اليه من هذا البحر والقافية، وقد تقدم شىء فى باب الالغاز من نظم رحمه الله فى رسالته الغنى والفقر :

ما لفؤادى مدى بقائى	قد صار وقفاً على العناء
وما لجسمى حليف سقم	بدابه اليأس من شفائى
و ما لجفنى به سهاد	ارعى به انجم السماء
أمن زمان به استطالت	على البرايا يد القضاء
ام من ثواء على طول	بها اعتبار لكل رائي
ام من غزال رنى بلحظ	اورث قلبى عظيم داء
استغفر الله ليس ضرى	يخفى على الناس مع دوائى
كيف وعنى ناء خليل	رقى الى ذروة العلاء
محمد الحبر من سناه	فى الناس اضحى بلا خفاء
مولى ودادى له حقيق	كما له خالصاً ثنائى

به لقد شيد ركن مجد
 وطالما قد زهت معان
 فيا اماماً له فؤادى
 هاك جواباً لحل لغز
 وهو اسم بنت لدى ملك
 له معان تطول شرحاً
 فمنه وصف يفتح عين
 وساكنوا الخلد فيه اسم
 و ان تزدد فيه كل آن
 هذا ومع حذف عين فعل
 وفيه بحر وفيه حرب

وكتب طاب ثراه لغزاً لبعض فضلاء معاصريه وأرسله اليه وهو فى سليمان:

يا ايها المولى الذى شانته
 الكامل الحبير الذى فضله
 اليك انهى الان ما قد بدا
 ولا تؤاخذنى بذنبى فقد
 وها هو اسم جاء فى لفظه
 وان حذف السدس فاسم لمن
 وحذفك السدسين يبقى به
 مقلوب عجز فيه ان رمته
 وصدرة سل عنه من بعد ان
 أحرفه ست و لكن اذا
 علا على كل مقام وشان
 لديه صعب القول فى الدهر هان
 بخاطرى والقصد منك البيان
 انبأنى حلمكم بالامان
 اسمان غير الاصل فيما استبان
 صاحب خير المخلوق فى كل آن
 اسم لسلطان قريب الزمان
 فعل مسماه يريح الجنان
 تفتحها الفكر يرى بالعيان
 صحفت ذا الاسم تراها ثمان

وان يكن من بعد فيه خفا
وربما تلقاه قد مات من
هذا ولي سدساه واسمى به
وبعد ذا فالسدس في عده
افد فلا زلت لنا باقياً

وله طاب ثراه ملغزاً وارسله الى بعض الفضلاء :

يا ايها المولى الذى فضله
وغاص فى الدأماء مستخرجاً
وافترض اباكر المعاني لها
اللوزعى الالعمي الذى
وحاز بالسبق رهان العلى
ما اسم ثلاثى اتى لاه
مقلوبه غير بعيد اذا
فى البشر ثلاثه بلا شبهة
وعجزه فى الشرق دوماً كما
هذا وان دمت بياناً له
فانظر الى تصحيح مقلوبه
وان يكن من بعد فيه خفاً
فهو اذا فعل اذا رمته
ماضيه قد رق الذى وصله
لا زلت ذا عمر طويل ومن

واقصر على هذا القدر من شعره قدس الله روحه ونور ضريحه حيث ان

هذا الكتاب لايناسبه نقل اكثر من هذا .

وعندى بخط جدي المرحوم المبرور الشيخ حسن قدس الله روحه ما هذا لفظه بعد ذكر مولدولده زين الدين علي: ولد اخوه فخرالدين محمد ابو جعفر وفقهما الله سبحانه لطاعته وهداهما الى الخير وملازمته وأيدهما بالسعدوالاقبال فى جميع الامور وجعلنى فداهما من كل محذور ضحى يوم الاثنين العاشر من الشهر الشريف شعبان عام ثمانين وتسعمائة ، وقدنظمت هذاالتاريخ عشيةالخميس تاسع شهر رجب عام واحد وثمانين وتسعمائة بمشهد الحسين عليه السلام فى هذين البيتين وهما :

احمد ربي الله اذ جاءنى محمد من فيض نعماه

تاريخه لازال مثل اسمه بجوده يسعده الله

انتهى . فظهر من تاريخ مولده ووفاته ان عمره خمسون سنة وثلاثة اشهر قدس الله تربته واعلى فى عليين رتبته .

[ترجمة الشيخ زين الدين العاملى]

اقول : اني احببت ان اذكر نبذة من احوال اخى وشقيقى وقره عينى الشيخ الجليل زين الملة والدين عطر الله مرقده ، فقد كان فاضلاً ذكياً وعالمياً لودعياً وكاملاً رصياً وعابداً تقياً ، اشتغل فى اول امره فى بلادنا على تلامذة ابيه وجده ، ثم سافر الى العراق فى اوقات اقامة والده رحمه الله بها ، وكان يتوقع من والده زيادة عما اظهره له من المحبة وكان اذ ذاك فى سن الشباب ، فسافر الى بلاد العجم ، ولما قدمها انزله المرحوم المبرور الشيخ بهاء الملة والدين العاملى قدس الله روحه فى منزله واكرمه اكراماً تاماً ، وبقي عنده مدة طويلة لا يحضرنى ضبط مقدارها ، وكان فى تلك المدة مشتغلاً عنده قراءة وسماعاً

لمصنفاته وغيرها، وكان يقرأ أيضاً عند غيره من الفضلاء في تلك البلاد في العلوم
الرياضية وغيرها.

ولما انتقل الشيخ بهاء الدين رحمه الله في السنة التي توفي فيها والذي
طاب ثراهما ، وهي سنة ثلاثين بعد الالف سافر الى مكة المشرفة و اقام بهامشغلا
بالمطالعة ، ثم سافرت انا الى مكة المشرفة ورجعت في خدمته الى بلادنا وقرأت
عنده في الاصول والفقه والهيئة ، ثم سافر مرة ثانية الى بلاد العجم لامر اقتضى
ذلك ورجع سريعاً الى البلاد ، و كنت مدة في خدمته أستفيد منه الى أن اتفق
سفري الى العراق ، وله فوائد متفرقة على بعض الكتب وما رأيت له كتاباً ممدوناً
وله شعر رائق في فنون الشعر، فمن شعره قصيدة يرثى بها ولدأ كان لي في جبل
عاملة وانتقل الى جوار الله صغير السن واسمه محمد ، وكان ذا فطرة عجيبة وفطنة
غريبة تشعران بعدم بقائه في هذه الدار الفانية ، وكان يحبه حباً شديداً كما كنت
أحب أخى رحمه الله ويحبني وهي قوله :

هو الدهر لا يلقى لديه سرور	فتأمل صفو العيش فيه غرور
تصاريفه في كل يوم وليسة	بكاسات حتف في بنيه تدور
واحداته تسعى بعين بصيرة	لهدم مباني المجد حين تسير
فكم ثل منها عرش مجد وسؤدد	وهان لها بين الانام خطير
اذا منحت بعد الصباح سرورها	يكون لها قبل المساء سرور
سلوني عن الايام اني بشأنها	لما بلغت مني الخطوب خبير
رمتني برزء فادح جل خطبه	حقيق بارسال الدموع جدير
ففي كبدي نار لتذكار وقعته	يؤججها داعي الاسى وسعير
هو نجم ابني من مطالع سعده	فهطال دمعي ما حبيت عزيز
وخلت بجهل ان دهرى ماملى	ففاجأني بالغدر منه ندير

وغاز سرورى مندغاب محمد
 هلال دهاه الخسف قبل كماله
 تقضت لنا اوقات أنس بقربه
 لبسنا جلابيب الكآبة بعدها
 وصرت حليفاً للسهاد وليس لي
 ولى فى دجى ليلى اذا جن انة
 فليت زمانى حين جارت صروفه
 وليت الكرى من بعده زار مضجعي
 بقلبي وروحي ظاعن جل فقهه
 خلت من معانيه الربوع وافقرت
 نوى مذئوى صفو الحياة وطيبها
 تخذناه للمخطب الكبير ذخيرة
 ولو أنه يفدى بروحي فديته
 وان غاب عن عيني بديع جماله
 على العيش والايام بن بعده العفا
 يعز علينا ان يكون له الثرى
 وان تصبح الاوطان منه خليفة
 وان يتوارى في التراب ولم يكن
 سآبكيه ما حنت اليه جوانحي
 فكل البكا الا عليه سفاهة
 اذا رمت عنه سلوة حال دونها
 سقى جدثاً وارت معانيه تربة

على اني في النائبات صبور
 وغصن طواه الحتف وهو نصير
 قصار وما في حسنهن قصور
 فليس لنا حتى الممات سرور
 سوى فرط اشجانى عليه سمير
 تقطع افلاذ الحشا وزفير
 علي بغير المخطب فيه تجور
 عسى روح انسى في المنام يزور
 صغير وان الرزء فيه كبير
 فلاغرو ان شقت عليه صدور
 فمما لها حتى النشور نشور
 فأودت بها الايام وهو صغير
 وما صنعتها ان القداء حقيير
 فقلبي لديه حيث كان اسير
 فكيف يلد العيش وهو مـرير
 وطاءً وان تعلمو عليه صخور
 وتضرب من دوني عليه ستور
 له من دموعي الهاطلات ظهور
 وكاذ لذكراه الفؤاد يطير
 وكل الاسى الا عليه لزور
 غرام على جيش العرا يغير
 وحياه من غادى الغمام مطير

ومن شعره رحمه الله :

عهد الحبيب وان اطال جفاه
حذراً من الاحى ويخفى داه

ان خنت عهدي ان قلبى لم تخن
لكنه يمدى السلو تجلداً
وله قدس الله روحه :

بحبك عن هواك ولا يحول
واحشائى وافنائى النحول

وحق هواك ما حال المعنى
ولو قطعت بالهجز ان قلبى
وله طاب ثراه :

وشطت اهاليه واقوت معالمه
واضحى لسان الدمع عنا يكالمه

ولما رأينا منزل الحى قد عفا
لبسنا جلايب الكآبة والاسى
وله رحمه الله :

وصبر راحل وهوى مقيم
نهيناها بقربكم يهيم

أو دعكم ولى جسد نحيل
وقلب كلما ذكرت ليالى
وله رحمه الله :

وعاند الدهر فى تفريقنا وقضى
او يمتفى بالتنائى عنكم عوضاً

لا تحسبوننا وان شط المزار بنا
نحول عن منهج الود القديم لكم
وله رحمه الله :

ما راعنا فيها حضور رقيب
فى ظلمة الظلما بياض مشيب
ياتى الصباح بها قبيل غروب
وسواد أحداق لنا وقلوب

سقياً لليلة وصلنا من ليله
وأبيع لى فيها المنى حتى بدا
كادت لفرط تقاصر من طيها
املت او مدت بكل شيبه
ومن شعره رحمه الله :

واحبس الدمع والاشواق تجريه

كم ذا أوارى الجوى والسقم يديه

شابت ذوائب آمالي وما نجحت
ولا هب الوجد في الاحشا يخمده
رفقاً بقلب المعنى في هواك فما
وكيف يقوى على الهجران ذوكبد
صب رماء الهوى في كل مهلكة
ما زال جيش النوى يغزو حشاشته
يا من نأى وله في كل جارحة
هل انت بالقرب بعد اليأس منعطف
فقد تمادى الجوى فينا ورق لنا
فاستخبر الليل عن وجد اكابده
وان سمحتم لا جفاني يزور كرى
عساه يشفى عليلاً بالنوى يثست
وحملوا الريح من انفاسكم ارجا
وله رحمه الله :

الى كم مقاساة النوى و النوائب
و حتى متى سعى على غير طائل
و كم ذا أعانى لوعة بعد لوعة
اما آن للايام انجاز بعض ما
فيصبح روض الانس غصا و نجتني
و يسمح بالعتبي زمانى وينثنى
فقد سئمت اتضاؤنا السير و السرى
و كلفت حمل الدل نفساً ابية

وليل هجرك ما شابت نواصيه
رجا الوصال وداعى الوجد يذكيه
أبقيت بالهجر منه ما يعانيه
جرت لطول التنانى من اماقيه
من الاسى حين ناجته دواعيه
حتى طواه الضنا عن عين رائيه
منى مقام اذا ما شط يدنيه
وراجع من لذيد العيش صافيه
قاسى قلوب العدا ما نقاسيه
فكم نشرت غراماً فى دياجييه
فيطرق الطيف منكم فى مطاويه
منه الاساة و اعيامهم تداويه
يكون للروح روحاً فى مساريه

و تعليل نفس بالامانى الكواذب
وقطع القيا فى بالسرى و السباب
وأصحب من هذا الورى غير صاحب
و عدن به من نيل بعض المآرب
ثمار الامانى من رياض المطالب
به البعض من آماننا غير خائب
و كالت عن الشكوى متون التجائب
تري دون ما حملت ضرب القواضب

وفلت عرى صبرى الجميل واصبحت
واصعب ما القى من الدهر هين
سوى سطوات البين شلت يمينه
غداة افترقنا والجفون قريحة
وصحبي وقوف للوداع كأنما
نحدث عما فى القلوب من الجوى
فهل لكثير شنت البين شمله
فأمسى كئيباً نازح الدار باكياً
بشير يطيب الوصل يحيى بقربه
فيا برق يمم سفح لبنان ناشداً
وقل لهم ذاك الكئيب الذي نأى
مشوق ولولاً ما جنى الدهر لم يكن
له جسد مضمنى من البين ينطوي
يحن اذا ما شام بالشام بارقاً
عساك اذا ما ابت تهدي لمسمعى
أحاديث اشهى فى النفوس على الظما
الى الله اشكو انه القادر الذي
جنايات دهر لا يديم لما جد
ولا نال فيه مطلباً ذو مطالب
فما من مرید وجهه رد خائباً
ومن شعره رحمه الله :

هل من معين فى الهوى أو مسعد

ربوع اصطباري مقفرات الجوانب
وان عد كل من جليل المطالب
وتكديره من كل ورد مشاربى
وليل النوى والبين مرخى الذوائب
يودع كل منهم غير آتب
بدمع يروى ما حل الترب ساكب
وابعد عن اهله والحبائب
حليف الضنا الف الخطوب النوادب
صريعاً رماه البين عن قوس صائب
لقلبى المعنى بين تلك الملاعب
على رغمه عن حبكم غير راغب
الى غيركم يلوى عنان الركائب
ضناه على قلب من الشوق ذائب
فيصبو ولا يصغي الى قول عاتب
احاديث هاتيك الظبا والربائب
من الري او وصل الحسان الكواعب
يرجى لدفع الحادثات النوائب
سروراً ولا يصفو به عيش ناجب
من الناس الاغاله بالسوالب
ولا غلقت أبوابه دون طالب
فلقد فنى صبرى وبساده تجلدي

للوصول عند أحبتي من موعد
كرماً وعوجاً نحو ذاك المعهد
وتعرضاً لظباء ذيباك النسيدي
وضللت عن رشدي هناك ومرشدي
قطعت لجفوته حباك توددي
ظلماً فوظماًي لذلك المورد
حتى كأن وداده لسم يعهد
ظام الى سلسال مرشفه صدي
من فرط لوعته عليه مسهد
الا تنفس عن فؤاد موقد
يطوى الظلوع على عناء مجهد
عن كل مرتبع سواه ومجهد
ومرامي الاقسي وأسنى مقصدي
يسعف بوصلك من قطعت ويسعد
وشفى غليل عواذلي والمسد
من بربه وجفاه أدنى العسود
وحباه صدك كل عيش انكد
تلسف وحر صبابة متوقد
لاييم بعد أو تغير مبعد
يصبو الية ولا تعشق أغيد
ورأى التهتك فيك رأى المهتدي
ولوى المسامع عن مقال مفند

وتطولت مدد الفراق فهل يرى
يا صاحبي قفا بأكتاف الصفا
وتنشدا قلبي بهاتيك الربا
فلقد سلبت هناك أفلاذ الحشا
واستخيرا رشاي لاي جناية
وحرمت رشف برود رائق ريقة
واضاع بالاعراض عهدى والجفا
واستعطفاه على حليف صبابة
يقضي الدجى يرعى النجوم بناظر
ماشام برقاً من ثنيات الصفا
حيران ليس له اليه وسيلة
شغلته لوعته بحيران الصفا
يا منتهى أملي وغاية مطلبي
هلا أعدت زمان وصل أن يعهد
وطويت مانشر الزمان من النوى
فشفيت علة مدنف بئس الاسى
أنساه هجرك انسه وسروره
وقف الغرام به عليك على شفا
مال حال بعدك عن موثيق الهوى
مارام بعدك فى الورى متحسناً
وجد الخلاعة فيك أجمل خلة
فظوى عن اللاحى المعنف كشحه

وطريف حبك عن هواه المتمد
ويروح في أمر الغرام ويغتندي
يصبو اليه ولم يهتم في معهد
بكرى يزور به خيالك مرقدى
وتركت أيامى كليلى الارمد
يوماً سواك ولا ارتوى من سؤدد
ذهب الغرام بها وهجرك من يدى
اسعافه بقبولها أعلى يد
بمنى النفوس وليتها لم تنفد
غير المقال علالة لاتبعدى
عنى وسهم البين غير مسدد
بغنى الزمان وحرها لم يبرد

الهاه ذكرك عن تذكر قومه
يرضى الهوان لديك فى طوع الهوى
لولاك لم يكن الغرام له هوى
فاذا بخلت يطيب وصلك فاسمحي
فلقد جفا بجفاك اجفاني الكرى
لانال منك مرامه من سره
لو كنت املك فيك فاضل مهجة
لو هبتها لمبشرى بك واجداً
سقياً لليلتنا التى فزنا بها
بعدت ولما يبق لى من بعدها
كانت لها مقل الزمان غوافلا
فأحالها جور الليالى حسرة

وكتب رحمه الله جواب لغز كتبه اليه بعض أصحابه : أيها المولى الجليل
والفاضل النبيل المحيى موات الآداب والمجد ومعاهد الشعراء والكتاب ، قد
تشرفت بمطالعة لغزك الرائق وكلامك الفائق ، فوجدته فى اسم أوله من المثات
وثالثه من الاحاد وثانيه من العشرات ، ان نصفت زبر أوله ونقصت منه مضعف
بيناته ساوي عدد عظام الانسان ، وان اشتد عكس مصحفه الى الاوطان دل على
تلاشى احوال السكان ، وان نقصت من ثانيه مضعف ثالثه ساوى مضعف عدد
الابراج ، واذا حل مسماه فى ارض ظهرت عليها آثار الابتهاج ، ان أبقى على
حاله كان غريباً وان صحف طرفاه يصير فارسياً ، وان اضيف الى مضروب زبر
ثالثه فى نفسه بينات أوله ساوى عدد العقول ، وان نصف بينات ثالثه واسقطت
منها زبره ساوت عدد المضروب المنتجة عند أهل المعقول ثانيه من حروف الجر

معدود ونصب الفعل بعده ايضاً معهود ، ان ضعف ثانيه وزيد عليه عدد الاشكال
حصل عدد مجموع الضروب في الحال ، وان قسمته على ثلثه خرج عدد الصحابة
المشهورين عند اهل الجماعات ، وان اضفت الي آخره عقيم ضروب الشكل
الاول ساوى عدد القضايا الموجهات مضعف ثلثه يساوي عدد البسائط ومربعه
يساوي عدد المركبات ، نصف ثانيه كمال ظهوري لسدسه ، وان اضيف
اليه مضعف تاليه كان كما لاشعورياً لخمسه ، وان ربت أحد طرفيه عادل موانع
الصرف ، وان زدت على ذلك بينات الاخر عادل حروف العطف ، وان
نقصت من وسطه مكعب طرفه ساواه ، وان قسم الاول على الثاني خرج عدد
الحروف المهموسة بلا اشتباه ، مربع ثانيه يساوي مربع ثلثه في العدوان
كان التفاوت بينهما فوق الحد ، ان اضعف مربع ثلثه ساوى عدد العوالم وان
نصفت زبر وسطه واسقطت منه بينات طرفه كان بقدر أنواع الخيسار ، وان
زيدت بينات احد طرفيه على الاخر ساوى انواع ترجيح الاخبار ، وان نقصت
من مكعب احد طرفيه مضعف بينات الاخر ساوى علاقات المجاز ، وان زيد على
احد طرفيه مضروب بينات الاخر فيه ساوى أركان حساب الخطائين ، وان زيد
على ذلك سدسه يبلغ مقدار طبقات العين ، مربع أحد طرفيه يساوي ما تجب فيه
الزكاة ، وان نقص منه مضعف بينات الاخر يبقى عدد التكبيرات الافتتاحيات ،
وان زدت على احد طرفيه عدد الاجناس العالية للحميات ساوى عدد الاشياء التي
تحصل بها الزكاة ، ان أسقطت من مضروب ثانيه في ثلثه مضعف بينات اوله
وأضفت اليه عقيم ضروب الشكل الثاني عادل حد الزانية والزاني ، وان اسقطت
احد حروفه وصحفت الباقي كان امرأ بما يدل على الحزن والكآبة ، وان غيرت
التصحيف كان امرأ باظهار الوجد والصبابة ، ان صحفت ذلك الاسم كان تاريخاً
للعام ، وهذا القدر كاف في ايضاح المقام . اتفق انشاؤه في شهر ذي الحجة

الحرام سنة ١٠٣٠ - انتهى كلامه اعلى الله مقامه وبلغه فى الآخرة مرامه بمحمد وآله
صلى الله عليهم .

وله قصيدة مطلعها :

سئمت لقرط تنفلى البيداء وشكت لطول ترحلى الانضاء
ما ان ارى فى الدهر غير مودع ولكم لعمرك فى الوداع عناء
وهى طويلة ولا يحضرنى بقيتها .

وله اخرى مطلعها :

متى يفوز بطيب الوصل مضناكى وقد جعلت التجافى من سجاياكى
لأنت منك مرادى فى الهوى ابداً ان أطرب القلب الا طيب ذكراك
أنت المرام وان عزت مطالبنا لديك ليس يروم القلب الاكى
يا مطلبى فى الورى ماذا عليك اذا أضفت للحسن يوماً بعض حسناكى
والقصيدة طويلة .

وله رحمه الله اشعار غير ما نقلته مشبته فى اماكنها . وكان مولده سنة ١٠٠٩
تسع الف ولا يحضرنى خصوص وقت آخر ، وانتقل الى رحمة الله ورضوانه
فى اليوم التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٦٤ اربع وستين بعد الالف
وكننت اذ ذاك فى مكة المشرفة اجتمعت معه يوم عرفة وبقيت فى خدمته الى ذلك
اليوم من تلك السنة ، ودفن مع والده فى المعلى قدس الله روحه ونور ضريحه
وآخر الصحبة الفراق وآخر العمر الموت، نسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه .
ولقد احببت ان أنقل قصيدته المخمسة يرثى بها الحسين صلوات الله عليه فى
هذا الكتاب ، فانها قصيدة جيدة رقيقة ، وهى قوله طاب ثراه :

سلبت لسوعتى لذيد الرقاد وكستنى ثوب الضنا والسهاد
ورمانى دهرى بسهم العناد وغرامى ما ان له من نقاد
كل يوم وليلة فى ازدياد

لى حزن فى كل آن جديد و عناء يشيب منه الوليد
و التهاب يذوب منه الحديد قدبكى رحمة لى الحالى الحسود

و دموع تسح سح الغوادي

لست ابكى لفقد عصر الشباب وتقضى عهد الهوى والتصايب
و صدود الكواعب الا تراب و تنائى الخليط والاحباب

من سليمى وزينب وسعاد

قد نهانى النهى عن التشيب وادكار الهوى وذكرى الحبيب
و تفرقت للاسى والنحيب مداتى زاجراً نذير المشيب

معلنا بالفنا حين ينادي

بل بكائى لاجل خطب جليل اضرم الحزن فى فؤاد الخليل
ورمى بالعناء قلب البتول و اسال الدموع كل مسيل

و تردى الهدى ثياب الحداد

رزء من قد بكت له الفلوات واقشعرت لموته المكرمات
وهوت من بروجها النيرات و المعالى لفقده قابلات

غاب والله ملجأى وعمادى

فجعة نكست رؤوس الموالى واستباححت حمى الهدى والجلال
ورمت بالقذى عيون الكمال قد اناخت بخير صحب وآل

عتره المصطفى و اهل الايادي

يالها فجعة و خطباً جسمياً اوقعت فى حشا الكليم كلوما
و بقلب الامين حزناً مقيماً و اعادت جسم القسم سقيما

جفته للاسى حليف السهاد

يالها فجعة على الايمان جرعت اهله كؤوس الهوان

وغدا الشرك في اعز مكان ظفرت اهله بنيل الاماني

قائلا قد بلغت اقصى مرادي

لهف نفسي على رهين المحتوف حين امسى نهب القنا و السيوف
ثاوباً جسمه بأرض الطفوف وهو ذو الفضل والمقام المنيف

وسليل الشفيح يوم المعاد

منعوه ورود ماء الفرات وسقوه كأس الفنا والشتات

بعد تقييل اهله والحماة واحاطت به خيول الطغاة

بمواضى الظبا وسمر الصعاد

فبكت حسرة عيون السماء ما زجات دموعها بدماء

بعدهما اظلمت نواحي الفضاء وغدا المجد في اشد عناء

معلناً بالبكاء في كل نادي

وغدا الدين عند ذلك يقول غاب نجم الهدى و حار الدليل

ودهانى خطب فضيغ مهول فلدمعى مدى الزمان همول

آه مما جنت علي الاعادي

غاب بدري وخاب منى الرجاء وتناهى الاسى وعز العزاء

برح الحزن بى وزاد العناء فعلى العيش والزمان العفاء

بعد شمس الهدى ونجم الرشاد

آه مما جنت جيوش ابن سعد حين جاءت لهدم اركان مجدي

باذلات في قصدها كل جهد شاهرات بالبعى سيف التعدي

طمعاً في جوايز ابن زياد

قد اراقت دم الهدى و الرسالة عند ما جردت سيوف الضلالة

باياد تسوق سبى الجلالة سلكت بالعمى سبيل الجهالة

و اضاعت سبل النهى والسداد

هتكوا حرمة النبي الكريم
ورعوا ذمة الدعى اللثيم
فسيصلون حر نار الجحيم
ويجازون بالعذاب المقيم

يوم حشر الارواح والاجساد

واتوا يطلبون من غير عذر
بسيوف الضلال ثارات بسدر
وشروا الدين والرشاد بكفر
فطووا منهج الهدى بعد نشر

و اعدوا للحشر اخبث زاد

وغدا المهر فى الفلاة يجول
حاملا حاله يراه النحول
قائلا و الدموع منه تسيل
زال عزي وفاتنى المأمول

ووهى جانبى وذل قبادي

بعد ما كنت فى مقام الفخار
صائلا صولة الاسود الضواري
فسأبكيه بالدموع الغزار
فى دياجى الظلام والاسحار

جاعلا مدمعى دماء الفؤاد

لهف نفسى لزينب و اساهها
حين جاءت تنعى الحسين أخواها
و تنادي اجدادها و اباها
و هى تذري الدموع لما دهاها

محن قرحت عيون العباد

و احسيناه يا ملاذ العفاة
وسراج الظلام فى المشكلات
وسليل الكرام والطاهرات
و امام الهدى و زين الكفاة

ورجائى فى النايبات الشداد

آثما جنى الزمان العنيد
حين صالت على الموالي العبيد
وغدا السبط وهو فرد وحيد
قد أحاطت به هناك الجنود

بعد فقد الحماية والاجناد

ادركت ثارها امية منسى
بعد ما غاب نور وجهك عنى

ولقد خاب بعد فقدك ظني فالى الله اشتكى فرط حزني

والى المصطفى رفيع العماد

وتداعى عند النزال الرفاق الوداع الوداع حان الفراق

وخيل الفنا عليهم تساق ومياه الحياة منهم تراق

بأكف العناد في كل وادى

فغدوا بين مئخن بالجراح وقتيل بذابلات الرماح

وذبيح بماضيات الصفاح قد ارقيت بهم دما الصلاح

واسير يقاد في الاصفاد

آه واحسرتما لذاك الصريح حين أضحى مذملا بالنجيع

ورموه بكل خطب فضيع واستباحوا حمى الجناب الرفيع

بالعوالى وبالماضى الحداد

فبكته الوحوش والاطيار وشموس الافاق والاقمار

وقفار القلاة والامصار والسماوات دمعها مدرار

لمصاب مفتت الاكباد

وبكى عند ذاك جبرائيل في ملوك السماء واسرافيل

وغدا في العشا ميكائيل ولعرش الاله دمع همول

وتداعت اسي ذرى الاطواد

لو وقت حقه ذو المعقول لبكته مدى الزمان الطويل

وتأسست في رزئه بالبتسول طمعاً في رضى الاله الجليل

وجليل الحياء والاصفاد

وحدانى على البكا والنواح حمل تلك الرؤوس فوق الرماح

بعد تقطيعها ببيض الصفاح فاخفتى عند ذاك ضوء الصباح

وتردى النهار ثوب السواد

ورؤوس السراة أمست هدايا تترامى بها نسول البغايا
صيروها ظلماً أمام السبايا من بنات الرسول ازكى البرايا

وكرام الالباء والاجداد

وعلى الافق كل يوم جديد ومساء يغشى عيون الرقود
حلة صبغها دماء الشهيد نور عين الهدى سراج الوجود

صفوة الله خيرة العباد

ثم ساقوا سلاله الانبياء من ستور الوقار سوق الاماء
عندما ضيعوا حقوق الوفاء واذاعوا العقوق بعد الخفاء

وابانوا ضغائن الاحقاد

ثم ساروا بالسبي سبي الجلال من نساء الحسين والاطفال
فى اسار الهوان والاذلال حاسرات على ظهور الجمال

باديات لاعين الحساد

يقطعون الفجاج والاكام ويؤمون فى المسير الشاما
والمرامى اضححت بهم تترامى بعد ما جرع الحماسة الحماما

وغدوا فى مذلة الانقياد

والموالى تساق سوق العميد فى اسار الهوان بين الوغود
فقدت عزها لفقيد العميد وبراهها السرى وهجر الهجود

ولها مدمع كصوب العهد

لهف نفسى للطاهرات العذارى من بنات البتول تمسى أسارى
فى قيود الهوان تمشى حيارى لو بدت لليهود اوللنصارى

حرمت للاسى لديذ الرقاد

غابت الاسد فاستباح حماها معشر حاولوا بلوغ مداها

وأرادوا ادراك شاءو علاها - ضلة من عقولهم وسفاهها

فأضاعوا عهد حفظ الوداد

أيها النادبون هذ الاوان فانذبو من بكتهم الاكوان

ووحوش القفار والحيتان والمحاريب دمعها هتان

لايرجى لحزنها من نفاذ

وبكتهم مدارس الايات وفروض الصيام والصلوات

وجليل الصلات والصدقات حين أمست لفقدهم عاطلات

من حلاها تسام سوم الكباد

جددوا الحزن كل عاشوراء واندبوا الطيبين اهل الولاء

فلقد جرعوا كؤوس الفناء بعد أن عابنوا اشد العناء

بسيوف الطغاة والاوغاد

كيف ترقى بعدالحسين الدموع ويلذ الكرى لنا والهجوم

وجناب الحسين ذاك الرفيع قد دهاه من العدى ما يروع

وقضى وهو في الهواجرصادى

كيف لا تهجر العيون المناما وبنات الرسول امست هيامى

في فيافي القلاة تشكو الاواما فقدت عزها ثمال الايامى

وغدت بين حاسد ومعادى

مالها مسعد ولا من يعين دأبها النوح والبكا والحنين

نالها بالردى الزمان الخوون قرحت بالبكاء منها الجفون

تترامى بها أيادى البوادى

لو رأت فاطم البتول بنيتها بعد فقدان رهطها وذويها

وطيور الفنا تحوم عليها وسهام المنون تسعى اليها

عن قسى الضلال والالحاد

شغلت بالبكاء والأوصاب عن لذيد الكرى وصافى الشراب
 واقامت مآتماً للمصاب تضرم النار في فؤاد السحاب
 وتبكي عيون كل جماد
 شاركوا في المصاب خير الأنام سيد الرسل والموالي الكرام
 فهو في فجعة واوفى هيام تظفروا بالامان يوم الزحام
 وتسالوا مراتب الأسعاد
 واذكروا ما جرى لال النبي من جنود الدعى وابن الدعى
 فلقد ضيعوا حقوق الوصي واطاعوا الغوى نجل الغوى
 وحكوا في صنيعهم قوم عماد
 يا هداتى يا ساكنى كربلاء والغرى المعطر الأرجاء
 وبقاع البقيع والزوراء وارضى طوس وسامراء
 انتم عدتى ليوم معادى
 عبدكم بالولاء زين الدين قد رأى ان حبكم فرض عين
 مسرف في الذنوب لكن يقينى ان اخلاص ودكم سيقينى
 حر نار السعير يوم التنادى
 وعليكم مدى الزمام سلامى ماغدت نحوكم ركوب الشمام
 وبدا البرق فى دياجى الظلام وهمى بالسحاب جفن الغمام
 وبدا كوكب بسافق بلاد

[ترجمة مؤلف الكتاب]

ورأيت ان اذكر شيئاً من مجمل احوال هذا الفقير المضيق عمره في التضيق
 والتقصير، الراجي من مولاه الكريم الصفح عما جناه والعفو عما كسبت جوارحه

في أولاه يوم لا ينفخ مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يمن عليه بالخاتمة المحسنة وان يتفضل عليه بتبديل سمياته بالمحسنة انه اكرم مجيب ومن داعيه قريب .

وهو انى لما سافر والدى رحمه الله الى العراق كان عمرى اذ ذاك نحو ست سنين ، ووقع على بلادنا فتور عظيم احترق لنا فيه نحو ألف كتاب ، ثم انتقلنا الى كرك نوح عليه السلام وأقمنا بها مدة ، ثم سافر اخى وسني اذ ذاك نحو اثنتى عشرة سنة الى العراق، وكنت اولا اختلف الى المكتب وقرأ القرآن، فختمته فيما يقرب سني فيه من تسع سنين ، وكانت والسدى رحمها الله شديدة الرأفة بى والشفقة علي ، ودائما توصي الذى اقرأ عنده ان لا يضر بنى ولا يهينى، وتتفقد احوالى في اليوم مراراً لذلك .

ثم اشتغلت على من كان من تلامذة جدي ووالدى رحمهما الله وغيرهم ، وهم الشيخ الجليل الفاضل الشيخ نجيب الدين قدس الله روحه وأخى الشيخ زين الدين والسيد الاجل السيد نور الدين والشيخ حسين بن الظهير والشيخ محمد الحرفوشى رحمهم الله جميعاً .

ولما سافر أخى عنى كنت مشغولاً مع صغرى بعيال ونظام الاملاك المخلفة عن آبائى، ومع هذا كنت اشتغل بما يمكننى مع ذلك، وكتبت هناك كتباً متعددة وكنت حريصاً على حفظ الكتب التي بقيت .

ثم سافرت الى مكة المشرفة بعد وفاة والدى رحمه الله ، وذلك فى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين بعد الالف وسني اذ ذاك نحو ست عشرة سنة، وكنت أرى من الهى جل شأنه عناية ولطفاً بى مع صغرى سني و وحدتي ، واتفق لي في ذلك السفر أمور لا تخلو من غرابة :

(منها) انا لما سافرنا من دمشق أول منزل كنت راكباً بغلة وتقدمت مع جماعة

فى اوائل الحاج وجمالنا كانت وراء، وكان لنا رفيق ومعه عبد صغير هندي
وكان معى سكين فوقعت منى واتفق ان عبد ذلك الرجل نام على ظهر الجمل
فوقع فرأى السكين فى ذلك المكان ، فأتى بها الي فى المنزل وكان يعرفها
وذكر القصة .

انا لما وصلنا الى مكان يسمى مبرك الناقة بين جبلين وهناك معبر ضيق لايمكن
فيه المرور الا بقطار أو قطارين ، فتقدمت مع بعض الرفاق راكبين بغالا ونزلنا
فى مكان ننتظر الى ان يفرغ الحاج من ذلك المضيق، فأبطأ ذلك علينا فعزم رفاقنا
على التقدم الى بلد يقال له العلا ، فسرت معهم ونسيت فى ذلك المكان بعض
الاشياء التى صحبتها فى السفر ، ومن قاعدتهم هناك أنه كلما تعدى ذلك المكان
جماعة يبركون الجمال الى أن يجتمع جميع الحاج ثم يسرون ، فاتفق مناخ
جمالنا ليلا فى ذلك المكان ولما جاؤا الى المنزل اتوا بما نسيته .

(ومنها) ان الشيخ محمد الحر سلمه الله كان حاجاً تلك السنة وحاج الشام
قسمان مقاطرية وشعارة يمشون عن يمين الحاج وشماله ووراءه، فوقع منى شىء
من آلات السفر فى الليل ، فنزل الشيخ محمد يمشى وهو مع الشعارة فلقى ما
كان ضاع منى وأتى به الي .

(ومنها) اني لما دخلت مكة المشرفة سبقت الحاج أنا واثنان راكبين بغالا من
عسفان، فلما وصلنا الى مكة المشرفة ذهبنا الى الحرم لطواف العمرة وانا وحدي،
فدرت اولاحول البيت الحرام حتى عرفت الاماكن المعهودة التى ينبغى معرفتها
وقت الطواف ، ثم أردت ان شرع فى الطواف واذا رجل ممن هناك يطوفون
الناس جاء لي وقال انا طوفك ، فقلت له انا رجل من اهل الشام وسبقت الحاج
الشامى وما معى شىء من الدراهم أعطيك اياه ولا عندى شىء سوى ماانا محرم
به فان كنت ترضى أن تعلمنى بغير شىء والافاتركنى أطوف لنفسى ، فجعل

ينازعني ويتكلم بكلام خشن ، فبينما نحن في ذلك اذ أقبل رجل فاجذب ذلك وقال له أتركه يطوف لنفسه انت تريد تعلم هذا الطواف ، هذا وأبوه من قبله يعلمان مائة مثلك الطواف أو قال معنى هذا اتركه يطوف ، فتركني وطففت كما اردت .

(ومنها) انا لما رجعنا من مكة المشرفة وكان المنزل بداراً وهي ما بين مكة والمدينة، فلما طلع الصبح وكان معي رفيق واحدراكب حماراً، فنزلنا في فسحة بين قطارات الحاج ، فتوضأنا وصلينا الصبح وكان معي سيف ووضعته حال الصلاة على الارض والحاج ماش عن يمين ذلك المكان ويساره، فركبنا ونسيت السيف وكان بيننا وبين المنزل ما يقرب من نصف فرسخ، فوصلنا وضررنا الخيمة فخطر ببالي ذلك الوقت السيف ، فقلت لرفيقي تعال نركب ونذهب الى ذلك المكان فان رأينا السيف والا تفرجنا على الحاج ورجعنا ، فقال هذا عبث، قلت اركب معي فركبنا وسرنا حتى وصلنا الى قريب ذلك المكان فرأيت السيف من بعد مكانه والحاج ماش من الجهتين، فقلت له أسرع بنا لئلا يستبقنا احداليه ، فأسرعنا وأخذنا السيف والناس ينظرون الينا ويتعجبون من ذلك .

واتفق لي مرة أني في أوائل الامر كنت أدرس شرح اللمعة ، فمرت عبارة فيها لصدوقان، فسألني من يقرأ الصدوقان من هما فقلت له محمد بن بابويه وأخوه وكان ذلك غلطاً مني ، فرأيت تلك الليلة في المنام جدي السبرور الشهيد الثاني وهو يقول لي يا ولدي الصدوقان محمد وابوه .

وكنت سمعت سعيماً زائداً على ان يرسل الي ما بقي من الكتب في بلادنا ، فما اتفق ذلك على طريق بغداد ، فأرسلت الى مكة وبقيت مدة بسبب انقطاع الحاج فبدلت لرجل مهما أراد مني ان اتى بها و كنت في انتظار خبرياً تمني لما قرب مجيء الحاج ، فرأيت ليلة في المنام ان رجلاً جاء الي ومعها طبق وفيه صدر

آدمى مع اضلاعه ، فسألت منه ما هذا؟ فقال هذا صدر الشيخ زين الدين جدك،
وفي يوم تلك الليلة وصل الي خبر بأن ذاك أتى بالكتب وكان فيها كثير بغير جلود
وبعضها لحقه تلف من كثرة النقل والتحويل .

ورأيت مرة في المنام وجماعة آخذوه ، فسألت الى اين يأخذونه ؟ فقالوا
يريدون قتله ، فقلت قاتلهم الله ما كفاهم القتل الاول حتى يقتلوه مرة أخرى ،
وبعد ايام جاءنى خبر أن اكثر الكتب التى بقيت في البلاد تلفت ونهبت . وكل
هذا من كراماته قدس الله روحه .

ومن غريب ما اتفق لى انى لما عزمت على السفر من اصفهان الى مكة المشرفة
بعث بعض كتب كانت عندى خفية من غير أن تشتهر ذلك، فجاءنى في اليوم الثانى
رجل خصي اسمه خواجه التفات وكان من توابع زينب بكم بنت الشاه طهماس
رحمهما الله ، فقال أريد أن تخبرنى هل بعث شيئاً من كتبك في هذه الايام ،
فقلت له أخبرنى عن سبب سؤالك حتى اخبرك . فقال : أرسلت الي البكم في
هذا الوقت تطلبنى ، فلما ذهبت اليها قالت في هذه البلدة رجل اسمه الشيخ على
من اولاد الشيخ زين الدين؟ فقلت : نعم . فقالت: رأيت هذه الليلة في المنام الشاه
عباس وهو يقول مامعناه ان هذا الرجل يجىء الى بلادنا وكنا نطلب اباه فلم يقبلوا
أن يجيئوا الى عندنا وتصل حاله الى أن يبيع كتبه وانتم موجودون ، فلما سمعت
منه هذا أخبرته بالواقع وهو أنى بعث الكتب من غير اظهار لذلك .

ولما سافرت الى البلاد المعلومه لامور اقتضت ذلك لاعلى وجه الجبر واكلت
من مشبهاتها وسلكت غير ما سلكه آبائى رحمهم الله في ذلك بان عنى ذلك الفيض
والصلاح الذى كان في اوائل السن ، ومن تساوى يومه انه لمغبون فكيف
بترجيح الاول على الاخر ، فكنت ككركى تصقر فانكسرت رجل الدنيا ورجل
الاخرة ، والمرجو من عفو الله وكرمه حسن المخاتمة .

ولما توجهت مرة ثانية من تلك البلاد الى مكة المشرفة اتفقت لى أشياء
ببركة الحج والزيارة .

(منها) انه بلغنى ما بين اصفهان والبصرة أن رجلا من بلادنا مع الحاج قال:
انا مسافر الى مكة بقصد أذى فلان في مكة واشاعة أنه كان ببلاد العجم وانه كان
يفعل كذا وكذا، فضاق صدري لذلك، فلما كنا ببلد يسمى بالدورق كنت جالسا في
الخيمة اذ مر علي فناديته وقلت له: بلغنى انك قلت كذا وكذا. فقال : نعم وسترى
ما أفعل . فقلت : موجب هذا ما هو ؟ فقال كلاماً حاصله : انك ما أعطيتنى شيئاً
في اصفهان وانا أريد افعل بك هذا. فقلت : اسأل الله ان يدفع عني شرك ، فلما
قام من عندي وذهب الى مكانه حم وبعد أيام قليلة وصل الى البصرة وتوفي بها
وكفى الله شره .

ووقع لي نحو ذلك في مكة ومنى من رجلين وكان ذلك لو لم يدفعه الله عنى
موجباً لتلف النفس بل ربما سرى الى تلف أنفس ، ودفع الله ذلك ونقل ذلك
يحوج الى التطويل ، وكان ذلك من بركة حج بيت الله الحرام .

(ومنها) ما اتفق لي في ذلك السفر ، وهو انا لما خرجنا من بغداد متوجهين
الى اصفهان كان معنا ثلاث جوارى وحرم غيرهن ، فوصلنا الى منزل يقال له
بعقوبا وبه رجل من توابع الحاكم لثيم معاند يأخذ على كل من الجارية والعبد
أشرفيين وعلى الجمل أربع عباسيات سوى الاهانة والضرب ، فعبرنا هناك شطاً وهو
جالس على شاطئه ، وكلمنا طلع امرأة من السفينة ينظر الى يدها ليعلم أنها جارية ام لا
فركبنا فى السفينة فلما قربنا من الشاطئ جاء اليه رجل بشيء فقام مغضباً وركض
ويده العصا ، فخرجنا من السفينة وضر بنا الخيمة ووضعنا الجوارى وراء الكجوات ،
فأرسل امرأة تتفحص في الخيام وتنظر ، وكنت خارجاً فلما جئت أخبرونى
بأن امرأة كشفت طرف الخيمة ورأت جارية واحدة ثم بعد ساعة جاء ذلك الرجل
وقال : كم عندكم جارية ؟ قلنا : واحدة ، ثم راح الى خيمة أخرى وفيها امرأة

وعندها عبد فقالت له : ان كنت ادلك على ثلاث جوارى ماأخذ منى شيئاً على
عبدى . قال : نعم . قالت له : في تلك الخيمة - وأشارت الى خيمتنا وارسلت
زوجها معه يدله عليها ، ولما قلنا له عندنا واحدة خفنا ان يظهر الخلاف ويحصل
منه اهانة عظيمة ، فقلت للجمل : حمل كجائتين على جمل ونركب مع كل واحدة
من حرمنا جارية والايحصل علينا وعليك ضرر عظيم ، فقبل ذلك ووضعناهما مع
امرأتين ، فجاء ذاك الرجل مع زوج المرأة فمارأى الا واحدة ، فضرب زوجها
ضرباً عنيفاً وذهب الى عندها واخذ العبد وقال : علي تكذابين . فقالت له : قد
أركبوها على جمل مع امرأتين وارسلوا الجمل وحده أو لائم شرعوا في تحميل
الباقى ، فغضب وطلب فرسه وركبه وركضه ومر على ذلك الجمل وأعماه الله
عنه وسار نحو فرسخ ووصل الى من هناك من القافلة وفتش جميع الخيام فما
رأى شيئاً ، فرجع ومر على ذلك الجمل وهو ماش قبل أن يصل الى القافلة
مرة أخرى وأعماه الله عنه ، فرجع الى المرأة واخذ العبد وبعد تعب زائد
اخذ منها نحو عشرة قروش جريمة حتى اعطاها العبد ، وكانت اماكن الاخذ
في كل منزل الى الحدود بغداد وتنق لنا نحو ذلك ولم نخسر شيئاً بتوفيق الله
سبحانه .

ولما وصلنا الى شهربان كانوا يأتون ومعهم امرأة يدخلونها الخيام ، فلما
وصلوا الى خيمتنا قالوا هذه اول ما ابتدانا بها ولم يكن دخلها منهم احد والباقي
نحو هذا .

وهذا الحقيرمضت اكثر أوقاته في بلاد الغربية مكدر العيش محزون القلب
ولم يحصل على شىء سوى الندم ، وكنت مع هذا مشغولاً بالمطالعة والبحث
والتدريس ولم يكن عندى كتب احتاج اليها ، فكتبت مما احتاج اليه ما يزيد عن
سبعين كتاباً .

واتفقت لى برهة من الزمان كتبت فيها حاشية على شرح اللمعة مجلدين ،
وكنت شرعت فى شرح على أصول الكافى ظهر منه مجلد الى البياض ولم يتفق
تبييض بقية المسودات ، وجمعت هذا الكتاب الذي اكتب فيه الان ، وكتبت
كتاباً فى الرد على من شنع على علماء الشيعة من المتصوفة الحائذين عن طريق
علمائنا وانتصر لملاحدة المتصوفة سميته السهام المارقة من أغراض الزنادقة ،
وكتبت رسالة فى الرد على ملا محمد امين الاسترابادي وتشنيعه على علمائنا
وتكفيره اياهم من غير مادة له تقتضي معرفة مرادهم وهى فى اوراق متفرقة لسم
اجمعها بعد ، وحواشى على معالم جدى رحمه الله لم يتفق ترتيبها ، وحواشى على
من لا يحضره الفقيه كذلك ، وكتبت كتاباً جمعت فيه رسائل كثيرة فى فنون شتى
وفوائد وأشعاراً وحل احاديث وغير ذلك يقرب من اربعين الف بيت ، ومثله
كتاب آخر يقرب من اثنى عشر الف بيت ، ومثله كتاب آخر يقرب من خمسة
الالف بيت ومجاميع آخر .

وكان مولدى فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة بعد الالف .
وجدتي ام والدتي بنت المرحوم المحقق الشيخ على بن عبد العالى
الكركى قدس الله روحه ، ادركتها وهى طاعنة فى السن وانا ابن نحو تسع سنين
وقت وفاتها ، وربما قاربت من التسعين فما زاد ، وكانت على غاية من الصلاح
والتقوى والعبادة ، أوقاتنا مصروفة فى تلاوة القرآن والادعية وغيرها ، رحمها
الله تعالى وكانت بى رؤوفة جداً وعلي عطوفة .

ومما شجاني فى هذه البلاد وحرم اجفانى لذيد الرقاد واضرم النار فى
احشائى وزاد مع ذل الاغتراب محنتى وحزنى وبلائى ، وجرعنى غصبا تضيق
عن حملها الجبال ويتصرم لها القوى من حيال الاحتيال ، وسقانى كأس مصبرة
واظلم ليلتى بعد ان كانت مقمرة ، وأذوى غصنى بعد النضارة وأورثنى حسرة

تتعنت لهاصم الحجارة وأذاب جليد جلدي واذكى النار في فؤادي وكبدي
 وشفى في مبغضى وحسدي وكدر مصادري ومواردي ، فرجعت خائباً من مطالبى
 ومقاصدى ، وهد القوى منى وكانت ضعيفة فلم يبق منها في الحقيقة الا اسم ،
 وأعقبنى احوالاً كضرب من الجنون لابل هي الجنون ، وجرت مدامعى ليلا ونهاراً
 وعشيات وأسحاراً عيوناً من العيون ، فصارت الدموع عيونها العيون والعيون
 عيونها الدموع ، وحرمت لذة القرار والهجوع ، وجفا أجفانى الوسن وصار
 حليفى ونديمى الوجد والنوح والحزن ، فراق ولد كان قرّة عينى وثمرة فؤادى
 وافلاذ كبدي وسواد ناظري ونتيجة عمري وفذلكة دهري وانيس وحشتى وجليس
 وحدتى ومسكن فؤادي وذخيرتى من طارفى وتلاذى :

ليس ما بى من السقام عجبياً عجبى من فراقه وبقائى
 لو كنت ممن يفتدى لفتته بسواد عينى بل سواد ضمائري

فارقته فالعين عين بعده والقلب قلب ، فالعين لا يرقى لها غرب كان العين
 غرب ، ما كنت أحسب اننى ابقى وظهري بعد احبابى اجب .

والله ما طلعت شمس ولا غربت الا وأنت منى قلبى ووسواسى
 ولا جلست الى قوم أحدثهم الا وأنت حديثى بين جلاسى
 ولا تنفست محزوناً ولا فرحاً الا وذكرك مقرون بأنفاسى
 ولا هممت بشرب الماء من عطش الا رأيت خيالا منك فى الكاس
 يا سادتى هل يخطرن ببالكم من ليس يخطر غيركم فى باله
 حاشاكم ان تغفلوا عن حال من هو غافل فى حبكم عن حاله
 يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الاسحار
 عجل الخسوف عليه قبل أوانه فعلاه قبل مظنة الابدار
 وهلال أيام مضى لم يكتمل بدرأ ولم يمهل لوقت سرار

ابكيه ثم اقول معتذراً له وفقت حيث تركت الام دار
جاورت اعدائي وجاور ربه شتان بين جواره و جـواري
كان لم يمت حي سواه ولم تنح على احد الا عليه النوائح
وكان ابتداء الذي بي مجنوناً فلا تمكن أضحى جنوباً ، وكنت اظن الهوى
هيناً فلا قيت منه عذاباً مهيناً ، وكيف لا يذهب لبي ويشتعل من نار فراقه كبدي
وقلبي ولم أره من أول عمره الى آخره يميل الى لعب أو ينظر الى غير أدب ،
لم يرفع طرفه الي اذا كلمني ويتلجلج لسانه بذلك حتى لا أكاد أفهم ما يريد ،
ولم يطلب مني شيئاً بغير واسطة ، وكان منذ كان سنه نحو عشر سنين معتاداً لقيام
الليل وصلاته وينبه النائمين للصلاة ، ويحيى جميع ليالي شهر رمضان بالعبادة
والتلاوة والدعاء ، ولا يشكو الى احد مع كثرة عياله وتقتيري عليه في الجملة في
الخرج ليعتاد القناعة ، وهذا مما اذا تذكرته كدت اذوب ندماً واسفاً ، ان جلس
مع أحد لم يبتده بالكلام حياءً وحجاباً ، عمر نحواً من اثنتين وعشرين سنة
وقرأ في هذه المدة القصيرة من الفقه علي الالفية ومختصر النافع والشرائع وكتبهما
بخطه وشرح اللمعة وكتب حواشيه التي كتبتها عليه مفردة ومدونة ، ومن النحو
شرح الاجرومية وشرح القطر وشرح الفية ابن مالك وكتبهما بخطه ، وقرأ
مغنى اللبيب على غيري ، وقرأ علي من الحديث من لا يحضره الفقيه بتمامه
وكتب حواشيه التي علقها عليه وسمع طرفاً من التهذيب ، وقرأ علي من الرجال
الخلاصة وكتاب الدراية وكتبهما بخطه ومعالم الدين بعضها عندي وبعضها عند
غيري وشرح الشمسية ومختصر التلخيص واكثر المطول وشرح التجريد و خلاصة
الحساب ورسائل اخرى في الحساب وتشريح الافلاك وطرفاً من شرح الجعيني
في الهيئة وقرأ اكثر تحرير اقليدس وكتبه بخط حسن وكان يثبت اشكاله من
أول مرة ، وشرع في تفسير القاضي مع كتابته ، وقرأ حاشية الخطائي ووصل

في حسن الخط الى مرتبة عالية ، وكان يجداول الكتاب من غير معلم ويجلده من غير معلم ، فاذا رأته اقول له يا ولدي لاي شيء تخرج هذا الخرج على هذا فيقول انا جلده و جدولته ، وراآنى اعمل وقت ساعة فتعبت في تصحيحها فرأيته عمل ساعة وساعتين وثلاثاً واربعاً وثمانياً ، وكان اذا رأى شيئاً هياً اسباب عمله وعمله .

ولما كان ابن نحو ثمان سنين سألني فقال : الولد قبل البلوغ يدخل الجنة؟ قلت : نعم. فقال : ادع الله أن يميّتي وانا صغير لادخل الجنة. قلت له : والكبير اذا كان صالحاً يدخل الجنة ايضاً .

ووصل الى هذا السن ولم يجتر ان يسألني في اثناء الدرس حياء ، لكنى كنت اذا رأيت وجهه يتقبض عند التقرير أراجع المسألة فأرى اني قورتهاعلى غير وجهها او انه لم يفهمها فأعيد تقريرها على غير ذلك الوجه أو عليه مرة اخرى فاذا فهمها تهلل وجهه .

و كنت أظن اولاً أن قلة كلامه عياً عن الكلام حتى اذا شرع في قراءة درس أو مقابلة كان لسانه امضى من السيف القاطع لم أسمع منه غيبة لاحد ، وكان يتألم مما يدخل اليها من وجوه المعاش ، واذا أردت ان اراه في ليالي شهر رمضان وسمع صوتي يرفع كتابه وقرآنه وسجاده ، فاذا دخلت عليه أقول له يا ولدي هذه ليالي عبادة وتلاوة وانت تجلس هكذا فينكس رأسه حياء ولا يجيبنى ثم تخبرني زوجته بعد انه هكذا يفعل .

رزقه الله اولاً ذكراً ، وتوفي وهو ابن ايامو كنت ابكي عليه بكاء كثيراً وهو قليل البكاء يظهر عليه أثر الرضا بحكم الله ، ووهبه الله سبحانه بعده ثلاث بنات وكلما جاءت واحدة يظهر منه البشر ويسلى زوجته بأن ثوابنا صار اكثر ان طلبت احدهن منه شيئاً اورآها محتاجة اليه قام مسرعاً وذهب الى السوق واتى

به ، لم يطلب مني ركوب دابة قط مع وجودها وعدم احتياجي اليها حياء مني ،
ولا طلب خرجه المقرر الا بالارسال مع جارية أو ولد صغير . وكنت اذا أوصيته
ان لا يسرف يسكت وان اجابني يقول انت عندك عيال وعندى عيال فقس هذا على
هذا فأنظر فاذا هو أقل مما ذكر ، وغير ذلك مما لو عدته من صفاته الحميدة لطال .
ولما آن ان ينتقل الى جوار الله سبحانه ورضوانه ذكر لي أنه يريد زيارة الرضا
عليه السلام فقلت له : انا لا أطيق مفارقتك وانشاء الله أسافر معك في وقت آخر ، فقال
لي بعد هذا : قد تفألت في القرآن فظهرت هذه الآية « فلن أبرح الارض حتى يأذن
لي ابي او يحكمم الله لى وهو خير الحاكمين »^(١) فقلت له : لا آذن لك فى هذا
الوقت خوفاً عليك ، وبعد ايام قليلة مرض وبقي ثمانية ايام واختار له ربه دار
البقاء ، فحكمم الله سبحانه له بارساله الى المشهد المقدس وبقيت حسرتة في قلبي
ما دمت حياً ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وارجو من كرمه ان يعوضني صبراً جميلاً
واجراً جزيلاً .

وبعد مدة رآه ابن عمه فى المنام وانه جاء الى بيتهم ودق الباب قال :
فخرجت اليه فرأيتة راكباً فرساً حسناً ، فقلت له ادخل فقال الان بيوتكم لاتعجبني
وأنا فى بيوت من اللؤلؤ والجوهر ، ولكن جئت أخبركم ان عندى كتاباً عارية
لرجل اسمه ملا افضل فاني لم اوص به ، وعندى ستة عشر هزاراً فى صندوقى ،
فأرسلت من فتح الصندوق واذا فيه كتاب الرجل المذكور وستة عشر هزاراً ،
وهذا دال على صحة المنام .

كان مولده فى آخر ساعة من نهار الثلاثاء من عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين
بعد الالف ، ووفاته فى الحادى والعشرين أو الثانى والعشرين من ذى الحجة
سنة ثمان وسبعين والالف ، واسمه حسين .

(١) سورة يوسف : ٨٠ .

وكان له اخ اسمه محمد توفي قبله بنحو سنتين وسنه نحو ثمان سنين ،
وكان زكياً فظناً اختار الله له دارالبقاء ، فجاءت هذه الحسرة فخيمت على تلك .

فراق اتى فى اثر هجر وما اذى بأوجع من كاسم اصاب على كاسم
حالت لفقدانهم أيامنا فغدت سواداً وكانت بهم بيضاً ليالينا
ان الزمان الذي قد كان يضحكنا بقربهم صار بالتفريق يبكينا
والله المستعان ، والمرجو من كرمه ان يمن على هذا الضعيف بحسن الخاتمة
والصبر على هذه المصائب والاجر عليها .

ولقد كنت فى اوائل عمري اتعاطى نظم الشعر ، و كنت كلما نظمت شيئاً من
قصيدة وغيرها تطلب نفسى ما يكون أعلى طبقة من ذلك النظم ، و كنت لذلك
لا أثبت ما نظمته وبقي الان فى خاطرى بعض أبيات أثبت منها ما يحضرنى فى
وقت الكتابة ليكون تذكرة ، فمنه من قصيدة رثيت بها ولدي محمد الاول الذي
رثاه أخى طاب ثراه و كان سنه نحو أربع سنين و كانت تظهر منه امور غريبة
نقل لى بعضها وانا اذ ذاك غائب عنه ، وهذا مما كان سبباً لتأثر اخى رحمه الله
واحتراقه عليه فرثاه بما تقدم ، وأول قصيدتى :

عرفت الليالى غثها وسمينها فسيان عندي سهلها وحزونها
فلا بروه يرجا جريح سهامها ولا داؤه يلغى دواء طعينها
اذا وهبت ثمدا لسرور شمالها على غلط غالتة عمداً يمينها
(منها) :

قوافل احزان فؤادي مناخها وانهار أشجان عيوني عيونها
تقر عيون الشامتين فلم يكن لنفسى شىء فوق ما بى يمينها
(ومنها) :

وما ام خشف لم تجد طول عمرها سواه و لسم تظفره نجل بعينها

على حاله فيها يجن جنونها
له نفسه وافته ثم منونها
بأنك فى تلك الفلاة دفينها
وباليت نفسى قبله حان حينها
فمد غاب عنها ساورتها شؤونها

اضربه جرا الهجر فأصبحت
فلاح لها ماء فلما تعرضت
بأعظم منى لوعة يوم خبروا
فيا ليت سمعى صم قبل سماعه
فقد كان للعين القريحة نورها

هذا ما حضرنى منها وقت الكتابة وهى طويلة . ومن مرثية له ايضاً ذهب من

خاطرى اكثرها أولها :

الا واودت بأحشائى طوارقه
عراء الا ودمع العين سابقه
قلبى على غير ما ذنب رواشقه
وكم تخالس آمالى بوائقه
حاشاه الا انفصمت منه وثائقه
عقلى وطود اصطبارى خرشاهقه

ما ان تعرض يوم ذر شارقه
ولا تذكرت اياماً بكم سلفت
شلت يمين النوى والبعدكم رشقت
فكم اجرع منه للاسى غصصاً
لو كان ما بى بلبنان لاوهنه
فلى باحشائه قلب عدمت له

(منها) :

وانما زمن عاقت عوائقه

لاتحسبوا رغبة عنكم اقامته

ومن قصيدة رثيت بها اخى الشيخ زين الملة والدين قدس الله روحه يحضرنى

منها هذا :

تحمل رعاك الله من بعض اشجانى
وقومى واخوانى وتربى وخلانى
وحزنى على من كان عينى وانسانى
عظيمهما والحزن قد اسر الثانى
بعبرة ذى وجد وانه لهفان

ألا يانسى ما قاصداً أرض لبنان
وقف وقفه ما بين اهلى وجيرتى
وبث لديهم لوعتى وصنابتى
وقل لهم ان الغريبين قد قضى
وحيداً كئيباً لا خليل يعينه

و قل لربوع أقفرت ومنازل
مضى اهل ذاك العلم والفضل والتقى
فتى كان يخشى الله سرأ وجهرة
ومما نظمته فى ايام الشباب :

لو تحمل بعض ما لقيت الصم
أوبت لكم قليل وجدى أحد
ومما نظمته :

يا من لفراقه طغى بلبالى
لو مثل شخصى لك من شاهدى

عفت و خلت من خير اهل وسكان
وزعزع ركن اى ركن لايمان
ويعبده عن محض علم و عرفان

من فرقتمكم عفت وزال الرسم
ما ادرك بعض ما يقول الوهم

حبيبك سواه لم يكن فى بالى
ما امكنه سوى رميم بالى

ولما توفى مرزا حبيب الله رحمه الله نظمت تاريخاً لوفاته ولنصب ولديه :

فمضى اليه وامره محمود
ولبس ثوب الحزن وهو جديد
ولكل عان عيشه مجهود
مات الحيا لمماته والجود
شبلين جدما اعز سعيد
تاريخ كل ظله الممدود
فرحاً وتختال العلى وتميد
والعيش طلق والزمان وليد

ولما سافرنا الى العراق صحبنا بعض من اقتضى الحال مدحه بهذه الابيات :

ولكن لمن حاز المكارم والمجد
و معن وقس فى الفصاحة ان عدا
سما فى ذرى العليا دون الورى فردا
رايت بروقاً لا تطيق لها عدا

وفى حبيب الله امر حبيبه
فبكنه أنديه المكارم والعلى
قد كان للايتام والضعفا اباً
فلفقده قد جاء تاريخاً اب
لكن بحمد الله خلف بعده
فكلاهما علما زاد علاهما
فلتهدا الزفرات وليكن البكاء
فالجود حى و المكارم غضة

هو اى وشوقى لا لنعم ولا سعدى
همام نسينا عنده ذكر حاتم
كريم سخى اريحى سميدع
اذا ما تثنى السمهري بكفه

حوى الجود كلما بل هو الجود نفسه
وان وردت اسيافه جيد ضده
وتلقاه حراً فى الكريهة والندى
فها بعض أبيات عجاله وقتها
مدحتك تأكيداً لصدق مودتى

وكتبت الى آخر فى ذلك السفر :

اذا قيل لي اين السماحة والندى
فتى حسنت اخلاقه وصفاته
ولا عيب فيه غير أن قبايه
فلا زالت الامال منقادة له

و أدرك شأو المكرمات وما صدا
دوين اذا الاسياف لم تستطع وردا
وفى خدمة الاضياف تحسبه عبدا
وان قرت الاضعان اسبحك القصدا
لديك ولا ابغى عطاء ولا رفدا

وربع المعالي قلت يحيى بن هاشم
الى أن رقى أوج العلى والمكارم
اذا ما أقيمت أمها كل قادم
ولا برحت أيامه كالمواسم

ولما من الله تعالى بولدى محمد الاول نظمت له تاريخاً :

قد جاد مولاي على عبده
محمد لازال مثل اسمه
تاريخه اسأل مولاي أن
بعده والله نعم الجواد
محمدأ من فضل رب العباد
يسلك به سبل الهدى والرشد

ولما قرب رحيلنا من دمشق الى العراق كتبت كتابه ومن جملتها هذه الايات:

باق على الود وان شطت
صب لقاكم منتهى قصده
سميره اشجاناه والبيكا
يرجو من الله اجتماعاً بكم
السدان به أو بعد العهد
انى وقد اتلفه البعد
ودأبه الاحزان والوجد
وهو المنى والسؤل والقصد

ولي قصيدة مطلعها :

خلى من البلوى فتى لم يفارق
وناج من الشكوى امرأ لا يهيجه
فكيف وقد شابته عليه مفارقي
ترنم طير أو تأسق بارق

ومما نظمته :

يا سادة جسمي نأى عنهم
اني واندهري اساء واجتري
وجدى وجدى وهو اى الهوى
سلاف تذكركم احتسى
ويحضرني الان مطلع قصيدة :
يادهر سؤلى الردى أبدى
لم تبق لي خلا استر به
فرقت شملا كان مجتمعا
رغماً وقلبي عندهم باقى
بشت ملمسوم واخلاق
فيكم وميثاقي وميثاقي
ممزوجة من دم آماقي
كم ذا بغدري تبذل الجهدا
وتركتني بين الملا فردا
وتبت وصلا كان مشتهدا

وكتب الي الشيخ الاجل شيخنا الشيخ محمد الحرفوشي رحمه الله بهذه
القصيدة من دمشق الشام الى جبع يهنيى بالولد المقدم ذكره وهو محمد الاول :
هوا مقلتي انزارني طيفكم اغفا
نأى اصطبارى منذ بنتم وصحتي
ترحل قلبي معكم فتعطفوا
وقد كنت ارجو بعده عن جوانجي
وفي موقف التوديع ابصرت حالة
فمن كبد حرى ودمع مرقوق
وما انس لانس الزمان الذي بكم
ومنكم على الاكوار كل محجب
يحرك من داء الهوى كل ساكن
فلا در در البين كم بت غربه
واها لايام مضيىن حميدة

وكيف يزور الطيف مشبهه وصفا
فلا غلتي تروى ولا غلتي تشفى
عليه فقد زاد الغرام به ضعفا
فلما نأى عنى تذكرته الغما
يرى دونها حاشاك اهل الهوى حتفا
حذاراً من الواشي ومن مهجة تلقى
سرت أنيق التفريق تستبق الطرقا
يفوق المهاطراً وأوريج الصبا لظفا
ويضرم ناراً للصبا لا تطفى
على غرة جبل الوصال وما انكفا
قطفنا بها اللذات يانعة قطفا

ومعهد انس ضم شملي بعبادة
مهفة الاعطاف مالت من الصبي
تضوع اذا فاهت عنه او مابها
عقيلة حي لو تراعت لراهب
لاصباه منها نظرة اثر نظرة
ولكن من يهوى الدمى يتخذ له
سأصرفت نفسى عن غرام مبرح
وارحل عن دار بها الضيم لازب
واطوى بينت الارجية مفرداً
الى ماجد فرد الزمان مهذب
همام سري اريحي سميدع
امام أشاد الفضل بعد دروسه
عليم بما يأتي يكاد بفكره
له منطق ماء الحجى منه صيب
متى ما علمت في الطرس منه أنامل
ترفع قدراً أن تحاط صفاته
ويزداد ما ازداد ارتقا تواضعاً
فيا ابن الاولى شادوا المعالي وارتقوا
ويا ابن الاولى حلوا مفارق دهرهم
تواصوا بما يمضي الدنية عنهم
هم بيت مجدلم يجد فيه مشهد الزمان
هم السابقون الاولون الى العلى

رشيقة قد تودع الازر الحققا
كما مال نشوان حسا قرقفاً صرفا
عبير وتولى الشمس اذ تنجلي كسفا
تردى رداء التمسك يطلب الزلقى
وحل به ما لا يطبق له صرفا
ملايس سامت لابسيها بها خسفا
وامنع طرفي ان يرى عاده وطغى
واضرب وجه الارض معتسفاً عسفا
موامي لا تخفى عليها وقد تخفى
كريم غدا دون الانام لنا كهفا
جواد المعتل الرجا صاح قد أشفى
وهذب ما استعصى على الفكر واستخفى
يرفع عن مكثون غيب له سجفا
وافيته للوافدين غدت وقفا
انت در رفى النطق يرصفها رصفا
ولو ملا الكتاب في وصفه الصحفا
وها تيك منه شيمة أبداً تلقى
الى ذروة المجدالتي اعجزت وصفها
بما اصطوفوه من ما أثرم عطفها
وما فيه كسب الحمد عن سلف خلفها
على طول المدى أبداً زخفا
بعزمة صدق غادرت ذا العلى خلفها

هم كرعوا من منهل الفضل وارتووا
هم القوم سحت من بطون اكفهم
هم بذلوا في طاعة الله انفساً
هم كشفوا عن وجه كل خفية
تهن بهم يا أكرم الناس محتسداً
ولازلت مسروراً بمولودك الذي
أهل فواقي البشر عند ولادة
وأشرق شمس الفضل منه بطلعة
تفألت اذ قالوا تسمى محمداً
ودام لك العز المقيم بماجد
عماد البرايا معدن العلم والحجى
متى تأته تلمم به تلف واحداً
هصور يخاف الدهر سطوة بأسه
ويطبع من آرائه ان عرا الورى
جرى في العلمى طلفاً تقصر دونه
ودونكها بكراً اليك زفنتها
اتتك على بعد المزار ضئيلة
حوت من جميل المدح أفضل حلية
يلذ بها سمع الكرام وربما
ولولاك لم يسمح بها خاطرى الذى
ودم حاوى الذكر الجميل مسداً
وعش سالماً ماجاد روضاً غمائم

وهم عمرواربع الكمال الذي عفى
مياه العطايا حين هزوا لها عطفها
أبت كل يقنى وما ذكره يقنى
نقاب التباس عنه أعيب الورى كسفا
واوفرهم فضلاً واسمهم كفا
بدا غرة في جبهة المجد مستصفي
ولاح محياه الذى احرز الظرفا
بها اليمن والاقبال حين بدا احتفا
بحمد الورى اياه في الجهر والانخفا
شقيقتك فرد الدهر ظل الورى الاضفى
مؤمل من رجى وكان من استكفى
من الناس ساوى في عزيمته ألفا
لذلك مهمما رام منه له وفى
صروف سيوفاً تذهب الخطب والصرفا
بنو عصره حتى استكانوا له ضعفا
تجرر ذيل الفخر في سعيها زفا
على مهل تسعى وما شمخت أنفا
وجانيت الاقواء والردي والاكفا
تمنوا بأن صيغت فكانت لهم شنفها
اليه صروف الدهر قد أقبلت زحفها
مر فه بال عيشك الارغد الاصفى
وما سجت ورقاء قد ذكرت ألفا

وكتب رحمه الله .

وارتجالاً تاريخه جاء دوماً هو في السعد والسرور المقيم
وبخط جدى المبرور الحسن ابى منصور رحمه الله ماصورته : ومن قصيدة
للمفاضل السيد رحمت الله النجفى سلمه الله يرثى بها والدي رحمه الله أولها .

طرق المسامع طارق لا يسمع
والروح تزهرق لا تطبق سماعه
ذابت اسى فالدمع من ذوبانها
نعى الامام العالم الحبر الذى
رب التقى كنز الحجى علم الهدى
يا ايها النـاعى رويداً انما
يا يومه ما كنت الا علماً

فالقلم من تسماعه متوجع
والنفس من انفاسها تتقطع
هام يسح كـمـزنة لا تطلع
بعلومه سمت الشريعة مهيع
لمن اهتدى والمقتدى المتورع
بهجاً تذيب اسحر وقلباً تفجع
يا يومه انت القبيح الاشنع

منها :

لله ذر أمـا اجل مصـابه
جلت فجل بها المصاب وانها
طوراً تبوخ وفي الضمير دخانها

ومصيبة منها المصابب تخشع
نار الغضا حنيت عليها الاضلع
يرقى وطوراً تستشب فتلدغ

ومنها :

اشبيهنى اعنى التى فى ايكها
نوجى فقد هيجت حزناً كامناً
ما نحن ياورقاء فى حال سوا

بين الحمام فى الغبابب تسجع
وصدعت قلباً كان لا يتصدع
فى الحزن بل حزنى اجل واوسع

ومنها :

للدن والدنيا انوح وانما
يا ظاعناً متزماً بدمائه

نحتى على الدنيا فخطبى اقضع
امسى لكامنات المنية يجرع

هذا لهذا تابع ومشيع
بالقيد لاحام ولا مستشفع
حقاً اعز ملوكها والارقع
غضباً وما للشهب لا تتشع
الدين لابل سيخها متوقع
الفضل الجزيل ووصله لايقطع
اهل الفضائل تعفيه وتبشع
ماحاولوا من ذى الجناية ينجع
ناراً تاجح نورها يتشعشع
من ديسن احمد فهو بعدك مشرع
من جنة المأوى شدا يتضوع

حي ومن الطاقه متمتع
حزت الشهادة أم لفقذك أجزع
وجدأولست ارى التلهف ينفع

جد العزام به وماذا يصنع
اوذى جفاظ حقه قد ضيعوا
ان الردى لك عن قريب يصرع
واليوم قلبى آمن لايفزع
بعد الشموس وشملنا يتجمع

لهفى عليك وحسرتى وتاسفى
لهفى عليك وقد غدوت مكبلا
ذلا تقاد وانت عند ذوى النهى
ما للشوامخ لاتمور بأرضها
مستعظم مور الجبال لفقذ زين
يسا أيها الحبر الجليل ومن له
يسا ايها العلم الذى بظهوره
ما ضرك الاعداء حقالا ولا
راموا خمودك حيث كنت عليهم
انى وقد احبيت رسماً طامساً
نم لاجناح عليك في بحبوحة

ومنها :

وانعم فأنت لدى الاله منعم
أسر فى خطب اصابك اذبه
يالرجال لقد ضنيت تلهفاً

ومنها :

هل عارف ما حيله المضمنى اذا
لله أى معظم قد صغروا
ماكان ظنى والظنون كثيرة
ماكان أخوفنى عليك من الردى
قد كنت آمل اندهرى يرعوى

ومنها :

فاليوم قد خاب الرجا وتنعصت
لو كنت ذا قبر يزار ودونه
لقصدته ولثمت ترب ضريحه
هذا قليل من عبود مودة
لذات عيشى حيث فوات المطمع
بيض المواضى والعوالى شرع
وقطعت بيديا لاتكاد تقطع
والحر يرضى بالقليل ويقنع
وبخطه ايضاً وللسيد عبد النجفى سلمه الله يرثى والدي رحمه الله .

لقد هوى من سما العلم والحكم
توى الامام الذى بث العلوم كما
آراه مشرقة في كل شارقة
ذا كعبة الفضل والطلاب عاكفة
ألفاظه كنسيم الروض في لطف
كنز من العلم ينمو حين تنفقه
اذا اليراع نظاه يوم معظلة
وان ترى حمرة في الرمح يوم وغي
لزمت يادهر كم افنيت من عدد
وكم صرعت قروناً غير ضارعة
وكم رفعت مضافاً للهوان كما

نجم الهدى فبم التدليح في الظلم
بث النوال بيوم الجود والكرم
كالشمس تأتي على الاوهاد والاك
به عطف حجيج الله بالحرم
اولا كما ضممه او حنت على علم
فكم لبيب به اثرى من العدم
رأيت معنى أسود الغاب في الاجم
فانها خجلة من مرهف القلم
وكم نقضت بناء غير منهدم
وكم فللت شيئاً صمصامة خدم
خففت كل لبيب مفرد علم

[حديث صلاة الرسول الى القبليتين]

ومن ذلك ما رواه الصدوق رضى الله عنه في الفقيه قال صلى رسول الله صلى
الله عليه وآله الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشر سنة بمكة وتسعة عشر شهراً
بالمدينة ، ثم عبرته اليهود فقالوا له انك تابع لقبلتنا، فاغتم عما شديداً، فلما كان
في بعض الليل خرج عليه السلام يقلب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلى الغداة،

فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه حبرئيل عليه السلام فقال له «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام»^{١)} الآية ، ثم أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله فحول وجهه الى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال ، فكان أول صلاته الى البيت المقدس وأخرها الى الكعبة - الحديث .

أقول : محل الاشكال في هذا الحديث قوله « حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال » ، والمعنى - والله أعلم - انه لما كان بيت المقدس الى جهة الشمال والكعبة الى جهة الجنوب كان مقام الرجال أولاً أقرب الى بيت المقدس الذي كان قبلة ، ومقام النساء أبعد حيث ان الرجال يتقدمون النساء ، فلما حول عليه السلام وجهه حولوا وجوههم مع انتقالهم الى خلفه فصار الرجال مقامهم أبعد من مقام النساء باعتبار القبلة الاولى ومقام النساء اقرب من مقام الرجال باعتبارها ايضاً .

فان قلت : ما الذي دل على ما ذكرت من الانتقال مع التحويل . قلت : دل عليه قوله « حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال » ، ومن المعلوم المقرر تقدم الرجال على النساء وعدم جواز تقدم المأمومين على الامام . وروى محمد بن يعقوب رضي الله عنه بسنده عن الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : سألته هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى الى بيت المقدس ؟ قال : نعم . فقلت : كان يجعل الكعبة خلف ظهره ؟ فقال : أما اذا كان بمكة فلا وأما اذا هاجر الى المدينة فنعم حتى حول الى الكعبة . فهذا الحديث دال على كون بيت المقدس مقابلاً للكعبة .

هذا كله اذا كانت صلاته عليه السلام في وسط المسجد بحيث يبقى مع

التحويل مكان تقف خلفه الرجال والنساء ، فلو كانت قرية من طرف المسجد بحيث لو تحول من غير انتقال من موضعه لم يبق مكان للرجال والنساء خلفه كان المعنى انه لما حوله انتقل من مكانه الذي كان به متوجهاً الى الكعبة فصف الرجال خلفه والنساء خلف الرجال ، فصار مكان الرجال للنساء ومكان النساء للرجال ، كما اذا كان انتقاله الى ما وراء صف النساء فصار النساء مكانهن مكاناً للرجال وعكسه لتقدم الرجال عليهن .
وهذا الوجه اظهر من المقام ، وانتقاله عليه السلام يظهر من انتقالهم وقيام كل مقام الاخر . والله اعلم .

[نبذة من باب الاستخارة]

ومن ذلك نبذة أحببت نقلها من باب الاستخارة في القرآن بعد الجلالات :
أتانى رجل لا عرفه ، فخرجت اليه فقال أريد استخارة ، فظهرت هذه الآية « يا ابراهيم اعرض عن هذا »^(١) فسألته بعد ذلك عن اسمه فقال اسمى ابراهيم .
وطلب منى أخبر استخارة في القرآن الكريم ، فظهرت هذه « وما أنت علينا بعزیز »^(٢) فسألنى عن الآية فأخبرته بها فتبسم وتعجب ، فقلت له : لاي شيء تفعل ذلك ؟ فقال : الاستخارة على رجل اسمه عزيز استخرت الله ان أجعله وكيلاً على ما يتعلق بى .

وكان رجل من الاعيان يطلب منى الاستخارة مكرراً ويرسل رقعة ويطلب الجواب بأنها جيدة أو غير جيدة ، فكنت اكتب له ذلك ، فأرسل يوماً يريد استخارة وكتب انى اريد ان تكتب لي الآية التى تظهر وترسلها مع الرسول ،

(١) سورة هود : ٧٦ .

(٢) سورة هود : ٩١ .

فظهر قوله تعالى « وما كان لرسول ان يأتي بأية الا باذن الله »^(١).

وجاء الي رجل واراد منى استخساره على ولاية يريد السلطان ان يوليه اياها ، فقلت له : انا لاستخير على أمر غير مشروع . فقال : انا خائف من تلف النفس لو لم أقبل ، فظهر قوله تعالى « وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط »^(٢).

واستخار رجل على التزويج فظهر قوله تعالى « وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً »^(٣).

وظهرت غير مرة هذه الاية في امر التزويج « كلنا الجنة آتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالها نهراً * وكان له ثمر »^(٤).

وجاءنى اخوان يريدان السفر الى الهند ولهما خال في الهند وهو مشهور بالفسق وشرب الخمر ويريدان التوجه الى عنده، فظهر قوله تعالى « أما احد كما فيسقى ربه خمراً واما الاخر فيصلب »^(٥) الاية .

وكان رجل اعطى الحكومة على اليهود ، وكان يستخير مكرراً ويظهر له آيات تتعلق بموسى وهارون عليهما السلام وبني اسرائيل .

وظهر الاخر يريد الدخول على السلطان لغرض مهم ومطلب له عظيم « فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقاً »^(٦).

وظهر لاخر في نحو هذا « رب اشرح لي صدري * ويسر لى أمرى *

(١) سورة الرعد : ٣٨ .

(٢) سورة المائدة : ٤٢ .

(٣) سورة الفرقان : ٥٤ .

(٤) سورة الكهف : ٣٤ .

(٥) سورة يوسف : ٤١ .

(٦) سورة الكهف : ١٦ .

واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي»^(١) الآية .
 ووقع لشخص مع زوجته خصومة من جهة جارية ، فاستخار على شراء
 جارية فظهر قوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » الى قوله تعالى
 « ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »^(٢) .
 وكان قد وقع في الهند فتور زائد ، فاستخار رجل على السفر اليها فظهر
 قوله تعالى « أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود»^(٣)
 وبعد مدة قليلة جاء الخبر بذلك .
 واستخرت لنفسي مرة على الخروج الى غير ما انا مقيم به ، فظهر قوله
 تعالى « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »^(٤) .
 واستخرت لرجل يريد الخروج ظاهراً ، فظهر قوله تعالى « ولو أرادوا
 الخروج لا عدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع
 القاعدین »^(٥) .

[اعراب بيت من قصيدة البردة]

ومن ذلك بيت في القصيدة المشهورة بالبردة ، وهو قوله :
 ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً والا فقل يا زلة القدم
 وفيه اشكال من حيث ان الرفع لما تقدم فيصير المعنى ان أخذت بيدي فقل
 يا زلة القدم أي أقل ذلك، وهذا غير المقصود من هذا .

(١) سورة طه : ٢٥ - ٢٩ .

(٢) سورة البقرة : ٣٥ .

(٣) سورة الهود : ٧٦ .

(٤) سورة النساء : ٧٥ .

(٥) سورة التوبة : ٤٦ .

أقول : انه خطر لي في توجيهه أوجه .

أحدها : أن يكون قوله « ان لم تكن » الخ بمعنى خذ بيدي فضلا والا فقل يازلة القدم ، والنكتة في العدول عن قول خذ بيدي الى الشرط للعدول عما هو في صورة الامر وان كان طلباً ودعاء ، كما تقول ان لم تقتل زيدا والقتلتك بمعنى أقتله والاقنتك ونظير هذا قولك « ما قام غير زيد » ، فان ظاهر تركيبه نفي القيام عن غير زيد والمراد منه اثبات القيام له وحده .

الثاني : ان يكون جواب الشرط الاول محذوفاً دل عليه المقام ، وتقديره ان لم تكن في معادى آخذاً بيدي فضلا هلكت ، ونحوه كما تقول ان لم تدركني ، فالمعنى وان لم تكن آخذاً بيدي قلت يازلة القدم ايضاً .

الثالث : ان يكون قوله « والا » تأكيداً للاول وان لم يكن اصطلاحاً ، والمعنى ان لم تكن في معادى آخذاً بيدي فضلا وان لا تكن في معادى آخذاً بيدي فضلا أقل يازلة القدم . والظاهر ان قوله فقل مخاطبة لنفسه ، وذلك كما تقول ان لم تعطني كذا وان لم تعطني كذا مع كون ذلك شيئاً واحداً ، وان كان ترك الواو في هذا أنسب لكن مثله كأنه جائز .

[مكاتبة انشأها المؤلف]

ومن ذلك مكاتبة كتبها لبعض الاصحاب انشاء ، وهى : مولى موالى الدهر
روح جثمان الفخر ، انت المتفرد بالمعارف عقلا ونقلا الجامع لقنون المنطوق
والمفهوم شملا ، رأس الرئاسة الانفس بل روح حياتها مقناطيس قلوب الانفس
من كل جهاتها :

يكاد يحكيك صوب المزن منسكباً

لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لولم يخن والشمس لو نطقت

والليث لولم يصد والبحر لو عذبا

ويا من أغنى بجميل خلالة عن التعرض لبيان حاله ، وخص بالشرف الشامخ

والشأن الرفيع البازخ وأقامت بباله العالى أنواع المكارم والمعالي :

فألقيت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافرين

شخص الانام الى صنيعك فاستعد من شر اعينهم بعيب واحد

يا كامل الاداب منفرد العلى والمكرمات ويا كثير الحاسد

رمت والثناء عليك كاخلاقك الغبر رياضى العبير والثناء يتألق من شمس
معارفك تألق ندى يديك فضفاضى الغدير في دولة ممتدة الرواق مشتدة النطاق
ثابتة الاوتاد شامخة الاطواد عالية المناد سامية المقدار ، ماسبح الله ملك ودار
بمشيته فلك ، وانى لم أرض بهذه الحصنة اليسيرة من الثناء والسهم القليل من
الدعاء ، الابدع الاعتراف بالعجز عن عبارات تليق بشأنك ، ويدرك شأوها سامى
رتبتك وعلو مكانك ، وليس يزيد البدر حسناً وبهجة اطالة ذى وصف واطراء
مادح . كيف لاوأنت ثمرة الشجرة النبوية وشبل القسورة العلوية ، وحق على
ابن الصقر أن يشبه الصقرا . وكيف لا وانت شجرة فضل عودها ادب واغصانها
علم وحسب ، وثمرتها عقل وعروقها كرم ونيل ، تسقيها سماء الحربة وتغذيها
أرض المروة .

ثم المنهى الى الجناب العالى لازال محروساً من حوادث الايام وصروف الليالى ،
ولا برحت اغصان آماله مورقة وبحار سعوده واقباله معدقة ، وشموس فضله
وافضاله من افق التوفيق مشرقة ، ان هذا الداعى المخلص يهدى الى جنباه
جزيل السلام والدعاء وجميل التحية والثناء وخالص المودة والولاء ، والعين مع
تعظيمه مقدارها تقبل ما يهدى لها المرور مبتهلاً الى الله جل شأنه ان يطيل بقاء

تلك الذات محروسة من جميع الافات والبليات في جد سعيد وعيش رغيد و امر
سديد بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

(مكتبة اخرى انشأتها وكتبتها لبعض اعيان السادة) .

اهدى من تحف التسليمات لذلك الجنب العالمى مابه يليق ومن لى بذلك ،
ومن جواهر التحيات ما يخجل عنده غوالى الجواهر وعوالى اللالى مما هو
به حقيق وانى لى بسلك هذه المسالك ، ومن غوالى الاثنية ما يفضح نشره ارج انواع
الغوالى بحيث يقابل به صاحب ذلك النسب العريق ومتى أقدر على التورط
فى هذه المهالك ، ومن صوافى الادعية ما ينتظم فى سلك دعاء الداعين من
الواخر والاولى لتهب عليه نسمات القبول وتبعيض لا يليق بالعبء فكيف بالسيد
المالك ، وبالجملة :

فيس يزيد البدر حسناً وبهجة اطالة ذى وصف واطراء مادح

هذا وان تفضلتم بالسؤال عن احوال هذا المخلص فانه والله المستر بخير
داع لذلك الجنب يطول البقاء ودوام التوفيق وعلو الشأن وكتب الحاسدود
كيد المناوى والمعاند ، مبتهالا الى الله سبحانه ان يديم عليه ما منحه من السعادة وان
يزيده من رفعة الدارين ما يتمناه منهما وزيادة انه جواد كريم .

[الارغام بالانف فى السجود]

ومن ذلك ما ذكره الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب مؤيداً لكون الارغام
بالانف فى السجود ليس بواجب وان تركه مكروه ، وهو قوله : والذى يدل
عليه على كراهيته مارواه احمد بن محمد بن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد
عن جعفر عن ابيه قال : ان علياً كره تنظيم الحصى فى الصلاة ، وكان يكره ان
يصلى على قصاص شعره حتى يرسله ارسالا .

اقول : محل الاشتباه في هذا الحديث قوله « وكان يكره » الخ ، ووجه كونه دالا على الأرقام انه اذا أرسل شعره يكون ذلك فيما اذا وضع أنفه على الأرض ونحوها ، فانه اذا فعل ذلك كان مرسلا لشعره ، بخلاف ما اذا سجد على قصاص شعره فان الشعر حينئذ يكون غير مرسل ، وكان سابقاً متعارفاً توفير الشعر من غير حلق ، فالمعنى فيه اظهر والله اعلم .

واستدلال الشيخ رحمه الله من حيث أن في الحديث لفظ « كره » ، وكأن المراد بتنظيم الحصى عد الركعات بها فان ذلك قد يكون غالباً من باب الوسواس وفي بعض الاخبار من الشرك المخفى عد الركعات بالحصى . ووجه أن فاعل ذلك يكون مستعنياً به ، فكأنه جعل له تعالى شريكاً يستعان به ، فلولم يتبع الوسواس لذهب ذلك عنه كما تضمنته أخبار ترك اطاعة الشيطان فيما يوسوس به وانه اذا رأى ذلك ترك صاحبه .

ويحتمل ارادة تنظيم الحصى عبثاً ، وهو بعيد وان قرب من جهة لفظ التنظيم . وما تقدم فيما اذا أمكن احصاء الركعات بغير نحو ذلك . ويمكن ان يكون مثل هذا لما كان أصله اطاعة وسواس الشيطان كان منهياً عنه ، فانه بعد ذلك ، قد يصل الى هذه المرتبة . والله تعالى اعلم .

وفي خبر حبيب الخثعمي قال شكوت الى ابي عبد الله عليه السلام كثرة السهو في الصلاة فقال : احص صلاتك بالحصى أو قال احفظها بالحصى .

[شرح بيتين للمتنبي]

ومن ذلك قول المتنبي في مطلع قصيدة .

فذلك من يقصر عن مداكا فما ملك اذا لا فداكا

ولو قلنا فذلك من تساوى دعونا بالبقاء لمن قلاكا

اقول : معنى البيت الاول ظاهر ، واما الثانى فان كان « يساوي » بالياء
المثناة من تحت فالمعنى انا لو قلنا يفديك من يساويك وفرض لك مساو ولكننا
دعونا بهذه لمن يساويك ويكون بعيداً عن مرتبتك بكونه دونك فيكون القلا
بهذا المعنى ، واذا جعلنا المساوى فقط فذاك فمن لم نجعله فداء نكون قد اردنا
بقائه ، لانا اذا قلنا يفديك فلان واخترناه للفداء نكون قد تركنا غيره على حالة
البقاء فلم نزد له الفنا بالفداء له ، فيكون كالدعاء له بالبقاء لاستلزامه اياه استلزاماً
خطابياً .

وعلى تقدير كون « تساوى » بالتاء المثناة من فوق كما رأيت في نسخة فتحتمل
المعنى الاول ، الا ان الياء المثناه من تحت انسب بالمعنى الاول .

ويحتمل ان يكون المعنى انا لو قلنا فدالك من تساويه بمعنى المواسة
في مالك ونحوه دعونا ايضاً بأن من قلاك وابعد عنك ولم يكن ممن تساويهم
بان يكون باقياً ولا يفديك كما دعونا لك ، والدعاء له اما لانه غير موجود حيث
أن المساواة عامة لكل احد أو انا ندعو له بالبقاء لحرمانه ماتعطيهِ ، فانه حينئذ
يبقى محتاجاً حيث لم يصل اليه فيضك عليه واحسانك اليه كغيره فتدعو له
بالبقاء على هذه الحالة لانه يكون بسىء الحال بدون ذلك .

ويحتمل معنى آخر ، وهو انا اذا فرضنا لك من يساويك فمع الحبر اياك
تدعو له بالبقاء حيث انه اذا فاته قربك يكون محروماً هذا الامر العظيم ، فبقاؤه
على هذه الحالة بقاء سهل كما قيل :

ومن صدعنا حسبه الصد والجفا ومن فاتنا يكفيه انا تفوته

ويحتمل معنى آخر ، وهو أن يكون من قبيل ما قيل في قوله تعالى « قل
ان كان للرحمان ولد فأنا اول العابدين »^(١) انه بمعنى التعليق على المحال ، وانه

لو فرض هذا المحال كنت اول من يعيده والحال أن وجود الولد محال ، فالمعنى حينئذ انا لو فرضنا لك مساوياً كننا ندعوا لمن يهجرك ويبعد عنك ومساويك محال وجوده .

[حديث صلاة جار المسجد]

ومن ذلك مارواه الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب عن محمد بن يعقوب رضى الله عنه بسنده الى زرارة قال : كنت جالساً عند ابي جعفر عليه السلام ذات يوم اذ جاءه رجل فدخل عليه فقال له . جعلت فداك انى جار المسجد لقومى ، فاذا أنا لم أصل معهم وقعوا في وقالوا هو كذا وكذا . فقال : أما لئن قلت ذلك لقد قال امير المؤمنين عليه السلام من سمع النداء فلم يجبه من غير علة فلا صلاة له . فخرج الرجل فقالوا له : لاتدع الصلاة معهم وخلف كل امام . فلما خرج قلت له : جعلت فداك كبير علي قولك لهذا الرجل حين استفتاك فان لم يكونوا مؤمنين . قال : فضحك عليه السلام وقال : ماأراك بعد الا ههنا يا زرارة فأى علة تزيد أعظم من انه لا يأتهم به . ثم قال : يازرارة ما ترانى قلت صلوا فى مساجدكم وصلوا مع أئمتكم .

اقول : معنى قولهم هو كذا وكذا انه رافضى او شيعى وانه لا يصلى معنا لعدم اعتقاده بهم ، وقوله عليه السلام له « لقد قال » الخ كانه وكن له على وجه التقية اعراف الرجل كان يعلم عدم جواز الاقتداء .

« من سمع الاذان فلم يجبه الى الصلاة من غير علة فلا صلاة له » بمعنى نفى كما لها او نفيها ان وجب الحضور .

وقوله عليه السلام « لاتدع الصلاة » الخ معناه لاتترك الصلاة معهم وخلف كل امام وان لم يكن اهلا للامامة ، بمعنى أن يكون متابعا لهم فى الصلاة ولا

يكون مقتدياً بالامام ، و زرارة فهم من ذلك الأمر بالاعتداء فقال كبر علي قولك ، فان غير المؤمن لايجوز الاعتداء به فكيف يأمره بذلك ، فضحك عليه السلام تعجباً من مثل زرارة وانه لم يفهم ما اراد عليه السلام و قال له : ما أراك الالهنا بمعنى انك لم تصل الى مرتبة فهم مثل هذا وانت باق في مثل هذا المكان وهو عدم فهم مثله ، فأى علة تريد اعظم من انه لا يأتى به فهذا ممن ترك الصلاة معهم واجافه قد امهم الصلاة معهم بقوله المؤذن « حى على الصلاة » فليس هذا ممن لاصلاة له . ثم نبهه على انه قال عليه السلام « صلوا في مساجدكم وصلوا مع أئمتكم » أي الذين يؤمنون الناس بمعنى ان تكون صلواتكم معهم لانكم تقتدون بهم ، ولو اراد الاعتداء لقال صلوا مقتدين بهم ونحو ذلك .

[عبارة مشكلة في مختلف الشيعة]

ومن ذلك عبارة في مختلف الشيعة سئلت عنها قبل هذا الوقت بمدة طويلة ولم يحضرني الان ما أجبت به سابقاً ، ثم اشتهرت في هذه الاوقات وذهبت افكار الناس الى حلها على أوجه لا يليق نقلها ، وقد سئلت عنها في هذه الاوقات فكتبت ما خطر لي في توضيح معناها ، ولننقل أولاً العبارة بعينها وقد ذكرت في مسألة جواز الصلاة في التكة والقلنسوة اذا كانتا من وبر الارانب ونحوها ، قال العلامة طاب ثراه : احتج الشيخ رحمه الله بأنه قد ثبت للتكة والقلنسوة حكم مغاير لحكم الثوب من جواز الصلاة فيهما وان كانتا نجستين أو من حرير محض ، فكذا يجوز لو كانتا من وبر الارانب وغيرها ، ولان الملزوم للمدعى وجوداً وعدمياً ان كان ثابتاً ثبت المطلوب وكذا ان كان منقياً .

والجواب عن الاول بالفرق بين كونهما نجستين وكونهما من وبر مالا تحل الصلاة في وبره وقد بيناه فيما مضى ، وعن الثانى بالمنع من استلزام نفي الملزوم

حالتى وجوده وعدمه المطلوب، لجواز كون النفي راجعاً الى الذات لالى وجودها مع فرض استلزامها وجوداً وعدمياً - انتهى .

وقال فى المسألة التى قبل هذه وهى مسألة الجواز فى الابريسم : احتج الشيخ بالاصل وعدم التكليف بالتحريم ولان تسويغ الصلاة فيهما مع النجاسة، واخراجهما عن عموم حكم الثياب فى ذلك يستلزم تسويغ الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم محض ، لاشتراكهما فى المصلحة المطلوبة من الصلاة فيهما واخراجهما عن حكم الثياب واجاب العلامة رحمه الله هنا بأن المنع فى النجس عارض وفى الابريسم ذاتى فافترقا .

اقول : انى نقلت العبارتين لتعلق الحل بهما ، والذى خطر لي فى معنى العبارة الاولى أن الشيخ رحمه الله استدلل لجواز الصلاة فى التكة والقلنسوة اذا كانتا من وبر الارانب وغيرها بأنه قد ثبت للتكة والقلنسوة حكم مغاير لحكم الثوب من جواز الصلاة فيهما وان كانتا نجستين أو من حرير محض ، فكذا يجوز لو كانتا من وبر الارانب ونحوها ، وقد تقدم قبل هذه المسألة استدلاله لجواز الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم بالاصل وعدم التكليف بالتحريم وبأن تسويغ الصلاة فيهما مع النجاسة واخراجهما عن عموم حكم الثياب فى ذلك يستلزم تسويغ الصلاة فيهما اذا كانتا من ابريسم محض لاشتراكهما فى المصلحة المطلوبة من الصلاة فيهما واخراجهما عن حكم الثياب .

هكذا استدلل الشيخ رحمه الله فى مسألة الجواز فى الابريسم كما ذكر العلامة طاب ثراه ، واجاب هناك بالفرق بين النجس والابريسم بأن المنع فى النجس عارض وفى الابريسم ذاتى فافترقا .

واستدل الشيخ فى مسألة وبر الارانب ايضاً بأن الملزوم للمدعى وجوداً وعدمياً بمعنى ان الملزوم - وهو جواز الصلاة فيهما فى غير وبر الارانب -

للمدعى وهو جواز الصلاة في وبر الارانب الذى هو لازم لذلك الملزوم ان كان ثابتاً وجوده ثبت المطلوب للزومه له، وكذا يثبت المطلوب لو كان وجود الملزوم منقياً ، ووجه ثبوته مع المنفى انا علقنا وجود اللازم بوجود الملزوم ونفيه ينفى وجوده ، ففي صورة النفي يكون المراد أن هذا الملزوم المنفى وجوده اذا وجد وجد اللازم .

فمعنى قوله « وكذا ان كان منقياً » انه يثبت المطلوب ايضاً ان كان الملزوم منقياً ، لان قوله « وكذا ان كان منقياً » معناه ان الملزوم في حالتي وجوده وعدمه لو كان منقياً لزم المطلوب ايضاً، حيث أن ذلك معلق على وجوده، فاذا وجد الملزوم وجد اللازم ، والذى فرض ملزوماً موجود فيلزم وجود اللازم .

وجواب العلامة عن الاول بالفرق كما تقدم ، وعن الثانى بأننا نمنع كون نفي الملزوم في حالتي وجوده وعدمه يستلزم المطلوب، أي اللزوم في حالتي الوجود والعدم ، لجواز كون النفي راجعاً الى نفس ذات الملزوم لالسى وجود الذات مع فرض استلزام الذات باعتبار وجودها وعدمها المطلوب .

وحاصله : ان الدليل مبنى على وجود الذات وعدم وجودها ، ونحن نمنع ذلك ويجوز رجوع النفي الى الذات ولا يلزم حينئذ اللزوم وجوداً وعدمياً ، لانه مع انتفاء اصل الذات لا يلزم ترتب الوجود والعدم عليها ، وانما يترتب على وجودها وعدمها بناء على ما في الدليل من قوله ولان الملزوم للمدعى وجوداً وعدمياً -- الخ .

ويوضح ذلك ما اذ اردنا الاستدلال على وجود النهار بوجود الشمس وطلوعها . فقلنا النهار موجود لو وجود ذات الشمس وطلوعها ، فيكون النهار لازماً لوجود الشمس وجوداً وعدمياً ، وذلك فيما اذا كانت ذات الشمس موجودة، فلو انتفت الذات اصلاً لم يستدل بما لاحقيقة له وجعله ملزوماً للنهار ليستدل عليه

بالملزوم وجوداً وعدمياً .

فان قلت: نراهم يستدلون باللزوم مع عدم وجود الذات ، ومنه قوله تعالى
« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »^(١).

قلت : فرق بين المقامين ، فان مانحن فيه ادعى فيه وجود اللازم لوجود
الملزوم الذى يلزم منه الوجود بوجوده والعدم بعدمه ، ومع نفي أصل الذات
وعدم وجوها لا يلىق الاستدلال على وجود اللازم بوجود الملزوم الذى يحصل
منه الوجود بالوجود والعدم بالعدم . وهذا بخلاف فرض وجود الملزوم
واللازم كما فى الآية ، فان اللزوم هناك على تقدير الفرض ونفيه ، وهذا لا ينافى
عدم وجود الذات اصلاً ، فان المعنى لو وجد كذا لو وجد كذا .

وبالجملة فالمقام هنا مبنى على الوجود وان لزم عدم بالعدم بمقتضى
الزوم مع المساواة . وايضاً فالآية فيها رد على من ادعى تعدد الاله - فتأمل .
واعلم انه كان يمكن تأدية ما ذكر بكلمات قليلة لكن المقام اقتضى زيادة
البسط لزيادة التوضيح .

[شرح بيتين لمجنون ليلى]

ومن ذلك قول مجنون ليلى :

اتوب اليك يا رحمان مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب
واما عن هوى ليلى وتركى زيارتها فانى لا أتوب

أقول : الاشكال مشهور فى البيت الثانى ، وهو قوله « وتركى زيارتها »
وقد خطر لي فى توجيهه ان معناه وان اترك بالبناء للمفعول زيارة لها ، من قبيل
رجل عدل وانما هى اقبال وادبار ، وهذا معنى واضح . والترك بهذا المعنى

(١) سورة الانبياء : ٢٢ .

مستعمل كثيراً، ومنه قوله تعالى « وتركهم في ظلمات لا يبصرون »^(١).

وقول عنزة :

فتركه جزر السباع يشنه ما بين قلة رأسه والمعصم

وجزر السباع نحو زيارتها وان اختلفا بالفاعل والمفعول .

وربما وجه البيت بكون الواو للقسم ، وهذا مبني على اصطلاح غير عربي

مع بعده .

وسألني سائل فقال انه ورد في الحديث الرياء شرك وتركه كفر ، فأجبت

على تقدير ثبوت الحديث ان تركه كفر بمعنى ما تقدم في بيت المجنون ،

والمعنى ابقاء ذلك والمداومة عليه كفر، والكفر والشرك يستعملان في غير الشرك

والكفر الخاصين كما هو واقع كثيراً في الاخبار .

ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون المراد بالرياء المعقول على وجه الرياء

كالصلاة مثلاً فإنه يقال هذه الصلاة رياء وهذا الصوم رياء، فالمعنى فعل هذا

الشيء رياء شرك وترك هذا الشيء من غير رياء فعل كفر كفعل الصلاة مثلاً رياء

وتركها .

[حديث عمار جلدة بين عيني]

ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : عمار جلدة بين

عيني تقتله الفئمة الباغية . وفي رواية اخرى : عمار جلدة بين عيني وانفي .

اقول : ان هذا مثل مشهور مستعمل فيمن يكن له عزة عظيمة عند القائل .

وكان وجه تخصيص الجلدة التي بين العين والانف أن العين لما كانت أعز من

غيرها من أجزاء البدن باعتبار كان ماجاورها أعز من غيره ، وكان ما بين العينين

(١) سورة البقرة : ١٧ .

محفوظاً بعضهم - وبن عزيزين فكان المشبه بها كالمحاط بذلك . ولو أريد ما هو
أبلغ من هذا قيل فلان عيني ، وهذا غير مناسب منه عليه السلام في هذا المقام .
وربما كان زوال هذه الجلدة سبباً لتلف ضوء العين او نقصه أو تلفها أو
بعضها بخلاف ما جاورها في غير هذا المكان فان زواله لا يؤثر تأثير زوال هذه
الجلدة .

وحديث افراد العين لا ينافي حديث الثنية ، لا مكان وقوع كل منهما منه
عليه السلام ، ولا استعمال العين في المتعدد كقول الهذلي :

والعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع

فقال حداقها وهو جمع حدقة وقال عور وهو جمع ايضاً ومثل هذا واقع
في غيرها ومن ذلك ما احببت نقله هنا . قال الزمخشري في ربيع الابرار: وعن
هند بنت الجون قالت : نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيمة خالتها
ام معبد ، فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة الى
جانب الخيمة ، فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في
لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمأ
الا روى ولا سقيم الابرار ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا درلبنها ، فكانت اسميها
المباركة ويتابنا من البوادي من يستشفى بها ويتزود منها ، حتى اصبحنا ذات
يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا فمارعنا الانعى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، ثم انها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها الى
اعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها ، فما شعرها بمقتل امير المؤمنين علي
عليه السلام فما اثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ، ثم اصبحنا واذا بها قد
تبع من ساقها دم عبيط وقد ذيل ورقها ، فبينما نحن فزعون مهمومون اذا اتانا امر
مقتل الحسين عليه السلام ويمست الشجرة على اثر ذلك .

وقال الشيخ نصر الله بن محلى وكان من ثبات أهل السنة : رأيت فى المنام
 علي بن ابي طالب عليه السلام فقلت له : يا امير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون
 من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف
 ما تم . فقال لي : اما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا فقلت : لا . فقال : اسمعها
 منه فاستيقظت ، وبادرت الى دار الحيص بيص ، فخرج الي فذكرت له الرؤيا
 فشقق ووجش بالبكاء وحلف بالله ان كانت خرجت من فمى أو حظى الى احد
 وان كنت نظمها الا فى ليلتى هذه ثم أنشدها .

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتكم قتل الاسارى وطالما	غدونا عن الاسرى نعف ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا	وكل اناء بالذى فيه ينضح

ذكر هذا وهو المنام ابن خلكان فى تاريخه وظننى نقلته اولاً من كتاب دمية
 القصر للباخرزى أو من غيره ثم بعد ذلك رأيت فى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة
 الحيص بيص .

[حديث شأن انا أنزلناه]

ومن ذلك حديث فى الكافى فى كتاب الحجّة فى (باب شأن انا انزلناه فى
 فى ليلة القدر) وفى تركيب بعض ألفاظه ومعانيها اشكال احببت ان أوضح ما خطر لى
 فى توجيه ذلك ، والحديث وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : بينا ابي جالس
 عليه السلام وعنده نفر اذ استضحك حتى اغرورقت عيناه دموعاً ثم قال : هل
 تدرون ما أضحككنى؟ قال : فقالوا لا . قال : زعم ابن عباس انه من الذين قالوا
 ربنا الله ثم استقاموا . فقلت له : هل رأيت الملائكة يا ابن عباس تخبرك بولايتها
 لك فى الدنيا والاخرة مع الامن من الخوف والحزن .

أقول : معنى هذا أنه لما ادعى انه داخل فى قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولا هم يخرجون »^(١) قال له عليه السلام: الملائكة أخبرتك بذلك وانك آمن من الخوف والحزن ، وغرضه عليه السلام تنبيهه على انه غير مستقيم كما سيبينه له بعد .

قال : فقال : ان الله تبارك وتعالى يقول « انما المؤمنون اخوة »^(٢) وقد دخل فى هذا جميع الامة ، ظاهره ان مراد ابن عباس انى داخل لا من حيث اخبار الملائكة بل من جهة دلالة قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله » الآية ، فانه عام لكل من قال ذلك ثم استقام ، كما ان قوله تعالى « انما المؤمنون أخوة » عام فيدخل كل من آمن فى الاخوة .

(فاستضحكت) يمكن ان يكون ضحكك عليه السلام تعجباً من استدلاله بذلك لانه غير مستقيم، بناء على ما يأتى فى الحديث مما يبينه له من ذلك .
(ثم قلت صدقت يا ابن عباس) هذا يحتمل ان يكونك معناه انك صدقت فى دلالة الايتين على العموم ، ولكن سيظهر لك انك غير داخل فيه فى الآية .
ويحتمل ان يكون أراد به معنى سلمنا لك ذلك لكن يأتى ما يظهر منه خلافه وعدم الدخول .

(أنشدك الله) أي أسألك بالله (هل فى حكم الله جل ذكره اختلاف ، قال فقال لا فقلت ماترى فى رجل ضرب رجلاً أصابعه) هذا بدل بعض من كل (بالسيف حتى سقطت ثم ذهب) وفى التهذيب فما ترى فى رجل ضربت أصابعه بالسيف حتى سقطت فذهبت (و اتى رجل آخر فأطار كفه فأتى به اليك وانت قباض كيف انت صانع ؟ قال : اقول لهذا القاطع اعطه دية كفه، وأقول لهذا المقطوع

(١) سورة الاحقاف : ١٣ .

(٢) سورة الحجرات : ١٠ .

صالحه على ماشئت وأبعث به) فى التهذيب أو أبعث به ، والمعنى اما ان تعطيه
الدية أو تصالحه أو تبعث به (الى ذوى عدل) ليوفاً بينهما .

(قلت : جاء الاختلاف فى حكم الله عز ذكره ونقضت القول الاول) وهو
الاعتراف بعدم الاختلاف فى حكم الله (أبى الله عز ذكره أن يحدث فى خلقه
شيئاً من الحدود ليس تفسيره فى الارض اقطع قاطع الكف اصلاً) أي
قاطعها من أصلها أو اقطعها من أصلها (ثم اعطه دية الاصابع) لانه ليس له عليه
الا الكف .

(هذا حكم الله ليلة ينزل فيها امره ان جحدتها بعد ما سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وآله فأدخلك الله النار كما اعمى بصرك يوم جحدتها علي بن
ابى طالب) هذا دعاء منه عليه السلام عليه أنه ان جحد ليلة القدر مرة اخرى
بأن يدخله الله النار كما اعمى بصره لما جحدتها فى المرة الاولى . وتركيب
جحدتها علي بن ابى طالب ان علياً مفعول أول والضمير مفعول ثانى مقدم للاتصال
وعدم الالتباس ، يقال جحدته حقه . ويحتمل نصب على بنزع الخافض بتضمين
معنى يناسبه ، وضمير جحدتها يرجع الى ليلة القدر .

(قال فلذلك عمى بصري) هذا استفهام من ابن عباس ، وظاهره الانكار .
ويحتمل كونه غير انكارى ، ويحتمل كونه اعترافاً منه بذلك ، ويؤيده قوله عليه
السلام بعدما تكلمت بصدق مثل أمس .

(قال : وما علمك بذلك) أي انك لاتدرى وجه عمى بصرك من أي شيء
(فوالله ان عمى بصره الامن صفقة جناح الملك) .

هذا الكلام منه عليه السلام للنفس الذين عنده ليخبرهم به ان عماسه كان
من صفقة جناح الملك وقع معترضاً بين ما قبله وما بعده . ويحتمل ان يكون
من قول ابى عبد الله عليه السلام وان نافية . وعماسه يجوز كونه مصدرأ مضافاً الى

بصره اي ما عمى بصره الا من ذلك ، ويجوز كونه فعلا وبصره فاعله أي ما عمى
الا من ذلك .

(قال فاستضحكت ثم تر كته يومه ذلك لسخافة عقله) استضححا كه عليه السلام
اما لاعترافه أو لانكاره ذلك ، والاول انسب بالتكلم بالصدق (ثم لقيته فقلت
يا ابن عباس ما تكلمت بصدق مثل أمس ، قال لك علي بن ابي طالب ان ليلة القدر
في كل سنة وانه ينزل في تلك السنة امر لسنة ، وان لذلك الامر ولاة بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله . فقلت : من هم ؟ فقال : انا واحد عشر من صليبي ائمة
محدثون . فقلت : لا أراها كانت الا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتبدي
لك الملك الذي يحدثه فقال : كذبت يا عبد الله) من قوله قال لك علي الى هنا
ابتدأ بيان لابن عباس لما صدر منه وان سبب العمى ذلك (رأيت عيناى الذى
حدثك به على ولم تره عيناه ولكن وعى قلبه ووقر فى سمعه) هذا من كلام
الملك بعد قوله له كذبت يا عبد الله ، ومعناه ان الذى حدثك به كان بالنسبة الى مما
رأيت به بعينى على وجه المجاز ، بمعنى رأيت من ألقاه الى من ملك آخر بعينى
ولم تر ذلك عينا علي بن ابي طالب ولكن وعى ذلك قلبه وألقى فيه وسمعته ولم
ترنى عيناه (ثم صفقك بجناحه فعميت) أي بعد أن قال لك ذلك صفقك بجناحه
فبين له سبب عماه .

(قال فقال ابن عباس : ما اختلفنا فى شيء فحكمه الى الله) هذا جواب من
ابن عباس ، وحاصله انه اذا وقع اختلاف يرد ذلك الى الله أي الى كتابه ونحوه
او ان الحكم الواقعى الله اعلم به وما اختلفتم فى شيء فحكمه الى الله .

(فقلت له فهل حكم الله فى حكم من حكمهم بأمرين قال لا) لما قال ابن عباس
انما اختلفنا فى شيء فحكمه الى الله اجابه عليه السلام بأنه هل يوجد فى حكم
من احكامه الحكم بأمرين مختلفين . فقال لا فثبت ان حكم الله لا يكون الا

واحداً وان الذى يرد حكمه الى الله مع الاختلاف ان يرد الى من يعلم الحكم
الذى يرتفع به الاختلاف .

(فقلت ههنا هلكت واهلكت) أي من هذا او مثاله وعدم الاعتراف بما قال لك
علي بن ابي طالب مما لو رجعت اليه لظهر لك وجهه وارتفع الاختلاف هلكت
واهلكت .

هذا ما يظهر مما تضمنه هذا الحديث فى شأن ابن عباس والله تعالى اعلم ،
وبعض هذا الحديث فى التهذيب وهو ما يتعلق بالقصاص ولم ينقله بتمامه .

[حديث الولاء]

ومن ذلك ما رواه محمد بن قيس فى الصحيح عن الباقر عليه السلام قال:
قضى فى رجل حرر رجلاً فاشترط ولاءه فتوفى الذى اعتمق وليس له ولد الا
النساء ثم توفى المولى وله مال وله عصبية ، فاختلف فى ميراثه بنات مولاه
والعصبية ، فقضى بميراثه للعصبية الذين يعقلون عنه اذا احداثاً حدثاً يكون
فيه عقل .

أقول : هذا الحديث نقله جدى المبرور قدس الله روحه فى شرح الشرائع
مستدلاً به على ان المعتق اذا لم يخلف اولاداً ذكوراً بل خلف النساء فقط يكون
ميراث المعتق بالبناء للمفعول لعصبية المعتق بالبناء للمفاعل ، وقد استدل به على
ذلك العلامة فى المختلف والشيخ الطوسى فى الاستبصار ، وافتى بمضمونه فى
النهاية والايجاز وكذلك القاضى وابن حمزة وغيرهم ، وفى الاستبصار باب ان
ولاء المعتق لولد المعتق اذا مات مولاه الذكور منهم دون الاناث فان لم يكن
له ولد ذكر كان ذلك للعصبية ، ونقل هذا الحديث وفيه « وترك مالا » بدل قوله
وله مال وكذا فى التهذيب والمختلف بلفظ وترك مالا ، فكان ما فى شرح الشرائع

منقول من غير الكتب المذكورة او من الكافي ولا يحضرني هذا الموضوع منه وقد وقع في احاديث متكررة التعبير بالورثة وأولى الارحام اذا كانوا للمعتق مبنياً للمفعول وانهم يقدمون على اهل الولاء فى الميراث .

اذا تقرر ذلك فقد اعترض بعض المعاصرين على جـدي قدس سره بأن هذا الحديث لا يصلح للدلالة ، لان المراد بالعصبة فى قوله « وله عصبة » عصبة المعتق والمراد منهم الوارث لالعصبة المعتق نظراً الى مجرد القرب ، فيعود الضمير اليه لقربه .

وهذا من ضيق العطن بمعرفة تراكيب الكلام وأسلوبه وعدم ملاحظة ما يناسب المقام ، فان استعمال العصبة بمعنى الوارث استعمال غريب لا يظهر وجه العدول اليه عن مثل الورثة وأولى الارحام مع ان العصبة شرط كونهم وارثين فيه بخلاف المشهورة ، ولو سلم فأى فائدة فى القيود المذكورة على هذا التقدير وهى قوله « الذين يعقلون عنه اذا احدث حدثاً يكون فيه عقل ، فانها حينئذ لغو لا فائدة فيها ، لان اخراجه عن موضوعه واستعماله كذلك أى وجه لها لربطها به وآى مناسبة ، بخلاف ما اذا أريد بها عصبة المعتق ، فان فائدتها ببيان كون العصبة هم الذين وصفهم كذا وكذا ، وهذا مما صرف أفهام من قال من علمائنا رضوان الله عليهم بذلك الى حمل العصبة على عصبة المعتق وترك مرجع الضمير القريب ، ومن المعلوم المقرر أن القرينة اذا وجدت حالية أو مقالية عقلية او نقلية تصرف ما يظهر او يحتمل الى غيره . ولولا هذا امكن ان يقال المجاز مع القرينة يعارض الحقيقة وتعارضه ونحو ذلك .

وقد فهم هذا مثل العلامة والشيخ الطوسى وغيرهم رحمهم الله ممن قال بهذا القول واستدل بهذا الحديث ولم يظهر رد استدلالهم به ، وهؤلاء من أئمة اهل اللسان والعارفين بمواقع الكلام ، وليس هذا حجة بل مجموع ما ذكرهنا

وغيره مما ذكرته في موضع آخر من القرائن مما يدفع عنهم الاعتراض في فهم هذا الحديث مع شهرة مسألة مستحق الولاء من الورثة والعصبة وتكرار القول والنزاع في ذلك من المخالف والموافق كما يظهر لمن تتبع ذلك في كتب الحديث والفروع والخلاف وغيرها كالمختلف والمبسوط والخلاف والتهذيب وغيرها .

فان قلت ، لاي وجه آخر قوله « وله عصبه » عن قوله « وترك مالا » وهلا قال وله عصبه بعد قوله الا النساء .

قلت : لهذا وجه ينبغي تأمله وفهمه على وجهه ، وهو انه ذكر أولا وفاة الرجل المعتقد وان وارثه النساء فقط ، وهذا لايناسبه ذكر العصبه حينئذ ، ان المعتقد لم يمت حينئذ بل الناسب لذكرهم تأخرهم عن يكون لذكرهم به مناسبة ، وذلك بعد موت المولى وبعد موته ناسبه ذكر مايتعلق به بعد موته من كون العصبه يدعونها ترکه من المال المتروك فذكر الاول موت المعتقد وذكر وارثه ثم موت المولى وذكر العصبه ونزاعهم مع النساء .

وفي المختلف ورووا عن الائمة عليهم السلام ان امير المؤمنين عليه السلام قضى في امرأة اعتقت رجلا واشترطت ولاءه ، فاخصم في ولاءه بعدها اولادها وعصبته فحكم بالولاء لعصبته . ومثل هذا كثير يفضى نقله الى التطويل .

على ان قوله « وله عصبه » لايدل على ان له عصبه فقط ، فلو كان له غير العصبه ممن هو اقرب لم يكن له ميراث ولو اريد له وارث لم يكن لقوله « الذين يعقلون » الخ فائدة .

وفي قوله « الذين يعقلون » الخ ايماء الى ان البنات ليست لهم هذه الصفة فلا يرثن وان كن اقرب من العصبه ، وايضاً فالمقام مقام مستحق الولاء الذي هو مشروط للمعتقد وهو حق له .

[شرح بيتين للمتنبي]

ومن ذلك بيتان للمتنبي مطلع قصيدة وهما قوله :

لا الحلم جادبه ولا بمثاله لولا اذكار وداعه وزياه
ان المعيد لنا المنام خياله كانت اعادته خيال خياله

اقول : معناهما اني لولا كثرة تذكري وداعه وفراقه بحيث لا يزول عن خاطرى حتى فى المنام لم يسمح الحلم به ولا بمثاله ، فبسبب ذلك ظهر منه ما هو كالجود ، فسماه جوداً لصدوره عنه للعلمة المذكورة والا فهو بخيل بذلك ، ونسبة البخل اليه والى المحبوب فى بخله بالزيادة حتى فى المنام شائع متعارف وقد تكرر نظمه ثم قال على وجه الاضراب عن الاول وهو جوده به وبمثاله ان الحلم لا يسمح به ولا بمثاله مع هذا بل ولا بخياله بل بخيال خياله .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهو ان يكون من باب عيادة نحو المريض ، وعاد يتعدى بنفسه الى مفعول واذا ادخلت عليه الهمزة تعدى الى مفعولين مثل اكسبته اياه وابلغته اياه بمعنى جعلته كاسباً اياه ونحو ذلك مما هو كثير وهذا يحتمل وجهين :

احدهما : انى صرت من انسقم لوداعه وفراقه كخيال خياله ، فكانت اعادته خياله لي اعادة لما هو خيال خياله .

والثانى : ان اعادته كان اعادة خياله لخيالى ، و اضافته اليه لانه سبب لانى صرت خيالا يزور خياله خيالى .

وعلى هذين الوجهين المعيد هو المحبوب ويجوز كونه الحلم ايضاً وليس فى هذين الوجهين احتياج الى دفع المنافاة بالاضراب كما فى الاول وهو جود الحلم به بمثاله ، فانه يكون كلاماً مستقلاً على الوجهين ، وعلى الاول يكون

اعادته بعد الوداع والمفارقة من العود لا من العيادة ، والاعادة ، حينئذ مسندة الى المنام .

وعلى الوجهين يكون المنام بمعنى الظرف والاسناد الى المحبوب ويجوز الى غيره باعتبار، ويمكن ان لايعتبرمعنى الاضراب على الاول ايضاً .

[عبارة فى تفسير القاضى فى الراسخين فى العلم]

ومن ذلك عبارة فى تفسير القاضى فى قوله تعالى فى اواخر سورة النساء « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمى الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيماً »^(١) قال بعد قوله « والمقيمى الصلاة » نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لا اولئك أو عطف على ما انزل اليك ، والمراد بهم الانبياء، أي يؤمنون بالكتب وبالانبياء ، وقرىء بالرفع عطفاً على الراسخون أو الضمير فى يؤمنون أو على انه مبتدأ والخبر اولئك سيؤتيهم، والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الاوجه المذكورة .

اقول : ارى أن هذه العبارة غير محتاجة الى الايضاح ، وتوضيحها لمن يحتاج اليه أن الراسخون مبتدأ وخبره اما جملة يؤمنون أو جملة اولئك سنؤتيهم وعلى تقدير كون الخبر جملة يؤمنون لا جملة اولئك سنؤتيهم يمكن نصب المقيمى على المدح أو جره على العطف على ما انزل ، وعلى قراءة الرفع فعطفه على الراسخون او على ضمير يؤمنون بناء على جوازه او انه مبتدأ وخبره جملة اولئك سنؤتيهم ، ورفع المؤتون بأحد الاوجه المذكورة فى رفع المقيمى ووجه كون النصب على المدح مبنياً على كون يؤمنون خبراً أنه غير مناسب

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

وقوعه منصوباً مع كون الخبر جملة اولئك سنؤتيهم لانه غير ملائم لسياق المبتدأ
وما عطف عليه مما هو كالمبتدأ وما يتعلق به وكون الاخبار عن الجميع من المبتدأ
وما عطف عليه ، وهذا بخلاف ما لو كانت جملة يؤمنون خبراً .

وحاصله ان الحكم على محكوم عليه ينبغي ان يكون متعلقاً بالجميع ،
والمبتدأ وما بعده من جملة وغيرها يحمل الخبر فيها على الجميع ، ومع النصب
له على المدح لا يكون المنصوب محكوماً عليه ، والسياق يقتضى دخوله فيمن
يؤتى الاجر العظيم . والله اعلم .

وفي جعل اولئك خبراً تجوز ، فان الخبر الجملة لاولئك وحده ، وقد صرح
به بعد ذلك .

[مسألة صلاة الجنائز]

ومن ذلك ما اتفق من حضوري جنازة رجل من أعيان المؤمنين رحمه الله
فجرى ذكر صلاة الجنائز فقلت: انى اتعجب من شىء وهو أنى فى هذه المدة
المتطاولة فى هذه البلاد ما رأيت احداً يصلى على الجنائز ويستأذن من ولي
الميت اماماً كان او غيرهه ، وكان فى المجلس رجل يدعى الفضل فقال : هذا
معتبر فى الامام دون المنفرد . فقلت له : لافرق بينهما ، مع ان الامام ايضاً ما
رأيت يستأذن قط نعم اذن الفحوى فى مثل ذلك كاف . فأرسل ذلك الرجل الي
رقعة بعد نقله فى المجالس ان كلامى لا وجه له ، وهذه صورة ما كتبه بألفاظه
من غير زيادة ولا نقصان ولا اصلاح لبعض ألفاظها . وبعد التحية الوافية لا
يخفى على جنابكم ان الفقهاء ذكروا أن الاولى لميراث الميت هو اولى بأحكامه ،
وهذا الكلام لا يدل على ان صلاة المنفرد مشروط باذن من له الاولوية ، فان
تمسكتم بهذه العبارة فلا يدل على مدعاكم من ان صلاة المنفرد مشروط بالاذن .

نعم ذكرنا هذا الاشتراط في تحقق الامامة لامطلقا . وبالجملة الاولوية لا بد على
الاشتراط مطلقا لكن في الامامة قد صرحوا به وان كان لكم دليل آخر فلا بد
لكم من البيان ، فان الامر مخفى علينا والجزم في هذه المسألة من مثلكم بلا
دليل بعيد فينبوا توجروا .
فكتبت له الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهى الى الجناب العالي حرسه الله بعد اهداء جزيل السلام والدعاء ،
هو انه كان بلغنى انكم كتبت رسالة تتضمن ما يتعلق بمسألة ولى الميث ، والرقعة
وصلت الي في هذا اليوم وهو يوم ارسال الجواب ، فتأملت ألفاظها المثيفة
ومعانيها الشريفة وما تضمنته من ارادة الجواب عما ذكرته في ذلك الوقت من
أنه لا فرق بين الامام والمنفرد بناء على ما هو التحقيق مما وصل اليه نظري القاصر
في هذه المسألة ولم أجد القائل بالفرق بين الامام والمنفرد .

وحاصل الجواب انكم اعترفتم بأن الفقهاء ذكروا أن الاولى بميراث
الميث هو أولى بأحكامه ، ومن المعلوم أنه ليس المراد مشاركة غيره له في
الولاية ، بل المراد منه مستحق الولاية على الخصوص الا لشارك الوارث غيره
وولى الميث غيره ، وهذا غير مراد قطعاً ، والتفضيل باعتبار لا يخفى . أو انه
ليس بمراد من هذه الصيغة كما وقع في غيرها بهذه المعنى مما هو مذكور في
محاله ، وقد صرحوا بافادة هذه الصيغة هذا المعنى .

قال الشيخ ميثم البحراني رحمه الله في كتاب النجاة في القيامة في تحقيق
امر الامامة : ان اهل اللغة لا يطلقون لفظ الاولى الا فيمن يملك تدبير الامر
المتصرف فيه، فانهم يقولون السلطان أولى باقامة الحدود والولد أولى بالميراث
والزوج أولى بامرأته ، وليس مرادهم الا ما ذكرناه واتفق المفسرون على ان

قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »^(١) ان المراد به أولى بتدبيرهم والقيام بأمرهم - انتهى .

فدلت العبارة على اختصاص الولي باحكامه ومنها الصلاة، واذابته اختصاصه بهذا الحق ولم تدل العبارة على تقييد ولا تخصص بقيت على اطلاقها أو عمومها، فتصرف غيره مطلقاً في هذا الحق بغير اذنه تصرف في حق الغير بغير اذنه وهو غير جائز عقلاً وشرعاً ويأتى ما يدل على ذلك ايضاً ، فثبت بذلك ما ادعيته ، وكلامكم يتضمن دعوى الفرق فيلزمكم على هذا أن تثبتوا أن المنفرد يجوز له تحسب هذا الحق واخراجه من تصرف الولي دون الامام .

نعم لو دل الدليل على ان حق الولي منحصر في الامامة امكن الفرق والدليل لا يدل على ذلك ، واطهرية بعض افراد المطلق من غيره لو سلمت لا تقتضى التقييد .

ويمكن أن يقال : ان الامام قدرته على الغصب أقوى من قدرة المنفرد ، الا أن يجب بأن الامام يشترط فيه العدالة ، فلهذا لم يعتبر الغصب فيه لأنه يناهى العدالة . فالعجب من قولكم ان هذا الكلام وهو كلام الفقهاء لا يدل على المدعى من ان صلاة المنفرد مشروطة بالاذن ، فانا ان نظرنا اليه مجرداً لم نفرق بين الامرين ، ويأتى ان ما استدل به لا يقتضى الفرق وبالجملة فما ادعيتموه لنا لا علينا وعليكم لالكمم، والعام أو المطلق يبقى على عمومه او طلاقه الى أن يوجد المخصص او المقيد وهو غير موجود على وجه يفيد، وكان اللائق ان تذكروا ما يدل على تقييد الذى دل عليه اطلاق العبارة فقط لا ان هذا الكلام لا يدل على المطلوب فانه خارج عن طريقه المتعارف .

هذا ما يتعلق بالعبارة، وأما ما يتعلق بدليل المسألة فقد استدلو بما فى مرسله

(١) سورة الاحزاب : ٦ .

ابن ابي عمير من قول ابي عبد الله عليه السلام: يصلى على الجنائز أولى الناس بها أو يأمر من يحب . ومراسيل ابن ابي عمير معلوم حالها فى الاعتماد عليها، ومثلها مرسله ابن ابي نصر ، واستدلوا أيضاً بآية « أولى الارحام » والحديثان دالان على أن الحكم حق لولي الميت وله الاذن لمن أحب ، ولا وجه بحسب الدلالة للفرق سوى ما ادعاه القائل به ويأتى عدم صلاحية لذلك .

ولنتقل هنا عبارة الشرائع والمدارك ، قال فى الشرائع : الثانى فى المصلى، واحق الناس بالصلاة عليه أولاهم بميراثه . وقال فى المدارك : ذكر العلامة فى المنتهى ان المراد بالاولى هنا المستحق للميراث، وكو المراد أن من يرث أولى بالصلاة ممن لم يرث الى ان أجرا ، وهذا الحكم مقطوع به فى كلام الاصحاب وظاهرهم أنه مجمع عليه ، واستدلوا عليه بقوله تعالى « وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض » وبما رواه الكلينى عن ابن ابي عمير عن بعض أصحابه عن ابي عبد الله عليه السلام قال يصلى على الجنائز اولى الناس بها او يأمر من يحب وعن احمد بن محمد بن ابي نصر عن بعض أصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال : يصلى على الجنائز أولى الناس بها او يأمر من يحب .

ثم قال: قال جدي قدس سره فى روض الجنان : واعلم ان ظاهر الاصحاب ان اذن الوالى انما يتوقف عليها الجماعة لاصل الصلاة لوجوبه على الكفاية ، فلا تناط برأى احد من المكلفين ، فلو صلوا فرادى بغير اذن اجزأ ، وقد يقال انه لامنافاة بين كون الوجوب كفايئاً وبين اناطته برأى بعض المكلفين ، على معنى انه ان قيام به سقط الفرض عن غيره ، وكذا ان اذن لغيره وقام به ذلك الغير والا سقط اعتباره وانعقدت الصلاة جماعة وفرادى بغيره اعلا ومع ذلك لا بأس بالمصير الى ما ذكرنا لما قصرنا لما خالف الاصل على موضع الوفاق ان تم، وحملاً للصلاة فى قوله عليه السلام « يصلى على الجنائز أولى الناس بها » على

الجماعة لانه المتبادر - انتهى كلام المدارك .

ويظهر منه لمن تأمله انه غير قائل بالفرق ، وان بناه على مخالفة الاصل من حيث قدحه في اصل الدليل وفي قوله « ان تم » اشارة الى ما لا يخفى . ودعوى التبادر مع الاطلاق والبناء على الدليل المذكور ممنوعة، ولو سلم انها تتبادر لكثرة وقوعها لاتدل على التخصيص .

وعندى كتاب المدارك بخط والدي رحمه الله وهو الذي قرأه على السيد محمد رحمه الله وعليه حواش كثيرة بخطه تتضمن تحقيقات وفوائد وقد كتب على قوله في المدارك قال جدى فى روض الجنان « واعلم ان ظاهر الاصحاب » الخ ماصورته :

اقول: لا يخلو من نظر ، فان هذا ليس ظاهر جميع الاصحاب بل البعض والافلاكثير اطلقوا الحكم كما يعرفه من لاحظ كلام القوم ، فالعلامة في القواعد قال والاولى بها هو الاولى بالميراث بعد قوله المطلب الثانى فى المصلى ، والمفيد فى المقنعة قال وأولى الناس بالصلاة على الميت أولاهم به وقال العلامة فى المختلف مسألة قال الشيخ اولى الناس بالصلاة على الميت اولاهم بالميراث . والذى اظنه ان جدى قدس سره ظن من قول العلامة فى محل آخر والمشهور بين الاصحاب ان الاولى بالميراث أولى بالامامة، ولا يخفى ان هذا لا يدل على أن غيره ليس أولى، بل هو فى مقام ذكر الامامة كما يعلم من مراجعة كلامه .

على أن كلام العلامة ليس حجة مع وجود اطلاق العبارات والادلة ايضاً ، فانهم استدلوا بآية « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض » وبالاحاديث كمرسلة ابن ابي عمير عن بعض اصحابه عن الصادق عليه السلام قال يصلى على الجنائز اولى الناس بها . وهذا لا يخفى تناوله .

أما ما ظنه جدي قدس سره من أن الوجوب الكفائي يسنفي الأذن ، فقد اجاب عنه في شرح الشرائع بأن الأذن لايسنفي الوجوب في أول باب احكام الميت وهذا لافرق فيه بين الصلاة وغيرها وان كان فيه نوع كلام من حيث ان الجواب لايفيد رفع السؤال . واقول : ان الحق في الجواب ان المتوقف على الأذن الفعل لاالوجوب - انتهى كلام والدي رحمه الله في حاشية المدارك .

ويظهر منه لمن تأمله حق التأمل ان من قال بالفرق بين الأذن للامام دون غيره قليل ، وان منشأ هذا ما فهم من عبارة العلامة وانها غير دالة على ذلك فانها متعلقة بالامامة وان جده في شرح الشرائع رد ما استدل به في شرح الارشاد للفرق وشرح الشرائع متأخر عن شرح الارشاد كما رده السيد محمد في المدارك ، وان القائل بذلك ليس له دليل واضح ، على أن ما في شرح الارشاد محتمل لمجرد نقل الظاهر وما استدل به لانه استدلال منه .

وقول العلامة المشهور بين الاصحاب الخ ، ربما اشعر بأن هذا وجهه الشهرة ، واذا عبروا بالمشهور أشعر ذلك بضعف الدليل كما هو متعارف في مثل ذلك مما اسند الى الشهرة .

هذا ان أريد غير ما أفاده والدي من مدلول عبارة العلامة ، وعلى ما أفاده لايجتاج الى هذا . والله تعالى اعلم .

هذا ما خطر لي في توجيه ما ذكرته ، فلينظر فيه بعين الانصاف . وقد ظهر أنه لاجماع على الفرق ليكون كلامي خارقاً له ولا دليل ناهضاً عليه ومن فهم تأمل ما ذكرته ونقلته ظهر له وجهه نقلاً واستدلالاً . والمقام اقتضى البسط زيادة عما كان ينبغي .

[عبارة للبيضاوي في جنات عدن]

ومن ذلك عبارة في تفسير القاضى في سورة مريم عليها السلام في قوله تعالى « جنات عدن التى وعد الرحمن »^(١) الآية . قال : وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبره ، ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التى .

اقول : معناه ان عدناً في « جنات عدن » علم لانه قبل الاضافة كان علماً ومع اضافة جنة وجنات لا يخرج عن العلمية بالاضافة ، فهو علم مع الاضافة ايضاً وجنة عدن علم ايضاً فهو مع الاضافة علم وبدونها ايضاً علم .

وقوله « ولذلك » الخ تعليل للوجه الثانى ، فمعنى لانه المضاف اليه في العلم ان الاضافة اليه وقعت في حالة كونه علماً لم يتغير بالاضافة ، وعلميته قبلها معلومة كالخلد والفردوس والمأوى ، فاذا اضيفت الجنة السى أحدها كان المضاف اليه هو ذلك العلم وان كان مع الاضافة علماً ايضاً .

ومعنى تعليل الوجه الثانى أن تأنيث « التى » وافرادها مع كونه وصفاً لجنات باعتبار ما اضيف اليه جنات وهو الاقامة . ويحتمل أن يكون التعليل للقسمين . ووجه الاول أن جنات جمع والتى مفرد ، لكن لكونه جمع جنة عدن وجنة عدن علم مؤنث صح وصفه بالتى ، والعلم هو جنة عدن لاجنات عدن ، لبعده كون الجمع علماً .

[حكم حلق اللحية]

ومن ذلك مسألة تتعلق بحكم ازالة شعر اللحية بحلق أو جز أو نحو ذلك ،

(١) سورة مريم : ٦١ .

سألني عنها بعض الاصحاب فكتبت فيما يتعلق بها ماخطر لي ، وهو هذا :
لا يحضرني الان تصريح بالتحريم من علمائنا رضوان الله عليهم في هذه
المسألة، وقد خطر لي فيه وجهان لايبعد مع ملاحظتهما وجمع أطرافهما القول
بالتحريم .

أقول : ما اورده الصدوق « ره » في الفقيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وآله : حفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تتشبهوا باليهود . وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله : ان المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم وانا نحن
نعجز الشوارب ونعفى اللحى .

وهذان الحديثان وان كانا مرسلين لكن ايراد الصدوق لهما مع اعتماده
على ما في هذا الكتاب والفتوى بما فيه يقوى الاعتماد عليها ، وقد أوردهما
الشهيد « ره » في الذكرى ، والحديث الاول يروى من طرق العامة ، وهو
المشهور في كتبهم .

والامر فيه باعفاء اللحى بمعنى ترك جزها ظاهره الوجوب ، وان لم يعفها
وجزها فقد ترك الأمور به . والاخذ من الشوارب استحباب بدليل لاينافى بقاء
الامر في غيره على الوجوب، وربما يفرق بين حف الشارب واستحباب الاخذ
منه . ومثل ما ذكر له نظائر كما في تقسيم الاغسال . والتعبير عن الواجب والمستحب
منها بقوله واجب ، وقد أريد في بعضها من الوجوب الاستحباب المؤكد .

وفي الحديث من التأكيد ما هو من النهي عن التشبيه باليهود ، وظاهر
النهي التحريم أيضاً ، فان من تشبه باليهود يكون قد ترك المنهي عنه . وظاهر
الحديث أن اليهود كانوا يعفون الشوارب ويجزون اللحى كما في حديث
المجوس ، ولو كانوا يعفون الجميع كان التشبيه بهم من حيث اعفاء الشوارب .
وبالجملة ففي هذا الحديث بعد الامر بعجز الشوارب واعفاء اللحى تأكيد

لذلك بقوله عليه السلام « ولا تشبهوا باليهود » ، ففيه أمر ونهي كل منهما ظاهره التحريم بالمخالفة . والحديث الثاني دل على ان المجوس هكذا فعلهم وانما نحن نفعل خلافهم ، فهو على خلاف فطرة الاسلام بهذا الفعل . ففي تضمن الحديث لفعله عليه السلام وفعل المجوس ما يخالفه ويخالف الفطرة ما يتأدى بقبح فعلهم وحسن فعله ، وهذا مما يتأكد به معنى الامر والنهي ويدل عليه .

الوجه الثاني : أنه قد قرر الشارع أن في شعر اللحية الدية اذا لم ينبت ومع النبات الارش . والمراد ازالة شعرها بأي وجه كان ، وما كان فيه الدية على الجاني ففعله حرام مع العمد ، فاللحية حكمها حكم النفس والاعضاء والمنافع ونحوها التي ثبت فيها الدية على بعض الوجوه وحرمتها كحرمتها .

وهذا لاشبهة في تحريمه اذا كان من فعل الغير ، حتى أن الدية قد ثبت مع العمد للاحترام المذكور ، والظاهر تحريم ذلك اذا وقع من نفسه ، فانه من المعلوم انه يحرم ان يقتل الانسان نفسه أو يقطع عينه أو يقطع يده عمداً ، فشعر اللحية اذا أزاله كان كغيره مما فيه الدية لامن باب القياس بل من الجهة المذكورة ، وليس هذا من قبيل الاموال لكون الناس مسلطين على اموالهم ، للفرق الظاهر على ان الاموال لو أتلّفها صاحبها أو أسرف فيها أو كان على وجه السفه أو التبذير ونحوه كان حراماً . وحاصله : اللحية مما هو كمال الرجل وله حرمة شرعاً يلزم بانتهائها الدية اذا كان من الغير مع التحريم في بعض الصور ، والتحريم اذا كان ذلك من صاحب اللحية أو بأمره .

فان قيل : الدية تلزم ايضاً في شعر الرأس والانسان لو حلق رأسه او جزه لم يكن ذلك حراماً عليه .

قلت : هذا خرج بدليل ، والدليل دال ايضاً على الاستحباب من صاحبه او من بأمره في الحلق وعلى الجواز في العجز ، وربما استحباب ايضاً وقد

يجب الحلق بدليل ومع هذا لو كان بجناية من الغير كانت الدية ثابتة بالجناية ايضاً ، واللحمة لم يرد فيها ما يقتضى استثنائها فتبقى على حكمها كغيرها مما فيه الدية مع التحريم .

واعلم ان الحديث ذكر فيه العجز ، وهو يحصل بالمقراض ونحوه مما يقطع به كالسكين ، وهو دال على ما يفيد العجز ، فما يَحْتال به مما هو شائع من ازالة شعر اللحية بالمقراض دون الحلق لدفع الشبهة لوجه . له نعم تحريم الازالة بالحلق بطريق أولى ان لم يدخل تحت العجز ، ولولا ما فى الاخبار من ذكر القضية وان الزائد في النار من الامر بتدوير اللحية ونحوه مما يدل على هذا لمكان الخبر مما يمكن فيه دخول نحو هذا في بعض الفروض .

وفى بعض الاخبار ولا يحضرنى الان فى أى كتاب ما معناه ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أوجبت الغضب عليهم منها حلق اللحية واعفاء الشوارب ومنها الفاحشة المعلومة ، واطن ان الباقي مما هو محظور فى هذه الشريعة ايضاً والله أعلم .

وفى الكافى في الحسن عنه صلى الله عليه وآله : من السنة ان تأخذ الشارب حتى يبلغ الاطار ، وفى القاموس الاطار ككتاب يفصل بين الشفة وبين شعر الشارب اذا طال يؤخذ منه ما كان زائداً الى ان يبلغ الاخذ الاطار .

قال الغزالي فى الاحياء « حفوا الشوارب واعفوا اللحية » أى اجعلوها حفاف الشفة وحفاف الشيء حوله ، ومنه قوله تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش »^(١) انتهى .

وفى النهاية يحفونهم بأجنتهم أى يطبقون بهم ويدورون حولهم . والحديث المتقدم فيه حفوا دون احفوا ، فيدل على ما ذكر من معنى الحف

(١) سورة الزمر : ٧٥ .

لا الاحفاء والاحفاء يدل على المبالغة والاستيصال وليس فى الحديث السابق، فاستيصال الشارب أو المبالغة مبنى على احفوا لاعلى حفوا، وحديث الاطار يدل على خلاف ذلك ، ويناسبه تفسير الغزالى للحف، فاحفاء الشارب بعد ما تقرر مبنى على فهم اتحاد معنى الحف والاحفاء وقد ظهر الفرق بينهما، ولما كان احفوا وارد ايضاً عندهم قال الغزالى وفى لفظ آخر «حفوا» ، وهذا يشعر بالاستيصال وقوله « حفوا » يدل على مادون ذلك - انتهى .

فاستشكل الجمع بينهما، ومع حفوا وحده لاشكال، وقال فى القاموس حف شاربهُ ورأسه احفاهما فكأنه حاول الجمع بين اللفظين . والله تعالى اعلم .
ورأيت بعدما كتبت هذا فى قواعد الشهيد رحمه الله فى الخنثى المشكل قال : ولا يجوز له حلق اللحية لجواز رجوليته - انتهى . وهذا تصريح لتحريم حلق اللحية للرجل بطريق أولى، لانه اذا حرم مع احتمال الرجولية كان ذلك أولى مع تحققها .

[لو نذر الصوم وعارض أيام التحريم]

ومن ذلك ما رواه الشيخ رضى الله عنه فى التهذيب والاستبصار بسنده الى محمد بن الحسن الصفار عن القاسم بن ابى القاسم الصيقل قال: كتبت اليه ياسيدي رجل نذر أن يصوم يوماً من الجمعة دائماً ما بقي ، فوافق ذلك اليوم يوم فطر أو اضحى أو جمعة أو ايام تشريق أو سفر أو مرض هل عليه صوم ذلك اليوم او قضاؤه أو كيف يصنع ياسيدي؟ فكتب اليه : قد وضع عنك الصيام هذه الايام كلها أو تصوم يوماً بدل يوم انشاء الله .

قال جردى طاب ثراه فى منتقى الجمال بعد نقل هذا الحديث : وأعلم انه يوجد فى كلام بعض الاصحاب القدح فى المكاتبه الاولى باقتضاها مساواة

يوم ليومى العيدين فى المنع من الصوم ، وقد أجمع الاصحاب على خلافه ، وأنت تعلم ان الاشارة فيها قابلة للتأويل ، ولكن فرض اتفاق اليوم المنذور من الجمعة فيه يحتاج الى مزيد تكلف ربما يقوى به احتمال كونه مصححاً-انتهى .
أقول : فى هذا الحديث اشكالان :

احدهما : ان نذر اليوم من الجمعة المراد به يوم من الاسبوع ولو مجازاً ومن جملة الاسبوع يوم الجمعة . ويمكن توجيه هذا بأنه نذر مثلاً صوم يوم قدوم غائبه أو شفاء مريضه دائماً فاتفق ذلك يوم الجمعة ، وهذا يصدق عليه أنه يوم من الجمعة كغيره من أيام الاسبوع ، فانه يصير معيناً بتعليقه على ما ذكر .
والاشكال الثانى : من جهة صوم يوم الجمعة ، وهذا الجواب عنه يحتاج الى التكلف .

ويمكن يكون هذا اللفظ ائداً أو مصححاً أو أن المشار اليه بقوله « فى هذه الايام كلها » هو ما عدا يوم الجمعة كما اشار اليه فى المنتقى ، أو يقال انه مبنى على كونه عيداً .

وقد ورد اطلاق النهي من صوم العيد ، وورد عنهم عليهم السلام الاعياد اربعة الفطر والاضحى والغدير ويوم الجمعة ، وفى حديث آخر أن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين .

وربما كان وضع الصيام فى الجمعة باعتبار صومه دائماً والاجماع المنقول ربما كان على صوم الجمعة لابقيد الدوام ، ومثل هذا كثير فى الاحاديث التى لم يعمل بها أو لم يشتهر العمل بها . والله اعلم .

والتوجيه بأن صوم الجمعة مكروه غير مناسب ، لان الكراهة فى العبادات لا تنفى اصل الرجحان ، والحديث دال على انعقاد النذر وانه يصوم بدنه . وكأنه لا يستبعد ان يكون من نذر صوم يوم الجمعة دائماً ينعقد نذره ويصوم بدله وان كان غريباً والله أعلم .

[معنى افادة المصدر التأكيد]

ومن ذلك عبارة فى تفسير القاضي بعد قوله فى سورة بنى اسرائيل « ولا
تسش فى الارض مرحاً »^(١) قال أي ذامرح، وهو الاختيال، وقرىء « مرحاً » وهو
باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر ابلغ من صريح النعت - انتهى .

وقال فى الكشاف : مرحاً حال أي ذا مرح ، وقرىء « مرحاً » ، وفضل
الاحفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد - انتهى .

اقول: معنى افادة المصدر على التأكيد أنه لما كان اصله ذامرح وحذف المضاف
وأقيم المضاف اليه مقامه يكون قد تعلق حكم النهي أولاً بصاحب المرح ثم تعلق
بالمرح، فهو فى قوة النهي مرتين، وهذا يفيد تأكيداً ليس فى صريح النعت فهو
صفة المشبهة، فان حكم النهي يتعلق بها فقط، والتعبير بصريح النعت فى هذا
ونحوه وما يدخل فيه الحال ونحوه لا النعت الخاص .

ويمكن ان يقال : ان التأكيد من حيث ان مرحاً يتضمن معنى شيئاً مرحاً
وان كان لبيان النوع وكان حالاً فانه لا ينافى ذلك والاول أظهر .

ووجه كون الصفة ابلغ باعتبار الحكم انه قد تقرر أن صيغة فعل أبلغ من
فاعل كحذر ومهمز ، والقراءة المشهورة وهى كونه مصدرأ، وسباق الابق والمقام
يدل على النهي عن المشي مرحاً مطلقاً، فالعدول عن مارح ونحوه الى صيغة مرح
يكون - والله اعلم - باعتبار أن فاعل المرح ينبغى أن يكون مرحاً لا مارحاً ،
فالحكم عليه بالنهي يفسد كون الحكم ابلغ فى الزجر عن ذلك أو ان الحكم
عليه بمرح ، وتعلق النهي به يكون ابلغ .

ونظير هذا قوله تعالى « وماريك بظلام للبيد »^(٢)، وهو ما خطر لى من وجهه

(١) سورة الاسراء : ٣٧ .

(٢) سورة فصلت : ٤٦ .

ولعل غيرى ما ذكره ، وهو انه تعالى لو صدر منه ظلم وان قل يكون ظلاماً .
فان قلت : رجل عدل كان فى عدل مبالغة بجعله نفس العدل ، فيكون فى
المرح مصدر ايضاً مبالغة فى الحكيم .

قلت: كلام القاضى والكشاف مبنيان على كون مرحاً جاء بمعنى ذي-رح
وانه اصله ثم جعل المصدر حالاً ، ولم يقصد هنا جعل المصدر نفس ما يتعلق به ،
فلوقيل رجل عدل اصله ذو عدل كان من هذا القبيل مع وجود فرق بينهما يظهر
بالتأمل . والله اعلم .

[حل عبارة من رجال الاسترأبادى]

ومن ذلك عبارة فى كتاب الرجال للميرزا محمد رحمه الله فى الفائدة
الاولى من الفوائد التى فى أواخر الكتاب بعد نقل ما ذكره محمد بن يعقوب
قدس الله روحه من رجال العدة سابقاً الى أن قال : وكلما ذكرت فى كتابى
المشار اليه عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد الخ . وعبارة ميرزا محمد فلا
يضر اذا ضعف سهل مع وجود ثقة معه فى مرتبه ، على ان اتفاق الجماعة على
الكذب بعيد جداً . وهذه العبارة توهم ان المراد بالثقة ما فى رجال العدة مع
انهم ليسوا من فى مرتبه .

أقول : كان اولاً تخطر لي انها غير مستقيمة ثم تأملت ما فرأيتها مستقيمة لاغبار
عليها . وتوضيح ذلك : ان محمد بن يعقوب رحمه الله يروى بطريق العدة
تارة عن سهل بن زياد واحمد بن محمد كثيراً كما فى اول الزكاة وما يجرى من
الهدى وغيرهما ، وتارة يروى عنه مع محمد بن يحيى ، وتارة عنه مع غير مشاركها
فيقول عدة من اصحابنا عن سهل بن زياد عن احمد بن محمد بن ابى نصر أو
عن محمد بن الحسين أو على بن حسان ونحو ذلك .

إذا تقرر هذا فمعنى العبارة انه لا يضر اذن ضعف سهل اذا وجد معه ثقة في مرتبته على انه لو لم يجد معه ثقة في مرتبته ، فان لم يوجد احد أو واحد وكان غير ثقة ان كان فاتفق جماعة العدة على ما هو كذب منه أو محتمل للكذب بعيد جداً وكان محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو والكذب واخرجه من قم ، فعلى تقدير كونه يكذب اتفقهم على رواية هذا بعيد عن كونه كذباً .

وللصدوق طاب ثراه في الفقيه في (باب ما يصلى فيه وما لا يصلى فيه) كلام يقرب من هذا المعنى بعد نقل حديث من جملته : وعن الرجل هل يصلح له أن يصلى والسراج موضوع بين يديه في القبلة ؟ قال : لا يصلح له ان يستقبل النار . قال : هذا هو الذى يجب ان يعمل به ، واما الحديث الذى روى عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : لا بأس ان يصلى رجل والنار والسراج والصورة بين يديه لان الذى يصلى له أقرب من الذى بين يديه ، فهو حديث يروى عن ثلاثة من المجهولين بأسناد منقطع يرويه الحسن بن علي الكوفى وهو معروف عن الحسين بن عمرو عن ابيه عمرو بن ابراهيم الهمداني وهم مجهولون برفع الحديث . قال : قال ابو عبد الله : ولكنها رخصة اقترنت بها علة صدرت عن ثقات ثم اتصلت بالمجهولين والانقطاع من اخذ بها لم يكن مخطئاً - الخ . وهذا الكلام يدل على نحو ما دل عليه كلام ميرزا محمد ، فان حاصل معناه ان رواية الثقات له تقتضى العمل به وحمله على الرخصة جمعاً بينه وبين ما تقدم .

بقي احتمال آخر في العبارة المتقدمة ، وهو ان يريد بالجماعة سهل بن زياد ومن شاركه ، وهذا لا يخلو من بعد وان قرب من جهة دلالة الاتفاق على الكذب ، فان الاول معناه الاتفاق على نقل الكذب ، ومعنى هذا الاتفاق على نفس الكذب وصدوره عنهم .

[توضيح عبارة من شرح اللمعة]

ومن ذلك عبارة في شرح اللمعة في كتاب الصيد والذباحة اشتهرت بالاشكال وآراها غير مشككة برئت مما ينسب اليها من القصور ، وانا اكشف عن وجه حقيقتها لمن يحتاج الى ذلك ، قال طاب ثراه بعد قول المصنف رحمه الله (ذكاة الجنين ذكاة امة) هذا لفظ الحديث النبوى وعن اهل البيت عليهم السلام مثله ، والصحيح رواية وفتوى ان ذكاة الثانية مرفوعة خبراً عن الاولى ، فتنحصر ذكاته في ذكاتها لوجوب انحصار المبتدأ في خبره ، فانه اما مساو او اعم وكلاهما يقتضى الحصر ، والمراد بالذكاة هنا السبب المحلل للحيوان كذكاة السمك والجراد ، وامتناع ذكاة الجنين ان صح فهو محمول على المعنى الظاهر وهو فري الاعضاء المخصوصة ، أو يقال ان اضافة المصادر تخالف اضافة الافعال للاكتفاء فيها بأدنى ملابسة ، ولهذا صح لله على الناس حج البيت وصوم رمضان ولم يصح حج البيت وصام رمضان بجعلهما فاعلين .

اقول : توضيح هذه العبارة انه اذا كان الثانى مرفوعاً حال كونه خبراً انحصرت ذكاته في ذكاتها لوجوب انحصار المبتدأ لخبره اذا كان المبتدأ مساوياً له او اعم منه ، وهنا اما أن يراد بسبب الحل او فرد واحد فيكون مساوياً وان اعتبرت ذكاته اعم انحصرت في ذكاة امة ، فكل منهما يقتضى الحصر ولا يرد اختلاف الذكاتين . ومعها ينتفى التساوى أو كونه أعم ، لان المراد هنا السبب المحلل للحيوان سواء اعتبر مساوياً ام اعم كذكاة السمك والجراد ، فان الذكاة فيهما تدخل في السبب المحلل .

ولا يرد على هذا أنه حينئذ يمتنع ان يقال ذكيت الجنين اذا ذكى امة فقط ، لانه يجاب اولاً بأن هذا غير ممتنع لانه اذا كان المراد السبب المحلل لم يمتنع

ان يقال ذكيت الجنين بمعنى أو جددت سبب حله كما يقال ذكيت العجراذ وذكيت
السمان ، فان السبب يوجد بايجاد سبب ذكاة امه ، ولو صح ذلك وهو الامتناع
كان مجهولا امتناعه على المعنى الظاهر وهو فري الاعضاء المخصوصة ، واما
على ارادة ايجاد سبب الحل فلا يمتنع .

أو يجاب بأن اضافة المصادر تخالف اضافة الافعال ، والمراد الاضافة لغنة
لا المصطلح عليها عند النحاة ، لعدم صحة اضافة الافعال عندهم ، فهي بمعنى
النسبة ونحوها سواء كانت مضافة بالمصطلح عليها ام لا ، ففي اضافة المصادر
يصح كذكاة الجنين دون الافعال كذكيت الجنين اذا كان المذكى امه فيهما ،
وذلك لانه يكتفى في اضافة المصادر بأدنى ملاسة ولا يكتفى في الافعال
بذلك ، ولهذا صح « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وصح
صوم رمضان باسناد الحج والصوم الى البيت ورمضان ، وقيد به جعلهما فاعلين
لانهما لو كانا مفعولين لم يكونا من هذا القبيل ، والمراد من الاول الحج
المضاف الى البيت ومثله الصوم المضاف الى رمضان لا الاضافة اللفظية بمعنى
كون المضاف اليه مفعولا ، وان صح فانه لا يناسب المقام لان الكلام مبنى على
النسبة في مثل ذلك ، وهذه الاضافة اللفظية ليست كذلك .

فان قلت : يصح ان يقال حج البيت على الفاعلية مجازاً مثل صائم نهاره
وقائم ليله .

قلت : بعد تسليم جوازه فهو مجاز ، والكلام انما هو في الاستعمال حقيقة
أو مجازاً شائعاً وهو كالحقيقة ، والاضافة المعنوية هنا من قبيل الحقيقة او المجاز
الشائع والمجاز غير الشائع غير معتبر في هذا المقام ولاتدل عليه .

واعلم ان قوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »
ذكروا له وجهين :

احدهما : ان يكون حج البيت اضافته معنوية ، فالمراد الحج المضاعف الى البيت من قبيل غلام زيد ونحوه ، وعلى هذا يكون من استطاع بدلا من الناس .

والثانى : أن يكون من باب الاضافة اللفظية ، فيكون البيت مفعولا مقدياً مضافاً اليه والفاعل من استطاع ، والكلام مبني على الاول والثانى لايناسب المقام وسياق الكلام كما تقدم وان صح ، ومثل حج البيت صوم رمضان في احتمال الاضافتين وعدم مناسبة الاضافة اللفظية ، ونحو هذا ذكاة الجنين فانه يحتمل الاضافتين ، والمراد منها المعنوية لان الحكم يتعلق بالذكاة المضافة الى الجنين ، فانه لبيان حكم هذه الذكاة لالبيان تذكية الجنين بمعنى المفعول فظهر أن البيت وصوم رمضان مطابق تمثيله لذكاة الجنين بالمعنى المقصود وفي الجميع احتمال الاضافة التي هي غير مقصودة ، وقد اشار الى انه لو حمل على الاضافة اللفظية امكن ذلك ايضاً بقوله « وامتناع ذكيت الجنين ان صح » الخ ، ولكن هذا غير محتاج اليه ولا يناسب سياق الكلام والمقام بعد ماظهر وتقرر .

وهنا دقيقة تدرك بالدوق والتأمل ، وهي أن تجوز في مثل جرى النهر وسال الميزاب وصائم نهاره وقائم ليله صح فيه اسناد الجريان والسيلان الى النهر والميزاب باعتبار وقوع ذلك فيهما من فاعل ذلك ، فصح اسناد فعل ذلك الفاعل الى ما وقع فيه الصوم والقيام ، فاذا قيل صام النهار مطلقا كان ذلك غير صحيح ولا يناسب ، فهو كما تقول صلى اليوم وطاف اليوم ومثل حج البيت حقيقة اسناد الحج الى احد قصد البيت ، فالمناسب للمتجوز فيه أن يسند الحج الى مثل حامله ومر كونه ونحوهما لأن يجعل البيت الذي هو المفعول به فاعلا ، اذ لا مناسبة تقتضى ذلك ، فان

اسناد القصد الى البيت يقتضى مقصوداً غيره وليس سوى قاصده وقصد نفسه غير مفعول ، والقلب هنا لوجه له . وفى صائم نهاره ونحوه لامعقول به ليرد فيه ما يرد في حج البيت ومثله صوم النهار . وبهذا يظهر وجه قوله « ولم يصح حج البيت وصام رمضان » .

واعلم ان الاضافة قد تكون حقيقية وقد تكون مجازية ، واطافة حج البيت وصوم رمضان من قبيل الاضافة الحقيقية ، لان الحج معناه القصد المطلق ، واذا قال حج بيت على الاضافة المعنوية كان معناه القصد المضاف الى البيت . وكون الاضافة لامية لا ينافى ذلك ، لان من معانيها الاختصاص وشبه الملك ، فان اضافة مثل جل الفرس حقيقية وكذا صوم رمضان ، فان الصوم المطلق اذا اضيف الى رمضان كان حقيقية، وكذا اذا اضيف الى غيره مثل صوم الخميس فانه يفيد اختصاص الصوم بالخميس . والمقام اقتضى زيادة بسط في الكلام والافدون هذا كاف .

[شرح جملة من دعاء المصباح]

ومن ذلك ما فى بعض أدعية مصباح الشيخ الطوسى رحمه الله « وزين الأرض بالنبات وخفف عنها بالاحياء والاموات » .
اقول : معناه انه تعالى خفف عن الأرض بأن جعل من عليها احياء وامواتاً ولم يجعل الجميع احياء ، فجعلهم احياء وامواتاً تخفيف بالنسبة الى جعلهم جميعاً احياء وان كان التخفيف بالاموات ، والتخفيف يقتضى بقاء شيء غير ما خفف به فلهذا اذكر الاحياء ، ويكون الثقلين الانس والمجن لثقل الأرض بهما او لثقلهما على الأرض ليظهر وجه ذلك .

[تعدية لفضة زوج]

ومن ذلك ما هو المتعارف في مثل زوجت فلانة من فلان ، كقوله زوجت
موكلتى من موكلتك وبعث مال زيد من فلان ، مع ان كلا من الصيغتين
يتعدى بنفسه .

وقد خطر لي وجه لذلك ، وهو ان ذلك يتعدى بنفسه تارة وبالحرف
اخرى ، وقد وضع في صورة الخطاب استعماله متعدياً بنفسه ، مثل زوجتك
فلانة وبعثتك كذا ، واستعمال زوجتك من فلانة وبعث منك كذا غير معهود .

وأما مع الغيبة فانه يتعدى بالحرف نحو قوله تعالى « وزوجناهم بحور
عين »^(١) ولهذا يقال زوجت فلانة لفلان وموكلتى من موكلتك ، ففي الغيبة يستعمل
متعدياً بالحرف وفي الخطاب بنفسه ، وان جاء بحسب اصل الفعل التعدى معه
مطلقاً . فظهر ان ما صار الان شائعاً من قولهم زوجت موكلتى موكلتك من دون
من نظر الى قوله تعالى « زوجناكها »^(٢) كما ترى ، فان هذا من الغيبة وزوجناكها
من الخطاب والله تعالى اعلم .

[التعدية في آية كريمة]

ومن ذلك ما خطر لي في نحو قوله تعالى « من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم »^(٣) ان وجه العدول الى عن في الايمان والشمائل
ان الانسان مثلاً اذا كان متوجهاً الى جهته كان السميت المقابل والمتأخر على

(١) سورة الدخان : ٥٤ .

(٢) سورة الاحزاب : ٢٧ .

(٣) سورة الاعراف : ١٧ .

خط يناسب فيه الاتيان بمن وجهه اليمين والشمال مايلة ومنحرفة عن ذلك سمت
فهى متجاوزة اياه ، فناسبها الاتيان بعن دون من والله تعالى اعلم ولا يحضرنى
ذكر هذا الوجه من أحد ولعل غيرى ذكره .

[تفسير التعجب فى ابيات ثلاثة]

ومن ذلك قول الشاعر :

ولست اعجب من جسمى وصحته فى حبه انما سقمى صحتى هو العجب

ويقرب منه قول الآخر :

ليس ما بى من الفراق عجبيا عجبى من فراقهم وبقائى

وقول الآخر :

وما عجب موت المحبين فى الهوى ولكن بقاء الفاسقين عجب

واقول : معنى البيت الاول اذى صرت فى حالة ألحق فيها بالمجانين

والحيوانات فى عدم الشعور بسبب حبه ، فلا تعجب من صحة بدنى لانه لاحالة

لى ولا شعور ينافيان الصحة ، وانما تعجب من السقم فانه انما يحصل لمن

له شعور وحزن وانالست كذلك .

ويحتمل أن يكون المعنى أنه لما كان سقمى فى تربته لاتعهد لاهل السقم

لزيادتها عما هو متعارف . ويكون معنى اول البيت ان حال صحتى ليست

محلا للتعجب لانه لايتعلق بها مايتعلق بالسقم ، بل ان صح جسمى كنت مثل

غيرى من الاصحاء بخلاف حالة السقم ، وفي هذا تأمل .

ويحتمل معنى آخر ، وهو ان المحبة صارت كالغذاء للبدن والروح وذلك

يقضى الصحة فلا تعجب منه ، والتعجب انما يكون حيثئذ من السقم ، اذ مع

الغذاء الصالح ينبغى التعجب من السقم لامن الصحة وهذا الاحتمال خطر لبعض

الاصحاب .

[توضيح جملة في شرح اللمعة]

ومن ذلك قول جدى طاب ثراه فى شرح اللمعة فى كتاب الوصايا فى وصية من بلغ عشراً قول مشهور بين الاصحاب مستنداً الى روايات متظافرة بعضها صحيح الا انها مخالفة لاصول المذهب وسبيل الاحتياط -- انتهى .

وقال فى المسالك : لان هذه الروايات التى دلت على الحكم وان كان بعضها صحيحاً الا انها مختلفة بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، فاثبات الحكم المخالف للاصيل مشكل - انتهى .

وحاصل مراده بما ذكر أن الاصل الذى ثبت كون البلوغ يحصل به هو المقرر البلوغ من الاحتلام أو الاثبات ، اذ بلغ خمسة عشرة سنة فى الذكر وان غير البالغ لا يمضى تصرفه، وهذا امر ثبت وتقرر وغيره مخالف له . ووجه الاحتياط ظاهر ، فان قيد اخراج المال عن ظاهره أنه له من طفل وغيره ولنقل الروايات ليظهر منها ما افادهن .

قوله « لا يمكن الجمع بينهما » فى رواية ابن فضال : اذا بلغ عشر سنين جازت وصيته . وفى رواية اخرى : اذا اصاب موضع الوصية جازت . وفى رواية محمد بن مسلم اذا حضره الموت ولم يدرك جازت وصيته لذوى الارحام ولم تجز للغير . وفى رواية زرارة: اذا أتى على الغلام عشر سنين فانه يجوز له فى ماله اعتق او تصدق واوصى على وجه معروف وحق فهو جائز . وفى رواية منصور قال : اذا كان ابن عشر سنين وأوصى بثلث ماله فى حق جازت وصيته ، واذا كان ابن سبع سنين فأوصى من ماله بشىء . وفى رواية محمد بن مسلم : يجوز طلاق الغلام اذا كان قد عقل وصدفته ووصيته وان لم يحتلم . وفى رواية الحلبي قال: سئل عن صدقة الغلام ما لم يحتلم؟ قال : نعم اذا وضعها

في موضع الصدقة . وفي رواية محمد بن قيس في رجل توفي وله جارية قد ولدت منه بنتاً وابنته صغيرة غير انها تبين الكلام فاعتقت امها فأجاز عتق الجارية لامها . وفي رواية الحسن بن راشد : اذا بلغ الغلام ثمان سنين فجائز امره في ماله وقد وجبت عليه الفرائض والحدود، واذا تم للجارية سبع سنين فكذلك . وفي رواية هشام قال: انقطاع يتم اليتيم الاحتلام وهو اشده . وفي رواية عيسى ابن زيد : يحتلم لاربع عشرة . وفي رواية عبد الله بن سنان : اذا بلغ اشده ثلاث عشرة سنة ودخل في الاربعة عشرة وجب عليه ما وجب على المحتملين احتلم او لم يحتلم -- الى قوله : وجاز له كل شيء .

وهذه الاخبار نقلها الشيخ رحمه الله في التهذيب في وصية الصبي والمحجور عليه ، وفي شرح الشرائع في صحيحة عبد الرحمان اذا بلغ الغلام عشر سنين جازت وصيته، وفي صحيحة ابي بصير اذا بلغ الغلام عشر سنين واوصى بثالث ماله في حق جازت وصيته ، وفي صحيحة محمد بن مسلم قال الغلام اذا حضره الموت فأوصى ولم يدرك جازت وصيته لذوي الارحام ولم تجز للمغرماء .
فهذه الاحاديث كما أفاده الجمع بينها مشكل والخروج بها عما ثبت من الاصل مشكل ايضاً والله اعلم .

[شرح عبارة لغوية في الصحاح]

ومن ذلك عبارة في الصحاح وهي قوله : وعرفات موضع بمنى ، وهو اسم في لفظ الجمع فلا يجمع، قال الضراء ولا واحد له ، وقول الناس نزلنا عرفة يشبه بمولد وليس بعربي محض ، وهي معرفة وان كان جمعاً ، لان الاماكن لا تنزل فصار كالشيء الواحد وخالف الزيد بن بقول هؤلاء عرفات حسنة

بنصيب النعت لانه نكرة وهى معروفة ، قال تعالى « فاذا افضتم من عرفات »^{١)}
قال الاخفش : انما صرفت لان التاء صارت بمنزلة الياء والواو في مسلمين ومسلمون
لانه تذكير . سار التنوين بمنزلة النون ، فلما سمى به ترك على حاله كما يترك
مسلمون اذا سمى به على حاله -- انتهى .

قال فى القاموس : عرفات اسم فى لفظ الجمع فلا يجمع معرفة وان كان
جمعاً لان الاماكن لاتزول فصارت كالشئ الواحد مصروفة لان التاء بمنزلة الياء
والواو فى مسلمين ومسلمون -- انتهى .

اقول : توضيح المراد قوله فى لفظ الجمع فلا يجمع يريد به أن جمع
المؤنث لا يجمع . لأن كل جمع لا يجمع .

وقوله « وهى معرفة وان كان جمعاً » تذكير ضمير كان باعتبار تذكير جمعاً كما
هى قاعدة فى جواز التذكير والتأنيث فى مثله اذا وقع بين مذكر ومؤنث .

وقوله « لان الاماكن » الخ معناه انه لما كان العلم الشخصى موضوعاً
للوحد لا لمتعدد وعرفات على تقدير كونه جمعاً لعرفه يكون علماً لمتعدد
وسماه متعدد وهذا لا يناسب العلم . وجوابه انه لما وقع علماً لاماكن لاتزول ولا
تتغير كانت هذه الاماكن كالشئ الواحد ، فصح ان يكون عرفات علماً متعددأ
بهذا الاعتبار ، وهذا زيدين وزينبات فانه لا يكون علماً لانه يصدق على كل جمع
ولهذا كان نكرة ويدخل الالف واللام ، اذ ليس المراد به زيدون مشخصون
بحيث لا يصدق على غيرهم ، ومثل زيدين مما يزول ويتغير فلو وضعنا علماً
لثلاثة زالت العلمية بزوال البعض ، فلا يقال لاثنين ولا الواحد زيدون ، هذا
بخلاف عرفات الذى هو جمع لعرفه وعرفه فان ترك ما هو مقتضى طبعها واذا
فعلى الخبير يكون قد سماه لا يزول ولا يتغير ، وعلى تقدير الجمع يقال هؤلاء

(١) سورة البقرة : ١٩٨ .

عرفات حسنة فيشار الى افراد هذا العلم بهؤ لاء ولكونه معرفة وحسنة نكرة
كانت منصوبة على القطع .

وقوله « لانه تذكير » معناه ان مسلمين ومسلمون جمع لمذكر وهو تذكير
لجمع المؤنث ، فناسب أن تكون التاء فيه قي مقابلة ما هو في تذكير .

[دوام الشر والخير]

ومن ذلك ما قيل انه ورد « شر لايدوم خير من خير لايدوم » .
اقول: يمكن ان يقال وجهه ان الانسان بمقتضى طبعه وشهوته يميل الى فعل ما
فيه شر وينفر عما فيه خير ومنه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ،
فاذا فعل الشر ودوام عليه صارت المداومة مؤكدة لما هو مقتضى الطبع ومقتضى
للبقاء عليه ، فاذا لم يداوم عليه يكون قد جاهد نفسه على ترك ما هو مقتضى طبعها
واذا فعل الخير يكون قد خالف ما هو مقتضى الطبع والعادة ، واذا داوم عليه
تأكدت المجاهدة فاذا قطعه يكون قد ترك ما أتعب نفسه في اصله ، وليس في
الترك سوى الرجوع الى مقتضى الطبع ، وبه يضعف اعتبار العادة فترك دوام
شر اقوى من ترك دوام الخير فيكون خيراً منه بهذا الاعتبار .

والفضل في مثل هذا واقع كثيراً ، وان لم يوجد الاصل في احدهما من حيث أن
عدم دوام الخير لاخير فيه كما في الحديث « لصوم يوم من شعبان أحب ألي من
ان افطر يوماً من شهر رمضان » و « أبدلني بهم خيراً منهم وابدلهم بي شرأمني »
باعتبار اعتقاد الغير أنه عليه السلام فيه شر وان افطار شهر رمضان فيه محبة ،
وهذا مبني على ان المقام يقتضى ان المراد بعدم الدوام الرفع بالكليّة لا على
معنى رفع الايجاب الكلى وان دل هذا التركيب على الثانى .

ولو حمل على ما يدل عليه أصل التركيب بقى من الخير فيهما ما يحصل به

التفضيل ووجهه يظهر مما سبق ، فان ترك المداومة على الشرفية مجاهدة لمقتضى الطبع والعادة فى المتروك ، وترك مداومة الخير فيه فعل ما يقضيه الطبع من كراهة الخير فى المتروك ، ويحصل الخير فى الشر باعتبار ترك بعضه ويبقى فى الخير ما لم يترك منه .

ويحتمل وجهاً آخر ، وهوان فعل الشر غالباً يترتب عليه ضرر لفاعله ولغيره فى الدنيا والاخرة ، وترك الخير فيه غالباً ترك النفع لفاعله ولغيره وترك الضرر خير من ترك النفع .

[بيان عبارة للبيضاوى]

ومن ذلك عبارة للقاضى عند قوله تعالى « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر »^(١) قال لا الشمس ينبغي لها يصلح لها ويسهل ان تدرك القمر فى سرعة سيره - الى ان قال : وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما أريد بها .

أقول : ايلاء مصدر مضاف الى مفعوله الاول وهو حرف النفي والشمس مفعوله الثانى ، وظاهر هذا التركيب ان المراد جعل الشمس والية بحرف النفي من غير فصل بينهما كأن يقال مع الفصل لاينبغي للشمس ان تدرك القمر ويحتمل ارادة ايلاء النفي حرف النفي الشمس لا ايلاء الشمس حرف النفي ، كأن يقال الشمس لاينبغي لها .

اذا تقرر هذا فظاهر مراد القاضى بناء على الوجه الاول أن مقتضى الظاهر انه اذا أريد نفي الصفة عن ذات موجودة ان يتعلق النفي بها وحدها لا بها وبموصوفها كالايجاب ، فاذا قلت « زيد قائم » و اردت بسلب القيام عنه فانك

(١) سورة يس : ٤٠ .

تقول زيد ليس بقائم لا ليس زيد قائماً ، والشمس هنا موجودة والمقام والظاهر يقتضيان نفى قدرتها لا نفيها مع القدرة ، كما اذا أريد نفى قدرة زيد فانه يقال زيد لا قدرة له او ليس له قدرة كما تقدم ، فالعدول في الآية الشريفة عن هذا حيث دخل النفي على ذى القدرة وعليها الافادة سلب هذه الذات عن أن تكون قادرة، فيفيد سلب القدرة مع سلب الذات . ووجهه على ما ذكره أن سلب الذات لفائدة ان هذه الذات ليست محلالان توصف بالقدرة .

فان قلت : السلب على هذا يتعلق بنفي القادر على هذا المذكور، وهذا لا يدل على نفى مطلق القدرة ليثبت كونها مسخرة .

قلت يمكن الجواب بأن سلب الذات وان تعلق به قدرة خاصة لكن السلب يدل على أن هذه الذات ليست محلا لمطلق القدرة ، لانها حينئذ تصير كالمعدوم بالنسبة الى القدرة ، وقد يكون مراده أن العدول لبذل ذلك على كونها مسخرة لا أن هذا يدل على كونها مسخرة ، فالمعنى ان هذه الذات اذا سلبت كانت كالمعدوم بحسب القدرة فينتفى مطلق القدرة ، وذكر فرد مما يتعلق به القدرة لا ينافى ذلك .

هذا ما يتعلق بالوجه الاول وهو جعل الشمس والية بحرف النفي من غير فصل بينهما، وعلى الوجه الثانى وهو ايلاء حرف النفي الشمس لا ايلاء الشمس حرف النفي بمعنى تقدم النفي عليها دون العكس للدلالة على انها مسخرة الخ والمعنى على هذا انه اذا قيل زيد ليس بقائم دل على نفي القيام عن زيد، فاذا قيل ليس زيد بقائم وعدل عن مقتضى الظاهر كما تقدم كان زيد وقائم واقعين بعد النفي ، وذكر الشمس بعد النفي أدل على كونها مسخرة من دخول النفي على ما بعدهما فقط ، وذكر هذا وان افاد ما تقدم وكونه متفرعاً على الوجه الثانى ايضاً او يقال انه مع تقدم النفي على الشمس تكون القضية السالبة وهى

تصدق مع وجود الموضوع وعدمه ومع تأخره تكون معدولة المحمول وهي لا تصدق مع عدم الموضوع ، فالعدول عما يدل على تحقق وجود الموضوع وهو المعدولة الى غيره لتنزيل وجود الشمس من حيث عدم القدرة منزلة المعدوم وان كان الوجود متحققاً او منزلة ما يحتمل الوجود دلالة ذلك على التسخير أضعف من دلالة ما نزل منزلة المعدوم على ذلك أو ما احتمل الوجود والعدم ان لم تسلب الدلالة له حينئذ .

ومثل هذه التمسكات والوجوه جزئياتها ليست محصورة في علم المعاني ومن تتبع نكات صاحب الكشف وغيره يرى منهم تصرفات اقتضاها طبعهم وفكرهم موافقة لمقتضى العقل والاعتبار ولما ذكر في علم المعاني وان لم تذكر بخصوصها وقد وقع في القرآن الكريم وغيره تنزيل ذى البصر والسمع والنطق منزلة الاعمى والاصم والابكم ومن يعقل منزلة من لا يعقل وغير ذلك ، فأجرى عليهم ما جرى على من هو كذلك باعتبار عدم وجود ما يترتب على ذلك، فكان صاحبها كالفاقد لها .

وهذا غير منحصر فيما ذكر بل يجرى في غيره أيضاً، فلا بعد في كون العدول الى غيره للدلالة على ما ذكر ، ولو ذكر هذا صاحب الكشف أو غيره مما تقدم على القاضى لم يستبعد ولعله مذکور من غيره ولولم يذكر فهو من أفاضل هذا الفن ، فاذا ذكر شيئاً موافقاً لا يستبعد .

ومثل هذه المقامات لا ينظر فيها الى اصل القواعد المنطقية أو جزئيات علم المعانى ، فانها ليست مبنية على براهين قطعية بل هي وجوه مستحسنة وخطايبات تفيد ما عليه بحسب مقتضى الحال .

ويمكن ان يقال : ان تقديم النفي يدل على انها ليست ذاتاً تقدر ويصح منها ذلك ، وتأخيره يدل على انها ذات لا تقدر ولا يصح منها ، وانتفاء ذات القادرة

يدل على انها مسخرة ، وانتفاء القدرة عن الذات لا يدل على التسخير صريحاً ،
فانه مع عدم القدرة على هذا قد لا تكون مسخرة بأن تكون غير قادرة على هذا
الفعل ولا تكون مسخرة بل لعجزها عن ذلك كما في كل قادر يعجز عن بعض
المقدورات دون بعض . وحاصله الفرق بين نفي ذات قادرة على هذا ونفي
قدرة الذات عليه .

بقي احتمال بعيد ، وهو أنه قد ثبت كونها مسخرة بقوله تعالى « والشمس
والقمر والنجوم مسخرات »^(١) وقوله تعالى « وسخر الشمس والقمر »^(٢) فوقع
الشمس بعد لامن غير فصل بما تقدم يدل على أنها من المسخرات التي لا يصلح
لها ذلك ، كما اذا قلت المسخرات لا الشمس منها تقدر على كذا ، واذا قلنا لا
تقدر الشمس على كذا لم يكن فيه ولا القمر منها يقدر على كذا ولا النجوم منها
يقدر على كذا ، واذا قلنا لا تقدر الشمس على كذا لم يكن فيه هذه الدلالة وان دل
في الجملة على هذا الوجه ، فمسخرة على هذا غير داخل في كونه مدلولاً
عليه بل ما بعده ، كما اذا قلت افعال هذه المرأة تدل على انها امرأة صالحة
ويجوز حينئذ دخوله بمعنى ان ايلاءها لا يدل على ذلك ، ووجهه قد يظهر مما
تقرر سابقاً . والله تعالى اعلم .

وما ذكر مما ظاهره التكرار لبعض المعاني بعد ملاحظته ليظهر من كل عبارة
نوع يندفع به التكرار ولو باختلاف العبارات المقتضى للتغاير في الجملة .

(١) سورة الاعراف : ٥٤ .

(٢) سورة لقمان : ٢٩ .

فهرس الكتاب

- ٣ حديث كون الصيام ثلاثين يوماً
٥ حديث انه تعالى لم يجعل شىء الا بشىء
٦ تفسير آية انه ليس من اهلك
٧ حديث تأخير استغفار يعقوب لبنيه
٨ خروج النور من بين اصابع يوسف
٩ حديث بكاء شعيب النبي
١١ حديث الناس يعقلون ولا يعلمون
١٣ حديث تسمية الحسن والحسين عليهما السلام
١٣ حديث خير الصفوف في الصلاة والجنابة
١٤ علة صوم ثلاثة أيام فى كل شهر
١٥ شبهة حول البراءة الاصلية
٢٠ حديث معنى كان عزيزاً ولاعز
٢١ مسألة تقلص الظل وامتداده
٢٣ حديث لم يزل الله يعلم

٢٤	حديث من مات ولم يشرك بالله دخل الجنة
٢٥	حديث خلق الايمان والجحود
٢٦	معنى البداء
٣٥	حديث الرد على القدرية
٣٩	حديث الاستطاعة بالله
٤٠	حديث الفرار من القضاء الى القدر
٤١	حديث لاتسبوا الدهر
٤٣	رؤية الهلال قبل الزوال
٤٣	حديث فرار موسى من امه
٤٤	ابيات للمؤلف في المعنى
٤٥	النافلة التي تزاحم الفريضة
٤٧	حديث مجارى العيون
٤٧	قول الصدوق وينام في المسجد
٤٧	وجه تغطية الرأس وقت التخلي
٤٨	حديث ان العلماء ورثة الانبياء
٤٩	الاضداد اللغوية
٥٧	الافعال التى هي بالواو والياء
٦٠	نبذة مستحبة من لباب الاداب
٦٩	حل بيت من الشعر
٧١	تعيين موضع الكعب في القدم
٧٣	مسألة كون الدية اخماساً
٧٤	حل عبارة من شرح اللمعة
٣١٥	

٧٥	شرح دعاء الوضوء
٧٦	اخبار الوافدات على معاوية
٧٦	وفود الزرقاء بنت عدي الهمدانية
٧٨	وفود عكرشة بنت رواحة
٧٩	وفود ام لبد بنت صفوان الهلالية
٨١	وفود ام سنان المذحجية
٨٢	وفود بكاره الهلالية
٨٣	وفود دارمية الحجومية
٨٥	وفود ام سلمى الذكوانية
٨٦	وفود ام الخير البارقية
٨٨	وفود اروى بنت الحارث
٩١	قصة امرأة تمدح علياً عليه السلام
٩٢	مقامة لبديع الزمان الهمداني
٩٥	مجربات ابن سينا
١٠٠	تحفة الدهر في المناظرة بين الغنى والفقر
١١٨	فصول من نسيم الصبا
١٤٥	معنى حاجيتك الوارد في الحديث
١٤٦	مسألة يعقوب من الصحاح
١٤٧	حديث حسن الخلق
١٤٩	بغية المرید فی الكشف عن احوال الشهيد
١٩٩	ترجمة الشيخ حسن صاحب المعالم
٢٠٩	ترجمة الشيخ محمد العاملي
٢٢٢	ترجمة الشيخ زين الدين العاملي

٢٣٨	ترجمة مؤلف الكتاب
٢٥٩	حديث صلاة الرسول الى القبليتين
٢٦١	نبذة من باب الاستخارة
٢٦٣	اعراب بيت من قصيدة البردة
٢٦٤	مكاتبة أنشأها المؤلف
٢٦٦	الارغام بالانف فى السجود
٢٦٧	شرح بيتين للمتنبي
٢٦٩	حديث صلاة جار المسجد
٢٧٠	عبارة مشكلة فى مختلف الشيعة
٢٧٣	شرح بيتين لمجنون ليلى
٢٧٤	حديث عمار جلدة بين عينى
٢٧٦	حديث شأن انا انزلناه
٢٨٠	حديث الولاية
٢٨٣	شرح بيتين للمتنبي
٢٨٤	عبارة فى تفسير القاضى فى الراسخين فى العلم
٢٨٥	مسألة صلاة الجنائز
٢٩١	عبارة للبيضاوى فى جنات عدن
٢٩١	حكم حلق اللحية
٢٩٥	لونذر الصوم وعارض ايام التحريم
٢٩٧	معنى افادة المصدر التأكيد
٢٩٨	حل عبارة من رجال الاسترابادى
٣٠٠	توضيح عبارة من شرح اللمعة

- ٣٠٣ شرح جملة من دعاء المصباح
٣٠٤ تعدية لفظة زوج
٣٠٤ التعدية في آية كريمة
٣٠٥ تفسير التعجب في ابيات ثلاثة
٣٠٦ توضيح جملة من شرح اللمعة
٣٠٧ شرح عبارة لغوية في الصحاح
٣٠٩ دوام الشر والخير
٣١٠ بيان عبارة للبيضاوى

